

المختصر في
أخبار كنانة مضر

ساجد جبار الضاحي



المختصر في

أخبار كنانة مضر



الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail : alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)
المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان ، وسط البلد ، بجانب مطعم القدس
هاتف 4638688 6 00962 ، فاكس 4657445 6 00962

الفرع الثاني (المكتبة)
عمّان ، وسط البلد ، شارع الملك حسين ، بجانب البنك المركزيّ ، مكتب القاصة

مكتب بيروت
لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات
هاتف : 824203 1 00961 ، مقسم 19

◆

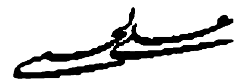
المختصر في أخبار كنانة مضر

ساجد جبار الضاحي

الطبعة الأولى ، 2008

◆

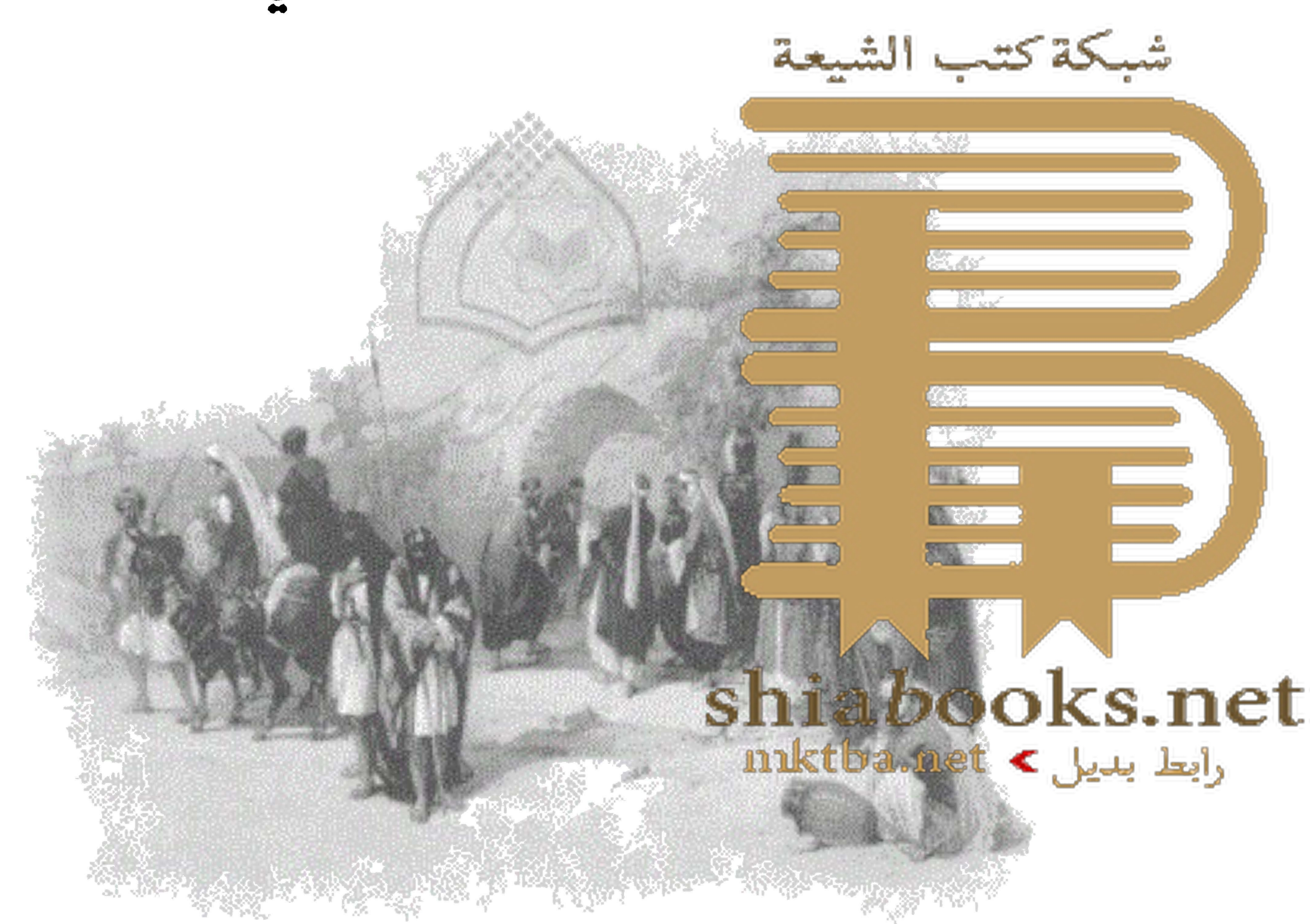
الغلاف : علي الحسيني 99782270 7 00962 ، عمّان ، الأردن



المختصر في

أخبار كنانة مضر

ساجد جبار الضاحي





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧] .

صدق الله العظيم

تمهيد

قبائل العرب تفاضلت فيما بينها بناءً على معايير أخلاقية كانت قد ارتضتها، فكانت تتفاضل بالمروءة وبكل عناوينها من شجاعة وكرم وحماية جار وحلم وإباء وصدق وما إلى ذلك. هذا التفاضل كان في حقيقته شكلاً من أشكال التحدي، وقد يكون التحدي داخل القبيلة الواحدة فيتبارى أفرادها ليبرزون أنفسهم فيشتهر فرد من أفرادها بخلق يصير هذا الخلق مثالاً يُحتذى في قبيلته، وقد تطير شهرته إلى بقية العرب وربما وجد مثال آخر في قبيلة أخرى بنفس المواصفات أو قريباً منها.

وقد يكون التحدي أوسع نطاقاً وأبعد مدى فيكون تحدياً قبلياً، تتنافس به القبائل وكل تحاول أن تعتلي ذروة موضوع التحدي. وتحت هذا المفهوم يمكن أن تفسر الصراعات القبلية التي كانت سائدة قبل الإسلام.

هذا التحدي قد ينتج عنه عُرف وقيم جديدة فيكون هذا العُرف وهذه القيم محط احترام لدى العرب عموماً أو غالبيتهم، ومن هذا ما كان يُعرف عند العرب قبل الإسلام بالحمس والنسيء والوصيلة.

ولما جاء الإسلام ألقى على العرب مسؤولية حمل الرسالة ومسؤولية تبليغها للأمم الأخرى. فكان العرب مبشَّرين ومبشِّرين. هذا يعني كونهم عرباً

قد رتب عليهم مسؤولية لا ينهض بها سواهم. الوحي نزل بلسانهم وعليهم نقل هذه الرسالة وفق قواعد لسانهم للأمم الأخرى التي لها ألسنتها المختلفة والخاصة بها.

إن تلقّي الرسالة السماوية كان تحدياً للعرب قريباً مما كان يعرفونه من تحدي قبل الإسلام، فأخلاقهم التي اتسمت بالشجاعة والصدق والأمانة والصبر مكّنتهم من فهم الإسلام، ولو بعد عناد، إذ أنهم لما رجعوا لأنفسهم ولضوابطهم التي ارتضوها وجدوا الإسلام منسجماً مع أخلاقهم، فحملوا الرسالة واستوعبوها وارتضوا تنزيهها لأخلاقهم مما كان يشوبها من عيب.

ولكن التبليغ للأمم الأخرى جلب على العرب تحدياً جديداً، أو أنه أعطى التحدي بُعداً أعمق، يختلف عما كان العرب يعرفونه، لا يمكن أن ينهض له الرمح أو السيف ولا إقراء الضيف ولا الصبر. تمثل هذا التحدي في دخول الفرس الإسلام وانضوائهم تحت رايته، إن دخول الفرس للإسلام هدد العرب في لغتهم، وكان تهديداً لهم جميعاً ولعلاقتهم بالدّين، الفرس لهم لسانهم، وهم لم يكونوا يقصدون هذا التهديد ولكنه كان خطراً قاتلاً.

أمام هذا التحدي نهض رجل من بني كنانة نيابة عن العرب جميعاً، فاستقرأ لغتهم، واستنبط ضوابطاً لها، فحمى الإسلام بأن رسم نحو العربية، هذا الرجل هو أبو الأسود الدؤلي رأس المدرسة البصرية وأبوها. وليس هذا كل ما فعله أبو الأسود بل إنه رسم علامات الإعراب.

وعلى خطى أبي الأسود يخطو نصر بن عاصم الليثي الكناني فيعطي رسم الحرف العربي شكله النهائي وذلك بتنقيط الحروف لتمييزها، فسهّل قراءة الحروف وأزال اللبس.

هكذا عبر أبو الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم الليثي بالعرب جميعاً بحر الظلمة ومحنة اللسان فكسبت أمة العرب على يديهما أصعب تحدي.

وإذا كان الفرس الذين دخلوا الإسلام قد هددوا العرب والإسلام بأن كانوا خطراً على لغة الإسلام، من حيث لا يدرون، فإنهم وبعد أن اتسعت دولة الإسلام وتحت مظلة قيمه التي اتسمت بالمساواة بين الجميع. بزغ لهم قرن فراحوا يطعنون على العرب في أنسابهم، وثقافتهم منتقصين من قدرهم وعرف هؤلاء بالشعوبيين، قدح الشعوبيون في العرب فنالوا من شجاعتهم فعابوا رمحهم وحقّروه، وعابوا ثقافتهم وشعرهم بل إنهم هزءوا حتى من عمائم العرب وعصيهم. وكانت الشعوبية قاصدة للإساءة وشكّلت تحدياً قومياً وثقافياً ودينياً. فنهض رجل من بني كنانة وهو عمر بن بحر المعروف بالجاحظ، فتصدى للشعوبية وأخزاها وفتح باباً مشرعاً للآخرين كي يحذون حذوه ويذودون عن وجودهم.

ولما كانت العربية تعني اللسان، فإن بني كنانة عرفوا هذا بداهة فراحوا يذبون عن قوميتهم بأن يحفظوا لسان العرب. ولهذا فإن أبا الأسود الدؤلي – لم يكن رجل استقى فكرة النحو من روم أو يونان أو فرس فهو لم يكن عارفاً باللغات هذه، ولم تكن الترجمة عن اللغات الأخرى قد بدأت في زمنه – قد رتب للنحو العربي أبوابه ووضع اللبنة الأولى، وكان أبو الأسود عالِماً بالمفردات العربية محيطاً بها، حتى أنه كان يرى أن كل كلمة غير موجودة في حافظته قذراً يجب دفنه[1].

(١) ورد في البيان والتبيين للجاحظ ص١٩٨ ما نصه: «قال أبو الحسن: كان غلام يقعر في كلامه فأتى أبا الأسود الدؤلي يلتمس بعض ما عنده، فقال له أبو الأسود الدؤلي: ما فعل أبوك؟ =

وكذلك كان نصر الليثي، قال عنه الزهري: إنه ليفلق بالعربية تفليقاً.

ورجل ثالث ومن قبيلة كنانة أيضاً وهو الليث الجندعي الليثي قيل أنه أتمّ كتاب العين المنسوب للفراهيدي، وقيل إنه هو واضعه.

هل هي محض صدفة أن يكون هؤلاء الرجال من قبيلة كنانة وأن يكونوا غيارى سابقين في الذود عن العرب وحفظهم بحفظ لغتهم؟ إن قبيلة هذا شأنها، يحمل رجالها العبء عن كل العرب، إضافة لشرفها في مضر - حق لها أن يحفظ تراثها ولو بمختصر.

= قال: أخذته الحمى فطبخته طبخاً، وفتخته فتخاً، وفضخته فضخاً، فتركته فرخاً. فقال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تشاره وتمارهُ وتهارهُ وتزاره؟ قال: طلقها وتزوجت غيره، فرضيت وحظيت وبظيت وقال أبو الأسود: قد علمنا رضيت وحظيت، فما بظيت؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك. قال أبو الأسود: يا بني كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما يستر السنور خرءها» .

مُقَدِّمَة

كثير من أجداد العرب من كان اسمه كنانة، منهم من هو من عرب الجنوب القحطانيين، ومنهم من هو من عرب الشمال العدنانيين، ومنهم من تكاثر نسله فصارت ذريته تحمل اسمه وتنتسب إليه، فيقال لأحدهم: كناني. وأشهر من عُرف باسم كنانة من القحطانيين:

١- كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة.

وهم بطن كبير انقسم إلى عدة أفخاذ منها: بنو عدّي، بنو زهير، بنو عليم، وبنو جناب[١]. ومن مشاهيرهم قبل الإسلام: عبدالله بن هبل ويُعرف بأبي سالم، كان قد أتى قريشاً حين أرادت بناء الكعبة، وكان معه مال فقال: دعوني أشرككم في بنائها، فأذنوا له وبنى جانبها الأيمن[٢] ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ[٣]، وأسامة بن منقذ صاحب حصن شيزر[٤].

---

(١) بامطرف، الجامع، ج٣، ص٢٣٦.

(٢) القلقشندي، نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب، ص٣٤٠.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢١٨.

(٤) مجلة المورد، المجلد ١٨، العدد الأول لسنة ١٩٨٩، ص١٨٣.

ولم أجد في العرب القحطانيين من يُلقَّب بكناني غير هؤلاء.

٢- كنانة بن عذرة بن سعد بن هذيم وهو من قضاعة أيضاً[١].

٣- كنانة بن مسلمة بن عامر بن عمرو بن علة وهو من مذحج[٢].

أما من اسمه كنانة من العدنانيين فمنهم:

١- كنانة بن شبابة بن سعد بن اللات بن أشيب بن بُرد بن أقصى بن صبح بن الحراث بن أقصى بن دعمي بن إياد بن نزار[٣].

٢- كنانة بطن من تغلب بن وائل[٤].

٣- كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جذيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[٥].

ومن مشاهيرهم: الحارث بن حلزة اليشكري صاحب إحدى المعلقات[٦]، وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حُسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة[٧] وله قصيدة يحبها العرب كثيراً ويقول فيها:

يــــسطتْ رابعـــةُ الحبـــلَ لنـــا   فوصَـلنا الحبـلَ منهـا مـا اتـسعْ

(١) بامطرف، الجامع، ج٣، ص٢٣٧.
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٢، ص٨٣.
(٣) الكلبي، الجمهرة، ص٦٠٥.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٧، ص٢٤٣.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص٥٦٤.
(٦) الكلبي، الجمهرة، ص٥٦٣.
(٧) ابن حزم، الجمهرة، ص٣٠٩. وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٢١٨.

ومنهم عبدالله بن الكواء[1].

٣- كنانة بن خزيمة بن مدركة[2] وهو أشهر من حمل اسم كنانة من العدنانيين عموماً، ولُقِّب أولاده بالكنانيين نسبةً إليه، وتفرعوا إلى قبائل كبيرة وبطون جمة، ولم تذكر كتب الأنساب ولا مراجع التاريخ أحداً من العدنانيين سواءً كان من إياد أو ربيعة يُلقب بالكناني إلا أولاد كنانة بن خزيمة هذا. فيقال لأولاد كنانة بن يشكر والذين هم من ربيعة: اليشكري ولا يقال لهم الكناني، فهذا الحارث بن حلزة اليشكري نسبةً إلى يشكر وهو من أبناء كنانة بن يشكر، ولم يُلقَّب سويد بن أبي كاهل بالكناني، وكلا الرجلين شاعر تعتز به قبيلته غاية الاعتزاز وتفخر به.

* * *

(١) الكلبي، الجمهرة، ص٥٦٣.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص٢١.

الفصل الأول

نسبهم وقبائلهم

نسبهم:

هم أولاد كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1] وكان خزيمة يُكنى: أبا قيس وقيل أبا النضر. أما مدركة فاسمه عمرو على أغلب الروايات[2] وإنما قيل له مدركة لأن إبلاً لهم نفرت فتفرقت فذهب عمرو هذا في أثرها فأدركها فسمي مدركة. ولعمرو أخ يقال له: عامر ويدعى طابخة، إذ أنه لما ذهب أخوه في أثر الإبل، اصطاد أرنباً فطبخها فسمي طابخة، ولهم أخ ثالث وهو عمير وسمي قمعة لأنه انقمع في البيت. فقال لهم أبوهم إلياس:

يا عَمرو قد أدركتَ ما طلبتا

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وأنت قد أسات فانقمعتا

ويقال لمضر: الحمراء، والسبب في هذه التسمية، أن نزاراً لما حضرته الوفاة قسّم أمواله بين أولاده فأعطى مضراً القبة وكانت من أدم حمراء. وقيل أن نزاراً أعطى مضراً ناقته الحمراء وما أشبهنها من الحمرة[3].

---

(١) الكلبي، جمهرة النسب، ص١٩ وما بعدها. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١١. وابن عنبة، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، ص٢٧.

(٢) وفي رواية أخرى أن مدركة هو عامر وليس عمرو، انظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤. وسمير عبدالرزاق قطب، أنساب العرب، ص٢٠٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٥٥.

وأم كنانة هي عوانة بنت سعد بن قيس، وقيل بل هند بنت عمرو بن قيس عيلان، ولا خلاف في كونها ابنة قيس عيلان[1].

ولكنانة من الإخوان أسد، أسَدَة، وجذام تنسب إلى أسدَة، عبدالله والهون. أما أعمامه فقد درجوا ولم يعقبوا إلا عمه هذيل بن خزيمة[2].

وقد اختلف النسابون كما اختلف المؤرخون في عدد أبناء كنانة، فهم بين مكثر ومقلّل. فقد ذكر بعضهم أن أبناء كنانة أربعة عشر رجلاً، في حين قال آخرون أنهم ثلاثة رجال[3].

إن المصادر التاريخية والأدبية تؤرخ وتترجم لأربعة من أولاد كنانة، وهم: النضر (قريش)، مالك، مَلكان وعبد مناة. وهذا يعني أن ما ذكر من أبناء كنانة غير هؤلاء الأربعة، إما أن يكونوا من صنع الرواة، أو أنهم ماتوا ولم يعقبوا، أو صاروا في قبائل أخرى فانصهروا فيها وعُدّوا منها.

قبائل كنانة

بنو النضر (قريش)[4]:

ولد النضر بن كنانة مالكاً ويخلداً والصلت.

وولد مالك فهراً، وولد فهر غالباً، وولد غالب لؤياً، وولد لؤي كعباً، وولد كعب مرة، وولدة مرة كلاباً، وولد كلاب قصياً، وولد قصي عبد مناف،

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص٢١.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص٢١.

(٣) الكلبي الجمهرة، ص٢١.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٠. والكلبي، الجمهرة، ص٢١. والنضر خارج عن بحثنا هذا وسوف لن نذكر عنهم إلا ما له علاقة ببقية قبائل كنانة.

وولد عبد مناف هاشماً، وولد هاشم عبدالمطلب، وولد عبدالمطلب عبدالله، وولد عبدالله محمداً ﷺ .

أما يخلد فإن بنيه في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة. والصلت درج، ويزعم بنو مليح بن خزاعة أنهم من ولده[1].

من هو قريش؟ ومتى ظهر؟ ولمن يقال: قرشي؟

عني النسابون ببني النظر كثيراً، فقالوا وأطالوا، والسبب الرئيس وراء ذلك هو أن رسول الله ﷺ ينتسب إليهم ولكن النسابين والمؤرخين لم يتفقوا على من هو قريش ومتى ظهر.

إن لشخص قريش وظهوره أهمية عظيمة لقبائل كنانة، فقد اكتسبت كنانة بُعداً حضارياً وثقافياً واجتماعياً، بل وصار لها ما يشبه النظام السياسي بقريش وبنيه وسنرى ذلك لاحقاً.

أما من هم القريشيون فإنه موضوع له أهمية لدى فقهاء المسلمين، إضافة للنسب - إذ إن قريشاً خصّت بأحكام في بعض الأمور. خاصة بها لا يشركها غيرها بها من العرب.

أجمل ابن كثير القول في قريش نسباً واشتقاقاً فقال: «وهم بنو النضر بن كنانة. وأضاف: وقال ابن هشام: النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي، ولمن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وقال: «أي ابن هشام» ، ويقال: فهر ابن مالك هو قرشي فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وهذان القولان حكاهم غير واحد من أئمة النسب كالشيخ ابن عمر

(١) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص١٦-١٧.

ابن عبدالبر، والزبير بن بكار ومصعب وغير واحد. قال أبو عبيد وابن عبدالبر: والذي عليه الأكثرون أنه النضر بن كنانة، وهذا ما نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي ﷺ ، ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك، ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير ابن بكار ومصعب الزبيري وعلي بن كيسان.

أما الاشتقاق: فقيل من التقرش، وهو التجمع بعد التفرق وذلك زمن قصي بن كلاب، وقال البعض: إنه كان يقال لقصي قريش، وقيل سميت قريش من التقرش وهو التكسّب بالتجارة، وقيل من التفتيش، قال هشام بن الكلبي: كان النضر بن كنانة يسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجاتهم فيسدّها بماله، والتقريش هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عند الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم، وقيل قريش: تصغير قرش وهو دابة في البحر لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وقيل سموا بقريش بن الحارث ابن يخلد بن النضير وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم، فكانت العرب تقول: (جاءت عِير قريش) »[1] انتهى كلام ابن كثير.

لا يمكن الجزم بتحديد تاريخ إطلاق كلمة قريش ولمن قيلت فكل ما أوردناه سابقاً هو افتراضات يعوزها الدليل.

إن الشعر العربي قد يلقي بعض الضوء على هذا المضووع والذي يمكن قوله الآن أن المعنيين بالشعر الجاهلي يقولون أن أقدم ما وصلنا من هذا الشعر هو شعر أبي داود الأيادي[2] ويقول أبو داود هذا:

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٠٠.

(٢) د. عادل البياتي، تاريخ الأدب الجاهلي قبل الإسلام، ص٦٢.

الا أبلــغ خزاعــة أهــل مــر   وأخــوتهم كنانــة عــن إيــاد[1]

وحقيقة ثابتة تاريخياً، أن بني النضر (قريش) أقرب جغرافياً وأكثر التصاقاً بخزاعة من بقية قبائل كنانة، فلو كانت قريش معروفة بهذا الاسم لذكرها الأيادي ولكنه لم يفعل.

أما الشعر المنسوب لتبع الثالث والذي يقول فيه:

وقريش هـي الـتي تـسكن البحـر   بهــا سميــت قــريش قريــشا

هكــذا في الــبلاد حــي قــريش   يــأكلون الــبلاد أكــلاً كشيــشا

فهو شعر مصنوع وموضوع ولا يمكن الركون إليه وربما قاله أحد القرشيين ونسبه لتبع.

أما ما زعم من وجود شعر كان مكتوباً على باب مدينة ظفار، يقول:

يوم شيدت ظفـار، قيـل: لمـن أنــ   ــت؟ قالــت: لحمـير الأخبـار

ثم سيلت: مـا بعـد ذاك؟ فقالـت   إن ملكـــي لقـــريش التجـــار[2]

فهو شعر موضوع أيضاً ويدّعي معرفة الغيب، وهذا يعني أنه كسابقه متأخر النظم.

أما شعر زهير بن أبي سلمى الذي يقول فيه:

---

(1) د. عادل البياتي، تاريخ الأدب الجاهلي قبل الإسلام، ص٦٢.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٨٨.

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

فهو شعر متأخر، إذ إن زهيراً عاش حتى الإسلام أو قريباً منه[1].

قد يكون ما قاله رجل من العرب في رثاء المطلب بن عبد مناف أول وأقدم ذكر لقريش، قال:

قد ظمئ الحجيج بعد المطلب بعد الجفان والشراب المنثغب
ليت قريشاً بعده على نصب[2]

ولا نستطيع أن نقرر هذا الذي خرجنا به كحقيقة ثابتة ونترك للمعنيين البحث في هذا الموضوع. ولكن يمكن القول وبطمأنينة أن قريشاً كمفردة كانت معروفة في زمن عبدالمطلب بن هاشم، فقد ورد ذكرها في سورة قريش، قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ... ﴾ [قريش:١].

ويقول المفسرون إن هذه السورة هي امتداد لسورة الفيل من ناحية الموضوع، وسورة الفيل تحكي حدثاً كان أيام عبدالمطلب بن هاشم[3].

بل يمكن القول أن مفردة قريش عُرفت أيام المطلب وهاشم أبناء عبد مناف. إذ إن الإيلاف الوارد ذكره في سورة قريش كان من عمل المطلب بن عبد مناف وأخيه هاشم إذ إنه كان يتاجر مع اليمن وحصل على إيلاف من رؤساء القبائل[4].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٢٩١.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٢٧.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٨، ص٦٧٧.
(٤) كستر، الجدة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ص٤٤.

إن ما ذكر من افتراضات عن كيفية تسمية بن النضر باسم قريش يمكن ردّها إلى افتراضين وهما:

١- أن قبيلة بني النضر أخذت اسم قريش من رجل من رجالها اسمه قريش، وهذا الرجل مرة يقول عنه المؤرخون والنسّابون أن اسمه قريش بن بدر ابن يخلد بن النضر بن كنانة وأخرى يقولون أنه قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة[1] وليس لاسم أبيه كبير أهمية إذ إنه يُنسب إلى يخلد بن النضر ابن كنانة، ولا يمكن أن يكون قريش اليخلدي هذا هو قريش الذي أخذ بنو النضر اسمه فتسمّوا به وذلك لكونه من بني يخلد، وبنو يخلد هؤلاء لم يذكر النسّابون شيئاً عن عقبهم وكل ما قيل عنهم أنهم صاروا في بني الحارث بن مالك بن كنانة، ولو كان هو قريش الذي صار بنو النضر يحملون اسمه لكان الأولى أن يلحقه بنو أبيه يخلد لا مالك.

٢- أن قريشاً صفة لحقت رجلاً من بني النضر فدمغتهم جميعاً، والرجال الذين وصفوا بقريش هم:

أ- النضر بن كنانة، كونه كان هو وبنوه يقرشون عن حاجة الناس فيسدوها. وهذا مستبعد إذ لو كان النضر هو قريش لكان كل ولده يحملون لقب قريش، ولكن بني يخلد ليس كذلك.

ب- ورواية أخرى تفيد أن فهراً هو قريش، وهي رواية خالية من أي دليل.

ج- الرجل الثالث هو قصي، واعتقد أن قصياً هو الذي وُصف بقريش وذلك لأن تجمع بني النضر كان في زمانه، والتجمع هو التقرش وصار قصي يدعى مجمعاً[2].

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٠. وابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٠٠.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص٢٥.

والملاحظ أن قريشاً كنسب علا حتى صار يشمل كل بني النضر بن كنانة، فصار كل بني النضر قرشيين، أعني بني مالك بن النضر فبنو يخلد لا وجود لهم ولم يُعرف لهم عقب.

أما شرفاً ودلالة فليس فوق قريش شيء، فصارت تعرف كنانة بقريش فيقال كنانة قريش[1] فتعرف كنانة بأشرف قبائلها وهم قريش.

بنو مِلْكان بن كنانة:

وَلد ملكان بن كنانة: حراماً، وثعلبةً، وسعداً، وأسيداً، وغِنماً، وذبيان، منهم آل يَنْفعْ بن جشمة بن عامر بن الحارث بن عبد مناة بن علي بن ودمة بن عمرو بن سعد بن حُداد بن غَنَمْ وإليهم البيت في بني ملكان بن كنانة، ومن ولده: عبدالله بن يَنْفعْ، كان سليمان بن عبدالملك سماه، الأمين[2].

ويضيف ابن حزم الأندلسي ولداً سابعاً لملكان يدعى عتيق، فيقول: ومن مشاهير بني ملكان: الفضل بن عميرة بن راشد بن عبدالله بن سعيد بن شريك ابن عبدالله بن شريك بن عبدالله بن مسلم بن نوفل بن ربيعة بن مالك بن عتيق ابن ملكان ويقول ابن حزم: إنه كان لهم عدد وثروة ووجاهة بمرسية وكانت ديارهم في شذونة والجزيرة في الأندلس[3].

وقال مصعب الزبيري: إن لبني ملكان بقية وأنه ليس فيهم شرف بارع وذلك لقلة عددهم[4] وكان لبني ملكان قبل الإسلام صنم يقال له: سعدو وهو

(١) انظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص٥٤.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٦.
(٣) ابن حزم الأندلسي، الجمهرة، ص١٨٨.
(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٠.

صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، وحدث أن أحد بني ملكان أقبل بإبل له كثيرة يريد أن يقفها على سعد، التماساً لبركته، فلما رأته الإبل وكانت مرعيةً لا تزكب، نفرت منه وتفرقت في كل وجه لأن سعداً كانت تهرق عليه الدماء، فغضب الملكاني ورمى سعداً بحجر وقال: لا بارك الله فيك نفّرت على إبلي، ثم طلبها حتى جمعها، وقال:

أتينـا إلى سـعد، ليجمـع شملنـا ... فشتتنا سعد، فلا نحن من سعد

وهـل سـعد إلى صـخرة بتنوفـةٍ ... من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد[1]

ومن بني ملكان: شريك بن عبدالله، كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قد بعثه مع تسعة من أهل الشام إلى عبدالله بن الزبير لما دعى الناس لمبايعته، كان أهل الشام يسمون هؤلاء العشرة بالنفر الركب[2]

بنو مالك بن كنانة:

ولد مالك بن كنانة: ثعلبة والحارث وحُداداً وشعلاً وسعداً وساعدةً وحساحسة.

وولد ثعلبة: غَنْماً.

وولد غَنْم: فراسا بطن، والحارث بطن، وعُمراً بطن، والنابغة بطن وبجيلاً وفلاقاً.

فولد فرّاس: علقمة، وهو جذل الطعان والحارث[3] وفي رواية أخرى أن جذل الطعان هو عمير بن قيس، وسمي بجذل الطعان لثباته في الحرب كأنه

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٧٦.

(٢) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٢١.

(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٣.

جذل شجرة واقف أو لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل، وهو عود ينصب للبهم الجرباء لتحتك به[(1)] وجذل الطعان هو الذي يقول مفتخراً على عموم معد:

لقد علمت معدّ أن قومي كرام الناس أن لهم كراما
فأي الناس فاتونا بوتر وأي الناس لم نعلك لجاما
السنا الناسئين على معدّ شهورَ الحل نجعلها حراما

ومن ولد علقمة: جذيمة ومالك وكعب وعامر وفرع.

ومن ولد جذل الطعان: عبدالله كان رئيس بني فراس يوم برزه في حربهم مع بني سليم، وهو الذي قتل سيد بني سليم مالكاً وأخاه[(2)].

ومن بني فراس: ربيعة بن مكدم بن حدبان بن جذيمة بن علقمة، فارس العرب[(3)] وبنو المطلب بن حُدبان سكنوا الكوفة ومنهم آل أبجر[(4)].

وولد الحارث بن فراس بن غنم: جَناداً وحنطبا ومَشْمَصة[(5)].

وولد الحارث بن غنم: دهماناً وعريجاً ورزاحاً ومرة[(6)].

(1) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٣٩، هامش (٣).
(2) الأصفهاني، الأغاني، ص١٧٤.
(3) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٣. وانب حزم، الجمهرة، ص١٨٨.
(4) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٣.
(5) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.
(6) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

ومنهم حمله بن جُويَّة بن عبدالله، كان قد شهد اليرموك وكان في ميسرة جيش المسلمين[1] وبعدها كان على بيت المال لعلي بن أبي طالب ﷺ[2].

ومنهم: الصحابي علقمة بن حكيم الفراسي، شهد اليرموك واستعمله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على الرملة ثم صار والياً للخليفة عثمان بن عفان ﷺ على فلسطين[3].

وولد الحارث بن مالك بن كنانة: ثعلبة وعمرا[4].

وولد ثعلبة بن الحارث: عامراً وعوفاً والمُرَيْم وسُرَيْرا، وسرير هو جد كلاب بن مرة القرشي لأمه[5].

وولد عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة: عدياً ومخدجاً وعبدالله[6].

وولد عدي: فقيماً ووحشيشاً وهم قليل[7].

ومن بني فقيم: جنادة بن أمية بن عويف بن قلع بن جذيمة بن عبد بن فقيم، وهو أول من نسأ الشهور ثم تلاه ابنه أمية[8].

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣١١. والبلاذري، الأنساب، ص١٣٢.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

(٣) ابن حزم، الجمهرة، ص١٨١.

(٤) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

(٦) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

(٧) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

(٨) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

ومن ولد أمية هذا: جَهْوَر بن جندب بن ظرب[1] صاحب لواء معاوية بن أبي سفيان يوم صفين.

وولد محدج: رقبة وثوراً وعبداً وعبيداً[2].

ومن بني رقبة: صفوان بن أمية بن محرث، جد مروان بن الحكم لأمه وهي آمنة بنت علقمة بن صفوان[3] وكان علقمة بن صفوان بن أمية قد حالف بني عبد شمس الأمويين، وله شأن كبير في مكة حتى أن أهل مكة زعموا أن الجن قد قتلوه وهكذا أخبار لا تصنع إلا لذوي الشأن. فقد قيل: إن علقمة خرج ليلاً يريد مالاً له بمكة فانهى إلى مكان يُعرف بحائط حرمان، فإذا هو بشق (جني) فقال الشق:

علقـــم إنـــي مقتـــول   وإن لحمــــي مـــــأكول
اضـــــربهم بالمـــــسلول   ضـــرب غـــلام مـــشمول
رحـــب الـــــذراع بهلـــــول

فقال علقمة:

شــــق مــــالي ولــــك   اغمــــد عــــني منــــصلَك
تقتــــل مــــن لا يقتلــــك

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.
(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.

فقال شق:

علقـــــم غنيـــــت لـــــك   كيمـــــا أبـــــيح مقتلـــــك
فاصـــــبر لمـــــا قـــــد حـــــم لـــــك

فضرب كل منهما صاحبه، فخرا ميتين[1].

ومنهم: نافع بن علقمة بن صفوان، والي مكة والمدينة لعبدالملك بن مروان[2] قيل عنه أنه كان أيام ولايته قد شدد في الغناء والمغنين والنبيذ[3]، وأنه كان شاهراً سيفه لا يغمده، بلغه أن فتى من بني سهم القرشيين يذكره بكل قبيح، فلما أتي به، أمر بضرب عنقه فقال له الفتى:

- لا تعجل عليّ ودعني أتكلم.

قال نافع: أوَ بك كلام؟

قال الفتى: نعم وأزيد، يا نافع، وليت الحرمين تحكم في دمائنا وأموالنا، وعندك أربع عقائل من العرب، وبنيت ياقوته بين الصفا والمروة — يعني دار آل علقمة — وأنت نافع بن علقمة بن صفوان، أحسن الناس وجهاً، وأكرمهم حسباً، وليس لنا من ذلك إلا التراب فلم نحسدك على شيء منه ولم ننفسه عليك، ونفست علينا أن نتكلم؟

فقال نافع: تكلم حتى ينفك فكاك[4].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٦١.
(٢) عارف عبدالغني، تاريخ أمراء مكة، ص١٦٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٢٩٧.
(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٤.

وولد عوف بن ثعلبة: ضُليعاً ووعوعه وهم بفلسطين[١].

وولد عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة: الفاكة والنوّاح وهو نصر والشرخم وعبساً[٢].

ومنهم: أبو قرصانة، جندرة بن خيشنة بن مرة بن واثلة بن الفاكة. كانت له صحبة، ومات بالشام وقبره قرب عسقلان[٣].

ومنهم: عبدالعزيز بن الرماحس بن الرسارس بن السكران بن وافد بن وهيب بن هاجر بن عرينة بن واثلة بن الفاكة[٤].

وابنه الرّماحس، كان على شرط مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[٥].

ودخل الأندلس فولاّه عبدالرحمن بن معاوية الخليفة الأموي في الأندلس على الجزيرة وشذونه. وكان للرماحس وإخوته من بني مالك في دولة الأندلس ذكر ولايات إذ كانوا على الأساطيل وكان لهم فيها غناء يغزون سواحل العبيديين بأفريقيا فتعظم نكايتهم فيها[٦].

ومن بني مالك: الصحابي جنادة بن تميم المالكي، وكان عمرو بن العاص قد أمرّه على ميسرة جيشه في معركة أجنادين سنة ١٥هـ[٧].

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.
(٣) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص٥٢.
(٤) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥.
(٦) ابن خلدون، التاريخ، رقم ١، مجلد ٢، ص٦٦٤-٦٦٧.
(٧) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٢٤٦.

وكان بنو مالك بن كنانة الممثلين الحازمين للدين في نظام أهل مكة قبل الإسلام[1] إذ كانوا النسأة على العرب ينسأون لهم الشهور. وإذا كان الكلبي قد قال: إن أول من نسأ من بني مالك، جنادة بن أمية الفقيمي، فإن الأزرقي يقول: نسأ ثعلبة بن مالك بن كنانة ثم نسأ بعده الحارث بن مالك وهو القلمس، ثم جاء بعده سرير وبعد سرير صار النسيء في بني فقيم من بني ثعلبة بن مالك، حتى جاء الإسلام، وأن آخر من نسأ منهم أبو ثمامة وهو جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم، وأن جنادة هذا جاء زمن عمر بن الخطاب ﷺ إلى الركن الأسود فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال:

- أنا له جار فأخروا عنه.

فَخَفَقَهُ عمر بن الخطاب ﷺ بالدرة وقال: أيها الجلف الجافي، قد أذهب الله عزك بالإسلام[2].

وكانت لبني مالك قبل الإسلام وقعات وحروب منها ما كان مع بني جشم وبني سليم من هوازن وسيأتي ذكرها لاحقاً.

ومنها ما كان من غزوهم لبني عبدالله بن كنانة (القحطانيين) والذين كانوا يسكنون في منطقة يقال عُسفان، فقد أغار علقمة بن جذل الطعان الفراسي على بني كنانة (القحطانيين) وقتل سادتهم وهم عبدالله وعبيد ولدي هبل ومالك بن عبيدة وصريم بن قيس بن هبل وأسر مالك بن عبدالله بن هبل[3].

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٨١.
(٢) الأزرقي، اخبار مكة، ص١٢٥.
(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٦.

ومن أخبارهم ما كان من ردّهم لغزو زبيد القحطانية، إذ أغار عليهم عمرو بن معد كرب، فصدهم ربيعة بن مكدّم وجز ناصية عمرو الزبيدي وأطلقه. وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد سأل عمرو بن معد كرب عن أشجع من رأى، فقال عمرو: «ثم مضيت فأصبحت بين دكادك هرش إلى غزال، فنظرت أبيات فعدلت إليها.. وإذا بغلام عليه ذوائبه يسحبها، فلما نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً، فلما دنوت منه، قال: أتطردني أم أطردك؟ قلت: أطردك، فركض وركضت في أثره، حتى إذا مكّنت السنان في لفته – أسفل كتفه – اتكأت عليه. فإذا هو والله مع لبب فرسه ثم استوى في سرجه فقلت: أقلني، قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت السنان في ماضِفَيْه اعتمدت عليه. فإذا هو والله قائم على الأرض والسنان ماضي لازج، واستوى على فرسه فقلت: أقلني، قال: اطرد، فطردته، حتى إذا مكنت السنان في متنه، اتكأت عليه، وأنا أظن أني قد فرغت منه، فمال من ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض. ومضى السنان زالجاً، ثم استوى وقال: ابعد ثلاث تريد ماذا؟ اطردني ثكلتك أمك. فوليت وأنا مرعوب منه، فلما غشيني ووجدت حس السنان، التفت، فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان فكف عني واستنزلني، فنزلت ونزل، فجز ناصيتي. وقال: انطلق، فإني أنفس بك عن القتل.

وسألت عن الفتى فقيل: ربيعة بن مكدم من بني كنانة فذاك أشجع من رأيت»[1].

وروي أن ربيعة بن مكدّم الفراسي استطاع أن يهزم كتيبة من قبيلة غامد لوحده، فقد أغارت غامد على بني فراس فردّهم ربيعة فقالت امرأة غامدية حين بلغها ما حَلّ بقومها:

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٣٨.

الا هـــل أتاهـــا علـــى نأيهـــا بمـــا فـــضحت قومهـــا غامـــد
تمنيـــتمُ مـــائتي فـــارس فـــردكم فـــارس واحـــد
فليـــت لنـــا بارتبـــاط الخيـــول ضـــأناً لهـــا حالـــب قاعـــد[1]

بنو عبد مناة :

ولد عبد مناة: عامراً وحارثاً ومرة وبكراً[2].

كان بنو عبد مناة يعرفون ببني علي، والسبب في هذه التسمية، أن عبد مناة ابن كنانة كان ربيباً لعلي بن مازن الأزدي، جد سطيح الكاهن[3]، ورواية أخرى تفيد أن أخاً لعبد مناة لأمه يدعى علي بن مسعود الغساني، كان قد خلف أخاه عبد مناة على زوجته هند بنت بكر بن وائل الربيعية، بعد موته، وضم أولاد أخيه، عامراً وحارثاً ومرة وبكراً إليه، فربوا في حجره فنسبوا إليه، وصاروا يسمون ببني علي، ثم إن مالك بن كنانة قتل علي بن مسعود الغساني، واسترد أولاد أخيه عبد مناة. وأن أسد بن خزيمة – عم مالك بن كنانة – دفع ديّة القتيل لقومه[4].

وبنو عبد مناة هم الذين أرادهم ثعلبة القضاعي بشعره حين قاتل قصي بكراً وخزاعة، إذ قال:

وقـــام بنـــو علـــى إذ رأونـــا إلى الأســـياف كالإبـــل الطـــراب

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٤٩.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٣٤.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١١٨، هامش ٤.
(٤) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١١٨.

وهم الذين عنتهم صفية بنت عبدالمطلب حين قالت:

فسائل في جموع بني علي إذا كثر التناسب والفخار
بأنا لا نقر الضيم فينا ونحن لمن توسمنا نضار[1]

وهم الذين ذكرهم عروة بن الورد حين قررت زوجته سلمى الغفارية البقاء مع أهلها، وكانت سلمى أخيذة فخيرها عروة بين أهلها أو مصاحبته، فقالت: ما مرّ عليّ يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إليّ من الحياة بين قومك، ووالله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً أرجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم، فقال عروة[2]:

سقى سلمى وأين ديار سلمى إذا كانت مجاورة السرير
إذا حلت بأرض بني علي وأهلي بين إمَّرة وكير[3]

وبنو عبد مناة هم الذين حرضهم أمية بن الصلت الثقفي على رسول الله ﷺ فقال:[4]

لله در بني علي أيِّم منهم وناكح
إن لم يغيروا غارة شعواء تحجر كل نابح

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٧٧.
(٣) السرير موضع في بلاد كنانة، وأمرة وكير جبلان في أرض غطفان.
(٤) ابن هشام، السيرة، ج ، ص .

بزهـــاء ألـــف أو بـــألف بـــين ذي بـــدن ورامـــح

ويعد بنو عبد مناة أكبر قبائل كنانة وتفرعوا إلى بطون كثيرة -- سنرد على ذكر أهمها.

بنو عامر بن عبد مناة :

ولد عامر بن عبد مناة: مبذولاً وقعيناً، وقيل بل اسمه قعن وقينا وجذيمة[1].

وولد جذيمة بن عامر: مالكاً وفيهم العدد والأقرم وعمراً[2].

فولد مالك: حميسا، وفيهم العدد، وعبدالله، وهبيرة، ومن بني هبيرة: بنو الأسرة بن ناشرة بن هبيرة، ومن بني الأقرم: بنو مساحق[3].

ومن بني عامر: الشاعر كلثوم بن عميس، كان أبرهة الحبشي قد حبسه في اليمن، فلما سمع كلثوم بعزم أبرهة على غزو مكة أنذر كنانة بأن ارسل لهم شعراً قال فيه:

الا ليـــت أن الله أسمـــع دعـــوة   وارسـل بـين الأخـشبين مناديـا
أتتكم جموع الأشرم، الفيـل فـيهم   وسود رجال يركبـون الـسعاليا[4]

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٠.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٠.

(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٠.

(٤) النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، ج٣، ص٤١.

ومنهم: مالك بن جبير العامري، والذي ذهب قوله: (على الخبير سقطت مثلاً)[1].

ومنهم الشاعر عبدالله بن علقمة[2].

كان بنو عامر بن عبد مناة ذوي بأس شديد، فدعتهم العرب بـ (لعقة الدم)[3] وكانوا أكثر بني كنانة إبلاً[4].

وسكن بنو جذيمة العامريون أسفل تهامة بمنطقة يقال لها: الغميصاء، وبعد أن فتح رسول الله ﷺ مكة، أرسل خالد بن الوليد على رأس سرية فيها رجال من بني مدلج (من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة) وآخرون من بني سليم إلى جذيمة داعياً للإسلام. فلما رأوا خالداً بن الوليد، أخذوا سلاحهم استعداداً للقتال، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا. فقام رجل من بني جذيمة يقال له جحدم فقال: ويلكم يا بني جذيمة، إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، فقالوا: أتريد أن تسفك الدماء، إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه.

فلما وضعوا سلاحهم أمر بهم خالد، فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثم دعا ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ فقال: يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم واجعل أمر

---

(١) النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، ج٣، ص٤١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٢٧٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٣٠٥.

(٤) الكلبي، الجمهرة، ص١٦١.

الجاهلية تحت قدميك، فخرج علي ﷺ ومعه مال بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من أموال[1].

وكان غلمة من بني جذيمة، يقال لهم بنو مساحق، حين سمعوا بمقدم خالد، يرتجزون، فقال أحدهم:

قد علمت صفراء بيضاء الأطل　　يحوزها ذو ثلة وذو إبل

لأغنين اليوم ما أغنى رجل[2]

وقال آخر:

قد علمت صفراء تلهى العرسا　　لا تملأ الحيزوم منها نهسا

لأضربن اليوم ضرباً دعساً　　ضرب المحلين مخاضاً قعسا

وقال آخر:

أقسمت ما أن خادر ذو لبده　　شثن البنان في غداة برده

جهم المحيا ذو سبال ورده　　يرزم بين أيلة وجحده

ضار بتأكال الرجال وحده　　بأصدق الغداة مني نجده

وقال غلام منهم وهو يسوق بأمه وأختيه هارباً بهن من جيش خالد[3]:

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٥٤ و ٥٥.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٤٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٥٩.

رخين أذيال المروط واربعن | مشي حييات كأن لم يفزعن
إن تنمع اليوم نساء تنمعن

بنو الحارث بن عبد مناة :

ولد الحارث بن عبد مناة: عمراً، وهو الأحمر، القائل:

أضمر أخبرني ولست بمخبري | وأخوك ناصحك الذي لا يكذب
هل في القضية أن إذا استغنيتم | وامنتم فأنا البعيد الأجنب
وإذا الشدائد بالشدائد مرة | أشجتكم فأنا المحب الأقرب
وإذا تكون كريهة أدعى لها | وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

ومبذولاً، والرشد، كان يقال لهم: بنو غوي، فقال لهم رسول الله ﷺ : أنتم بنو الرشد، وعوفاً وهو ذو الحلة، ولذي الحلة هذا أوصى الحارث[1].

وولد الأحمر بن الحارث: عمراً وغضاة وقائلاً ونعباً وعامراً وعميراً[2].

وولد عوف بن الحراث (ذو الحلة): سعداً ومالكاً وعامراً منهم: عمرو بن عامر بن عوف بن الحارث، وهو أبو معيط، وهو مسك الذئب وهو السياح[3] أو الشماخ[4] وهو الذي عقد حلف الأحابيش مع قريش[5] وذلك في زمن عبد مناف بن قصي[6].

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٦١. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٤٥.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦١.
(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٦١.
(٤) ابن حزم، الجمهرة، ص١٨٨.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٢.
(٦) ابن حبيب، المنمق، ص٣٩٧.

وأخوه تيم بن عامر وهو الذي عقد حلف القارة[١].

ومالك بن عمر بن عوف وهو الذي عقد حلف المصطلق والحيا مع خزاعة وكانت زعامة هذا الحلف لبني الحارث وانضم إليه لاحقاً بنو الهون بن خزيمة[٢].

ومن بني الحارث بن كنانة: خالد بن الحارث بن عبيد بن تيم، يدعى أبو قارض، قيل إنه كان جميلاً حساناً بليغ اللسان شاعراً، ودخل مكة، فقالت قريش: حليفنا وعقيدنا وأخونا وناصرنا، فكلهم دعاه على أن ينزله ويزوجه، فقال: إني لأكره أن آتي بعضكم دون بعض فأمهلوني ثلاثاً، فخرج إلى حراء فتعبد ثلاث ليالي في رأس حراء، ثم نزل وقد عزم على أن يحالف أول رجل قريش يلقاه، فكان أن لقي عبد بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، فعقد ثوبه بثوبه، وأخذ بيده حتى دخلا المسجد الحرام، فوقفا عبد البيت فشد له الحلف[٣].

ومن بن الحارث: الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن جذيمة بن عامر، كان رئيس الأحابيش يوم أحد[٤] وقد وجدت أكثر من رواية تؤشر نبل هذا الزعيم الحارثي، منها موقفه يوم أحد حين رأى أبا سفيان يضرب في شدق حمزة بن عبدالمطلب ﷺ بعد استشهاده وهو يقول: ذق عقق، فإن الحليس عاب فعل أبي سفيان هذا، وقال لقومه: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً!! .

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٦١.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٢.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٢٨٨.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٩٨.

ورواية ثانية تفيد أن قريشاً أرسلت الحليس سفيراً لها إلى الرسول ﷺ يوم الحديبية، فلما رأى الحليس الهدي رجع إلى قريش ولم يصل إلى الرسول ﷺ وأخبرهم (أي قريشاً) بأن المسلمين قد ساقوا معهم الهدي، قالت قريش: اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، أيصد عن البيت من جاء معظّماً له، فوالله الذي نفس الحليس بيده لتخلين بين محمد ﷺ وما جاء له أو لأنفرن بالأحايش نفرة رجل واحد[1].

ومن بني الحارث بن عبد مناة: ابن الدغنة، وكان ابن الدغنة قد أجار أبا بكر الصديق ﷺ حين آذته قريش وأذاع فيهم: إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير[2].

ومن نساء بني الحارث البرزات: عمرة الحارثية، وكانت عمرة قد خرجت مع قريش يوم أُحد، فلما قتل بنو عبد الدار جميعاً وهم حملة لواء قريش، حملت عمرة اللواء لقريش فلاثوا به[3].

وفي السنة السادسة للهجرة المباركة بعث رسول الله ﷺ بشر بن سويد الجهني إلى بني الحارث بن كنانة، فاعتصموا بغيضه فأضرمها عليهم فاحترق نفر منهم فأنكر النبي ﷺ ذلك[4].

بنو مُرَّة بن عبد مناة :

ولد مرة بن عبد مناة: مدلجاً وعمراً وتيماً وشنوقاً وشنظيراً[5].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٩٨.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٦.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٧.
(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٣٤.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٨.

وبنو مدلج أكبر بطن من بطون بني مُرَّة حتى أن الكلبي تتبع مدلجاً في النسب دون سواه من بني مُرَّة فساق النسب إليه، فقال:

وولَد مدلج: عمراً وتيماً والحارث ووقاصاً.

فولد عمرو بن مدلج بن مرة: عتوارة.

وولد تيم بن مدلج بن مرة: قلاباً وحبيباً وحارثاً وعوفاً ومالكاً[١].

وولد الحارث بن مدلج: دعدُعاً.

وولد شنوق بن مرة: الصَعْق[٢].

ومن مشاهيرهم: سراقة بن مالك بن جعشم بن مرة بن جعشم بن مرة بن جعشم بن مالك[٣]، كان سراقة سيد بني مدلج زمن الهجرة المباركة وروى الحسن عن سراقة المدلجي، قال حدثهم سراقة أن قريشاً جعلت في رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق ﵁ اربعين أوقية، قال: فبينما أنا جالس، إذ جاءني رجل، فقال: إن الرجلين اللذين جعلت قريش فيهما ما جعلت قريبان منك، بمكان كذا كذا، فأتيت فرسي وهو في المرعى، فنفرت به، ثم أخذت رمحي فجعلت آجره مخافة أنا يشركني فيها أهل الماء، فلما رأيتهما، قال: أبو بكر هذا باغ يبغينا، فالتفت إليّ النبي ﷺ فقال: اللهم اكفنا بما شئت، قال: فوجل فرسي وإني لفي جَلد من الأرض فوقعت على حجر، فقلت: ادع الذي فعل بفرسي ما أرى أن يخلصه، وعاهدته على أن لا أعصيه، فدعا له فخلص فرسي. فقال

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٨.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٨.

(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٨.

رسول الله ﷺ : عمّ عنا الناس، وأخذ رسول الله ﷺ الساحل مما يلي البحر فكنت أول النهار لهم طالباً وآخر النهار لهم مسلمه[1].

وأسلم سراقة فحسن إسلامه، ويعد في صحابة رسول الله ﷺ ، روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ ، قال لسراقة بن مالك: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ قال: فلما أتى عمر بن الخطاب ﷺ بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياها[2] وحدث الحسن أن سراقة بن مالك قال: بلغني أن رسول الله ﷺ يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومه بني مدلج، فأتيته، فقلت: أنشدك النعمة، فقال القوم: صه، فقال رسول الله ﷺ : دعوه، فقال رسول الله ﷺ : ما تريد؟ فقلت: بلغني أنك تريد أن تبعث خالد بن الوليد إلى قومي، فأنا أحب أن توادعنهم فإن أسلم قومهم أسلموا معهم وإن لم يسلموا لم تخشن قومهم عليهم، فقال رسول الله ﷺ وقد أخذ بيد خالد: اذهب معه فاصنع ما يريد، فإن أسلمت قريش أسلموا معهم[3].

وفقه سراقة الإسلام وصار يعلم قومه، حتى قال بعض المشركين وهم يستهزؤون: ترى أن صاحبكم علمكم كل شيء حتى الخراءة!! .

فبلغ ذلك سراقة، فقام فوعظهم، ثم قال: إذا أتى أحدكم الغائط فليكرم القبلة ولا يستقبلها، وليتق مجالس اللعن، الطريق، والظل واستجمروا الريح (اجعلوها وراء ظهوركم) واستتبوا على سوقكم (استوفزوا على السوق ولا تستفزوا على الأرض بجميع أقدامكم وتدنوا منها)[4].

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص٣٩٢. وابن هشام، السيرة، ج٢، ص٩٧.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، ص٥٥٦. وابن تيمية، التفسير الكبير، هامش ١، ج٢، ص٥.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص٣٩٢.
(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٩، ص٥١١.

ومن بني مدلج: مجزز بن الأعور بن جعدة بن معاد بن عتوراة بن عمرو ابن مدلج، ومجزز لقب لحقه، إذ كان يجز نواصي أسراه ويطلقهم وكان مجزز قد سر النبي ﷺ بقيافته حين دخل المسجد فرأى أرجل زيد وأبيه وهم نائمين فقال: هذه أرجل بعضها من بعض.

ومن ولد مجزز: علقمة، صحابي، كان رسول الله ﷺ قد بعثه على خيل إلى فلسطين فبلغت خيله الداروم وهي قلعة مكانها بعد غزة للقاصد إلى مصر[(١)]، وعلقمة أول من غزا في البحر، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، إذ أرسله عمر ﷺ في حملة بحرية ليرد غزاة قدموا عن طريق البحر من الحبشة، وقيل أنه استشهد في تلك الغزوة فرثاه حواس العذري، فقال:

إن السلام وحسن كل تحية ... تغدو على ابن مجزز وتروح[(٢)]

ولمجزر المدلجي ولد آخر هو وقاص استشهد في غزوة الغابة[(٣)].

ومن حفدة مجزر: عبيد الله وأخوه عبدالله ابنا عبدالملك بن عبدالرحمن بن علقمة بن مجزر، وقال فيها الشاعر:

غدا همي علي فقلت لما ... غدا همي على من اللذان
يزيدان الغني على غناه ... ويحتصر الفقير فيغنيان
ويجتليان فاضلة ومجداً ... يعيش له الأباعد والأداني

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٩.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٩.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٦٣٦.

عبيـــد الله إذ لغبـــت ركـــابي وعبـــــدالله لا يتـــــواكلان
إذا انتـــسبا إلى الأبـــوين كانـــا هجـــاني خنـــدف وابـــني هجـــان
فمـــا ركـــضت إلى حـــسب معـــد ولا قحطـــــان إلا يـــــسبقان[١]

ومن بني مدلج: أمية بن حرثان بن الأسكر، شاعر فارس بطل، كان يقال له: سربال الموت لشجاعته، أدرك الإسلام وأسلم وعاش دهراً طويلاً وتوفي عام ٢٠ للهجرة[٢].

وقد نسب الكلبي أمية في بني جندع الليثيين، ولكن شعراً قاله يزيد بن المدان لأمية يقطع أن أمية من مدلج وليس من جندع، قال يزيد:

أميّ يـا ابـن الأسـكر بـن مـدلج لا تجعلـــن هوازنـــاً كمـــذحج
إنـــك إن تلـــهج بـــأمر تلجَـجْ مـــا النبـــع في مغرســـه كالعوســـج
ولا الـــصريح المحـــض كـــالممزج[٣]

ولأمية ولد اسمه كلاب، اكتتب نفسه في الجيش الغازي مع أبي موسى الأشعري، أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، فاشتاقه أبوه أمية وكان قد أضر، فأخذ بيد قائده ودخل على الخليفة عمر ﷺ في المسجد وأنشد:

أعـــاذل قـــد عـــذلت بغـــير قـــدر ولا تـــدرين عـــاذل مـــا الاقـــي
فأمـــا كنـــت عـــاذلتي فـــردي كلابـــاً إذ توجـــه للعـــراق

(١) الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص١٠٠.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٨.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص١٠.

فتى الفتيان في يسر وعسر ... شديد الركن في يوم التلاقي
فلا وأبيكَ ما باليتَ وجدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإيقادي عليك إذا شتونا ... وضمك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤاد شديد وجد ... لهم سواد قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق رباً ... له عمد الحجيج إلى بساق
وادعوا الله محتسباً عليه ... ببطن الأخشبين إلى وقاق
إن الفاروق لم يردد كلاباً ... على شيخين هامهما زواق

فأمر الفاروق عمر ﷺ برد كلاب فرده أبو موسى الأشعري.
وأمية بن حرثان هو الذي يفتخر فيقول:

هلا سألت بنا إن كنت جاهلة ... ففي السؤال من الإعياء شافيها
تخبرك عنا معدٌّ إن هم صدقوا ... ومن قبائل نجران يمانيها
وبالجياد تجر الخيل عابسة ... كأن مذرور ملح في هواديها
قوم إذا قرع الأقوام طاف بهم ... ألقى العصي عصي الجهل باريها

وهو القائل:

أصبحت هزواً لراعي الضأن أعجبه ... ماذا يريبك مني راعي الضأن

وكان رجال من بني مدلج في السرية التي أرسلها الرسول ﷺ إلى بني جذيمة بقيادة خالد بن الوليد بعد فتح مكة، فلما أصاب بني جذيمة ما أصابهم من أسار وقتل – قال أحدهم يذم بني مدلج ويعتب عليهم:

جزى الله عنا مدلجاً حيث أصبحت ... جزاءة بؤس حيث سارت وحلت
أقاموا على أقضاضنا يقسمونها ... وقد نهلت فينا الرماح وعلت
فوالله لولا دين آل محمد ... لقد هربت منهم خيول فشلت[1]

عرف بنو مدلج بقيافتهم، فقيل فيهم:

في مدلج بن بكر القيافة ... كما للهب كانت العيافة[2]

وبنو مدلج هم أول من بحر البحائر، فعن زيد بن أسلم، قال: قال النبي ﷺ: قد عرفت أول الناس بحر البحائر، رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنيهما، وحرم ألبانها وظهورها[3].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يرى في بني مدلج خاصة دراية ومعرفة باللغة ليست في غيرهم، فعن أبي الصلت الثقفي أن عمراً ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ بنصب الراء وقرأها بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ : حرجا بالخفض، فقال عمر: ائتوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعياً وليكن مدلجياً، فأتوا به، فقال له عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار لا يصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر: كذلك المنافق لا يصل إليه شيء من الخير[4].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٥٨.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ج٢، ص٢٥. لاحظ أن الراجز ينسب مدلجاً إل بكر بن عبد مناة والصحيح أن مدلجاً هو ابن مرة بن عبد مناة.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص٤٣.

(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ص٥٩٦.

ومن أبناء الصعق بن شنوق بن مرة: الغياطل، وهم أخوة مدلج بن مرة[1]. وغلب على هؤلاء القوم اسم أمهم والتي هي: الغيطلة بنت مالك بن الحارث ابن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة[2]، وشنوق أخو مدلج كما رأينا.

والغيطلة امرأة كانت كاهنة في الجاهلية، جاءها صاحبها (تابعها) في ليلة من الليالي، فانقض تحتها، ثم قال: أدر وما أدر، يوم عقر ونحر. فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فانقض تحتها ثم قال: شعوب، ما شعوب، تصرع فيه كعب لجنوب، فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو فاعرفوا حتى إذا كانت وقعة بدر وأُحد بالشعب فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته[3].

والغياطل هم الذين ذكرهم أبو طالب عم النبي ﷺ بقوله:

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ... بني خلف قيضاً بنا والغياطل

بنو بكر بن عبد مناة :

ولد بكر بن عبد مناة: عريجاً والديل وليثاً وضمرة.

بنو عريج بن بكر :

ولد عريج بن بكر، حماساً منهم: أبو نوفل بن عمرو بن أبي عقرب بن خويلد بن خالد بن بجير بن عمرو بن حماس[4].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٩٣.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) نفس المصدر، ص١٩٢.
(٤) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٩.

كانت منازل بني عريج في منطقة يقال لها مهيعة، وقيل أن مهيعة هي الجحفة أو مكان قريب من الجحفة، ومن ساداتهم الخطل العرجي، وابن سلمة ابن الخطل، كان له خبر مع معاوية بن أبي سفيان، فقد روي أن معاوية صعد المنبر فوجد من نفسه رقة، فقال: بعد أن حمد الله واثنى عليه: أيها الناس، إن عمراً ولأني أمراً من أمره فوالله ما غششته ولا خنته، ثم ولأني من بعده عثمان ﷺ ولم يجعل بيني وبينه أحداً، فأحسنت والله وأسات، واصبت واخطأت، فمن كان يجهلني فإني أعرفه بنفسي، فقام إليه سلمه المذكور، وقال: أنصفت يا معاوية وما كنت منصفاً، فغضب معاوية، وقال: وما أنت وذاك يا أحدب! والله لكأني أنظر إلى بيتك بمهيعة، وبطنب تيس، وبطنب بهمه بفنائه أعنز عشر بحتلبن في مثل قوارة حافر العير تهفو الريح منه بجانب كأنه جناح نسر، قال: رايت والله ذاك في شر زماننا إلينا، والله إن حشوه يومئذ لحسب غير دنس، فهل رأيتني يا معاوية أكلت حراماً أو قتلت امرءاً مسلماً؟ قال: وأين كنت أراك وأنت لا تدب إلاّ في خمر، وأي مسلم يعجز عنك فتقتله؟ أم أي مال تقوى عليه فتأكله؟ اجلس لا جلست، قال: بل اذهب حتى لا تراني، قال: إلى ابعد الأرض لا إلى اقربها فمضى، ثم طلبه معاوية وقال: استغفر الله منك يا أحدب، والله لقد بررت في قرابتك، وأسلمت فحسُن إسلامك، وأن أباك لسيد قومه ولا أبرح أقول بما تحب فأقصد[1].

بنو الديل بن بكر:

ولد الديل بن بكر: عدياً والحارث وضبيعاً.

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٣٠. والجاحظ، البرصان والعرجان، ص٤٢٣.

وولد عدي: معاوية وعبداً وجذيمة ونقاثة وسعداً[1].

وولد الحارث بن الديل: أسيداً وغرية ويزيد ونفيلاً وهفان[2].

وكانت زعامة بني بكر في نفاثة وكان سيدهم أيام عبدالمطلب القرشي يعمر ابن نفاثة بن عدي ورافق عبدالمطلب في وفد إلى أبرهة حين قدم إلى مكة للتفاوض معه[3].

ومنهم معاوية بن عروة بن صخر النفاثي الذي يقول له تأبط شراً:

لعمـــر أبينـــا مـــا نزلنـــا بعـــامر   ولا عـــامر ولا النفـــاثي نوفـــل[4]

وكان معاوية زعيم كنانة وسيدها في يوم الفجار[5].

وجاء بعده ابنه نوفل والذي أوقع بخزاعة في الحرم المكي، ثم أسلم وصحب النبي ﷺ فاستشاره النبي ﷺ في حصار الطائف فقال: يا رسول الله، إنهم كالضب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لا يضرك[6]، وابنه (سلمى) كان من أجواد العرب قيل أن رجلاً وثب على ابنه وابن أخيه فجرحهما، فأتى به، وكان سلمى سيد بني كنانة يومها، فقال له: ما أمنك من انتقامي؟ فقال الرجل: فلم سودناك إذاً، إلا أن تكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه، فخلى سلمى سبيله[7]، ولسلمى هذا يقول الجعفري:

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٩.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٩.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤٤.
(٤) ابن دريد، الاشتقاق، ص١٧٦.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٩.
(٦) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص . وابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٥٧٨.
(٧) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١٢، ص٤٨٨.

يسود أقوام وليس بسادة بل السيد المذكور سلم بن نوفل[١]

ومنهم فروة بن عمرو النفاثي كان عاملاً للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام، أدرك فروة الإسلام فأسلم وبعث بإسلامه إلى رسول الله ﷺ وأهداه بغلة بيضاء ولما علم الروم بإسلامه طلبوه فحبسوه ثم صلبوه[٢].

ومن بني الديل: الأسود بن رزن، وبنوه سلمى وذؤيب وكلثوم، كان يقال: منخر كنانة لشرفهم، وكانوا يودون ديتين ديتين ويودى بقية بني الديل دية دية[٣].

ومنهم: عويف بن الأضبط بن أبير بن نهيك[٤].

ومنهم قضاعي بن عامر وقيل بل إن اسم أبيه عمرو، كان عاملاً لرسول الله ﷺ على بني أسد، وهو أول من كتب إلى النبي ﷺ بخبر أهل الردة، شهد فتح دمشق وشهد على كتاب فتحها[٥].

ومن بني الديل: أنس بن زنيم، أمنه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وكان قال شعراً يعتذر منه للرسول ﷺ عما كان قاله عنه عمرو بن سالم الخزاعي منه[٦]:

---

(١) ابن دريد، الاشتقاق، ص١٧٦.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٧٦.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٢.
(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص١٧١.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٢٣٦.
(٦) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٥١.

أأنت الذي تهدى معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلاً ... إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركي ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم بان الركب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أني هجوته ... فلا حملت سوطي إلى أذن يدي
سوى أنني قد قلت ويل أم فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهم من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزت عبرتي وتبلدي
فأنك قد أخفرت إن كنت ساعياً ... بعبد بن عبدالله وابنة فهود
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فالا تدمع العين أكمد
وسلمى وسلمى ليس حي كمثله ... وأخوته وهل ملوك كأعبد
فإني لا ديناً فتقت ولا دماً ... هرقت تبين عالم الحق واقصد

ومن بني الديل: الصحابي القائد سارية بن زنيم، الذي ألقى الله في سمعه صيحة عمر بن الخطاب ﷺ : يا سارية الجبل الجبل، ففرج الله به على المسلمين في وقعة الفرس، وأوقع المسلمون بالفرس هزيمة منكرة وطردوهم منها وقد قتلوهم عند كل حجر وشجر[1].

---

(١) ابن أعثم، الفتوح،، ج٢، ص٥٨.

ومن بني الديل: الأخزر بن لعط، الذي قال في خزاعة:

نــذبحهم ذبــح التيــوس كأننــا   أسود تبــارى مــنهم بالقواصــل[1]

ومن بني الديل: أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، قيل عنه أنه صحابي وأنه شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ، وقيل أنه من التابعين، وهو على راس محدثي البصرة، وروى عن عمر وعلي وأبي ذر وعبدالله بن مسعود والزبير وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهم)، وروى عنه ابنه أبو حرب، وعبدالله بن يزيد ويحيى بن يعمر وغيرهم، كان ذا دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وكان ثقة، وهاجر إلى البصرة أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ واقام فيها وانشأ فيها مسجداً خاصاً به.

استطاع أبو الأسود أن يستنبط قواعد العربية فرسم نحها، واخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، قيل أنه دخل على علي فوجد في يده رقعة، فسأله: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال علي ﷺ : إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (العجم) فاردت أن اضع لهم شيئاً يرجعون إليه، ثم ألقى الرقعة إلى أبي الأسود ومكتوب فيها (الكلام اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى) وقال له: انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك.

ثم إن أبا الأسود يقول: وضعت باب العطف والنحو والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام. ثم كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته على علي

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٤.

ﷺ إلى أن حصلت معه ما فيه الكفاية، فقال علي ﷺ : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت[1].

ويرى سبب غير ما ذكر لوضع النحو، وهو أن أعرابياً قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وكان يريد أن يتعلم القرآن، فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: (إن الله بريئ من المشركين ورسوله) بالجر، فقال الأعرابي، إن يكن الله برأ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ ذلك عمراً ﷺ فقال: يا أعرابي تبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن وقد سألت من يقرأني، فأقرأني هذا فقال: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) فقال عمر ﷺ : ليس هكذا يا أعرابي، وقرأ (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بالضم، ثم إن عمراً ﷺ أمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالِم باللغة وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو[2].

ويعد أبو الأسود في الشعراء وقد جمع شعره وله في حب الرسول ﷺ وآل بيته :

أحب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة والوصيا

أحبهم لحب الله حتى ... أجيء إذا بعثت على هويا

وفي شعره حكمة وحث على مكارم الأخلاق، كقوله:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

(١) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص١٨. وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٣٤٧.

(٢) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص١٩.

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح وأنت سقيم

أبدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهيت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول وتشتفي بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه رجل مربر

ويعجبك الطرير فتختبره فيخلف ظنك الرجل الطرير

وما عظم الرجال لهم بزين ولكن زينها مجد وخير[1]

وقال:

فما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء

تجيء بملئها يوماً ويوماً تجيء بحماة وقليل ماء[2]

رواية ثالثة تفيد أن أبا الأسود الدؤلي استأذن زياد بن أبيه أن يضع للعرب ما يعرفون به كلامهم، فقال له زياد: لا تفعل، ويجيء رجل إلى زياد ويلحن أمامه، فيرد أبا الأسود ويطلب إليه أن يفعل ما نهاه عنه[3].

---

(١) وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص٢٨٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٦٦٢.

(٣) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص١٩.

ورواية رابعة مفادها أن زياد بن أبيه قال لأبي الأسود: إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت لهم شيئاً يصلح به الناس ويعرب به كتاب الله، فأبى أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما طلبه فوجه زياد رجلاً وقال له: اقعد على طريق أبي الأسود، فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن فيه، فقعد ذلك الرجل على طريق أبي الأسود، فلما مرّ به أبو الأسود رفع صوته وقرأ (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام، فقال أبو الأسود: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ورجع إلى زياد، فقال: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث لي ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم ما زال يختارهم حتى اختار رجلاً من عبد القيس، فقال له: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي، فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من الحركات غنه فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك[1].

وأبو الأسود رأس المدرسة البصرية فعنه أخذ النحاة، ويقول السيرافي: أكثر الناس على أن أبا الأسود أول من رسم النحو[2].

كان لأبي الأسود الدؤلي دور في الحياة السياسية زمن خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ، فكان أن التقى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سفيراً لوالي علي ابن أبي طالب ﷺ على البصرة عثمان بن حنيف، قبل معركة الجمل، وبعدها

---

(١) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص١٩-٢٠.

(٢) السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص١٠. وابن النديم، الفهرست، ص٥٩.

كان يجمع الناس لحرب صفين، ثم إنه طارد الخارجين على علي ﷺ ، وفوق كل ذلك فهو عين لعلي ﷺ في البصرة يكتب له بكل ما يرى، حتى إنه كتب لعلي ﷺ : «أما بعد: إن ابن عمك هذا، يريد عبدالله بن عباس، قد أكل مال الله بغير حق، فلم يسعني كتمان ذلك، فانظر رحمك الله فيما ههنا...»[1].

ولما فارق عبدالله بن عباس ﷺ علياً ﷺ وترك عمله على البصرة، تبعه أبو الأسود في نفر من قومه، بني كنانة، ليرده فاعتصم ابن عباس ﷺ بأخواله من بني هلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم حرب، فقال بنو هلال: ننشدكم الله ألا تسفكوا بيننا دماءً تبقى معها عداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فرجعت كنانة عنه، وكتب أبو الأسود إلى عليّ ﷺ بذلك[2].

وبقي أبو الأسود الدؤلي على مذهبه السياسي وفياً لعلي بن أبي طالب ﷺ ، فبعد استشهاد عليّ ﷺ قدم أبو الأسود على معاوية وقد استقامت له البلاد، فأدنى معاوية مجلسه إجلالاً له، وأعظم جائزته استرضاءً وتودداً، فلما عرف عمرو بن العاص ذلك كرهه، واستأذن على معاوية، وقال: يا أمير المؤمنين أتيتك لأمر قد أوجفني وغاظني، وهو من بعد ذلك نصيحة لأمير المؤمنين، قال: وما ذاك؟، قال: يا أمير المؤمنين إن أبا الأسود رجل مفوه له عقل وأدب، من مثله للكلام يذكر، وقد أذاع بمحضرك من الذكر لعليّ والبغض لعدوّه، وقد رأيت أن ترسل إليه وتسبره وتخبره، فإنك من مسائلته على إحدى خبرتين، إما أن يبدي لك صفحه فتعرف مقالته، وإما أن يستقيلك فيقول ما لدي من رأي، فيحتمل ذلك عنه فيكون لك في ذلك عافية وصلاح إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٤، ص٧٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٣٥.

فقال له معاوية: إني امرؤ والله لقل ما تركت رأياً لرأي قط إلا كنت فيه بين أن أرى ما أكره وبين وبين، ولكن إن أرسلت إليه فسألته فخرج من مسائلتي بأمر لا أجد فيه مقدماً ويملأني غيظاً لمعرفتي بما يريد وإن الأمر فيه أن يقبل ما أبدى من لفظه فليس لنا أن نشرح عن صدره وندع ما وراء ذلك جانباً، فقال عمرو: إنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفين وقد عرفت رأي ولست أرى خلافي ما ألوك إلا خيراً، فأرسل إليه ولا تفرش مهاد العجز فتتخذه وطيئاً.

فأرسل معاوية إلى أبي الأسود، فجاء حتى دخل عليه فكان ثالثاً فرحب به معاوية، وقال: يا أبا الأسود، خلوت أنا وعمرو فتناجرنا في أصحاب محمد ﷺ وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين، فقال: سل يا أمير المؤمنين عما بدا لك، فقال: يا أبا الأسود أيهم كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال: أشدهم حباً لرسول الله ﷺ وأوقاهم له بنفسه، فنظر معاوية إلى عمرو وحرك رأسه، ثم تمادى في سألته، فقال: يا أبا الأسود فأيهم كان أفضلهم عندك؟ قال: أتقاهم لربه وأشدهم خوفاً لدينه، فاغتاظ معاوية على عمرو ثم قال: يا أبا الأسود فأيهم كان أعلم؟ قال: أقولهم للصواب وأفضلهم للخطاب، قال: يا أبا الأسود فأيهم كان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاءً وأحسنهم غناءً وأصبرهم على اللقاء، قال: فأيهم كان أوثق عنده؟ .

قال: من أوصى إليه فيما بعد، قال: فأيهم كان للنبي ﷺ صديقاً؟ قال: أولهم به تصديقاً.

فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا جزاك الله خيراً، وهل تستطيع أن ترد مما قال شيئاً؟ فقال أبو الأسود: إني قد عرفت من أين أتيت، فهل تأذن لي فيه؟ فقال: نعم قل ما بدا لك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الذي ترى هجا رسول

الله ﷺ بأبيات من الشعر فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني لا أحسن أن أقول الشعر فألعن عمرواً بكل بيت لعنه، افتراه بعد هذا نائلاً فلاحاً، أو مدركاً رباحاً، وأيم والله أن امرءاً لم يعرف الأسهم أجيل عليه فجال لحقيق أن يكون كليل اللسان ضعيف الجنان، مستشعراً للاستكانة، مقارناً للذل والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال ولا ناظراً في تسطير المقال، أن قالت الرجال أصغى، وأن قامت الكرام أقعى، ثم لم يزل في دجة ظلماء مع قلة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، والمكر والخداع في النار.

فقال عمرو: يا أخا بني الدؤل، والله إنك لأنت الذليل القليل، ولولا ما تمت به من حسب لكنانة لاختطفتك من حولك اختطاف الأجدل الحدّية، غير أنك بهم تطول وبهم تصول، فلقد استطبت مع هذا لساناً قوالاً، سيصير عليك وبالاً وأيم الله أنك لأعدى الناس لأمير المؤمنين قديماً وحديثاً، وما كنت قط بأشد عداوة منك له الساعة، وإنك لتوالي عدوه، وتعادي وليه، وتبغيه القوائل ولئن أطاعني ليقطعن عنه لسانك وليخرجن من رأسك شيطانك فأنت العدو المطرق له أطراق الأفعوان.

ومن شعراء بني الديل: الحزين الكناني[1] وهو عمرو بن عبيد بن وهب من شعراء دولة بني أمية، حجازي مطبوع، كان هجاءاً خبيث اللسان لم يغادر الحجاز أبداً وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح، ومدح عبدالله بن عبدالملك بن مروان، فقال:

في كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

---

(١) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٥. وابن جعفر، نقد الشعر، ص٦٤.

يغضي حياءً ويغضي من مهابته ... فما يكلم إلى حين يبتسم

وقد هجا الحزين الكناني كلاً من عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام وعاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان وسعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف.

بنو ليث بن بكر:

ولد ليث: عامراً، جندعاً، سعداً.

وولد عامر بن ليث: كعباً، شجعاً، قيساً وعتوارة.

وولد كعب بن عامر: عوفاً وزبيباً.

وولد عوف بن كعب: يعمراً وعامراً وكلباً وسعداً[1].

ومن مشاهيرهم: يعمر بن عوف بن كعب وهو الشداخ، ولقب بالشداخ لقوله: شدخت الدماء تحت قدمي، وذلك في حكمه بين قريش من جهة وخزاعة وبكر من جهة أخرى في نزاعها على ولاية البيت[2].

وعاصر يعمر بن عوف الليثي قصي القرشي، وحكم له بولاية البيت العتيق.

وولد يعمر: المُلوّح وعبدالله وقيساً وأحمز ورَحلاً وضيغما.

ومن ولد الملوّح: يزيد ويدعى ذو العنق ومعبداً ويدعى ذو التاج[3] وذو العنق وذو التاج كنى تدلل على سيادة الرجلين.

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٣٧. وابن حزم، الجمهرة، ص٤٦٥.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٣٧.

(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٣٨.

وقال بلعاء بن قيس في الملوّح:

وكم كان في الـ الملـوّح مـن فتـى | منادى مفدى حـين تبلـى سـرائره
وكم كان في الـ الملـوّح مـن فتـى | يجيب خطيبـاً لا تخـاف عـوائره[1]

ومن ساداتهم عامر بن يزيد الذي قتله مكرز بن حفص القرشي ثأراً لأخيه وعلق سيفه بأستار الكعبة، وقال:

حفظت له جاشي وألقيت كُلكلي | على بطل شاكي السلاح مجرب[2]

ومن أخبار بني الملوّح في الإسلام، ما كان في السنة الثامنة للهجرة إذ أرسل رسول الله ﷺ سرية يرأسها غالب بن عبدالله الليثي لغزو بن الملوح وكانوا يسكنون الكديد، فلما اقترب غالب الليثي منهم أخرج له ربيئه، فخرج رجل من بني الملوح، فقال لامرأته: إني أرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك، هل تفقدين منها شيئاً، فنظرت فقالت: لا، قال: ناوليني قوسي وسهمين، وعندما أعطته القوس أرسل سهماً فأصاب ربيئة المسلمين والربيئة لا يتحرك خوف انكشاف أمر أصحابه، وأرسل الرجل الملوّحي سهمه الثاني فأصاب الربيئة، فقال لامرأته: لو كان هذا ربيئة لعدو لتحرك، لقد خلطه سهماي، إذا أصبحت فأبغيهما لا يمضغهما الكلاب، وفي وجه السحر أغار عليهم ابن عمهم غالب الليثي بسريته فقتلوا بعضاً منهم واستاقوا نعمهم فطلبهم بنو الملوح، فلم يقدروا إذا كان الوادي قد سال ماءاً فحجز بينهم[3].

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٢٥٣.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٨٥.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٨٥.

ومن بني عبدالله بن يعمر: حُميضه وهو بلعاء بن قيس بن ربيعة ابن عبدالله بن يعمر، أحد سادة كنانة، ورأسها في مغازيها فقد رأسها في يوم ذات نكيف وذات المشلل ويوم الفجار ويعد في الجرارين من مضر (الجرار من يقود الفاً) كان له لقبان أحدهما مدح والآخر ذم.

فأما المدح فـ (المحجب) أو (المحجوب) إذ يقول عنه بنو الليث أنه كان يحجب بالنبل من مكان بعيد، واللقب الآخر (بائع الجيران) لأنه كان لجوجاً شكساً وداهية لا يرام وبلعاء كان قد هاجم قوافل النعمان عامل الفرس مرتين وذلك لأن النعمان كان قد قتل أخاً لبلعاء، فصار النعمان لا يجسر أن يبعث لطائمه إلى الحجاز حتى يجيرها رجل على العرب.

أصيب بلعاء بالبرص فاشتد على بني الليث ما به، فقالوا: سيف الله صقله، ويزعم أهل الحجاز أن بلعاء قال في مرضه: (سيف الله حلاّه) ورواية أهل العراق: (سيف الله جلاّه)، وقد مات بلعاء قبل يوم الجريرة وهو آخر أيام الفجار[1].

ويعد بلعاء بن قيس في الشعراء، حتى قيل أنه قال في كل فن أشعاراً جياداً، فمنها قوله:

وأبغي صواب الظن أعلم أنه ... إذا طاش ظن المرء طاشت مقاصده

وقوله:

قاتلوا القوم يا خزاع ولا ... يدخلكم من قتالهم فشلُ

---

(١) انظر: المعارف، ص٢١٥. وعيون الأخبار، ج٤، ص٦٣. والحيوان، ج٥، ص١٦٧. والبرصان والعميان، ص٤٧ و ٤٨ و ٤٩. وشرح التبريزي، ج١، ص١٨٩.

القوم أمثالكم لهم شعر   في الرأس لا ينشرون إذا قتلوا

وقوله:

وفارسٍ في غمار الموت مُنغمس   إذا تألى على مكروهة صدقا
غشيته وهو في جأواءَ باسلة   عضبا أصاب شواء الرأس فانفلقا
بضربة لم تكن مني مخالسةً   ولا تعجلتها جبناً ولا فرقاً

ومن بني يعمر الليثين: الصعب بن جثامة، صحابي، قال رسول الله ﷺ عنه يوم حنين: لولا ابن جثامة الأصغر لفضحت الخيل[1] وأخوه محلم بن جثامة[2].

ومن بني يعمر: بكير بن عبدالله، كان له عظم غناء في فتوحات المشرق وقتال الفرس والترك، حتى مدحه الشعراء، فقال الشماخ بن ضرار الثعلبي:

وذكرني أهل القوادس أنني   رأيت رجالاً واجمين بأجمال
وغيبت عن خيل بموقان أسلمت   بكير بني الشداخ فارس أطلال
لقد كان يرمي سيفه وسنانه   من العنق الداني إلى الحجر البالي
وقد علمت خيل بموقان أنه   هو الفارس الحامي إذا قيل تنزال

ومن بني يعمر: يزيد بن بكر بن دأب، كان عالِماً ناسباً رواية وشاعراً كان يرى رأى الخوارج، قال:

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٠.
(٢) نهاية الأرب في معرف أنساب العرب، ص٤٣٣.

الله يعلـــم في علـــي علمـــه وكـــذاك علـم الله في عثمـــان[1]

ومن ولد يزيد هذا: عيسى ويعرف في العامة بـ (ابن دأب) كان من أحسن الناس حديثاً وبياناً، وكان شاعراً وراوية وصاحب رسائل وخطب يجيدها جداً[2] وكان يجالس الخليفة الهادي العباسي، وكان الخليفة يُعد له متكأ ولم يكن غيره يطمع منه بذلك، وكان يقول له: يا عيسى ما استطلت بك يوماً ولا تعله ولا غبت عني إلا ظننت أني لا أرى غيرك[3]، وروى عيسى بن دأب عن هشام بن عروة وابن أبي ذئب وصالح بن كيسان، وروى عنه محمد بن سلام الجمحي وحوثرة بن أشرس، وتوفي عيسى قبل مالك بن أنسى بسنة، أي أن وفاته كانت في سنة ١٧٨هـ.

ومن آل دأب الليثين: حذيفة بن دأب[4].

ومن بني يعمر: المتوكل بن عبدالله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمر ابن لقيط بن يعمر[5] المعروف بالمتوكل الليثي، كان شاعراً وجدانياً مجيداً مطيلاً مع متانة وسهولة ورقة، وأغراض شعره المديح والهجاء والغزل والفخر والحكمة والاعتذار، يعد رأس الطبقة السابعة من لشعراء الإسلاميين ومن أهل الكوفة عاصر معاوية بن أبي سفيان والتقى الأخطل وأنشده من شعره، ومما قاله في الفخر:

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٠٧-٣٠٨.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٧١.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٠٧-٣٠٨.
(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٧١.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص١٥٨ وما بعدها. وابن سلام، طبقات الشعراء، ص١٤١.

إننــا معــشر خلقنــا صــدوراً　　　مــن يــسوي الــصدور بالأذنــاب

فقال له الأخطل: ويحك يا متوكل لو نجت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس.

قال ابن رشيق في عدمته: والذي يقع عليه الاختيار عندي (أي اختيار ابن رشيق لأحسن ما قيل في الفخر) هو قول المتوكل المذكور[1] والمتوكل هو الذي يقول:

أنــا وإن كرمــت أوائلنــا　　　لــسنا علــى الأحــساب نتكــل

نــبني كمــا كانــت أوائلنــا　　　تــبني ونفعــل مثــل مــا فعلــوا

كان المتوكل كريم الأخلاق، قيل أنه مدح عكرمة بن ربعي، المعروف بـ (الفياض)، فحرمه عكرمة، وقيل له: جائك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفته، وأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها، وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث لي سراً.

وللمتوكل الليثي رأى في حركة المختار الثقفي وجماعته، فهو يرى المختار دجالاً، ويتهم من معه بقتل الحسين ﷺ، فيقول:

قتلــوا حــسيناً ثــم هــم ينعونــه　　　إن الزمــان بأهلــه أطــوار

لا تبعــدن بــالطف قتلــى ضــيعت　　　وســقى مــساكن هامهــا الأمطــار

ابــني قــسي أوثقــوا دجــالكم　　　يحــل الغبــار وأنــتم أحــرار

(١) ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص١٤٦.

لو كان علم الغيب عند أخيكم ... لتوطأت لكم به الأحبار
ولكان أمراً بيننا فيما مضى ... تأتي به الأنباء والأخبار
إني لأرجو أن يكذب وحيكم ... طعن يشق عصاكم وحصار
ويجيئكم قوم كأن سيوفهم ... بأكفهم تحت العجاجة نار
لا ينثنون إذا هم لاقوكم ... إلا وهام كماتكم أعشار

وقال:

أبلغ أبا إسحاق أن جئته ... إني بكرسيكم كافر
تغزو شبام حول أعواده ... وتحمل الوحي له شاكر
محمرة أعينهم حوله ... كأنهن الحمص الحادر[1]

ومن بني يعمر: عروة بن أذينة[2] وهو عمرو بن يحيى بن مالك بن الحارث، عُدّ من الفقهاء والمحدثين، ومن أعيان العلماء وكبار الصالحين، وهو شيخ مالك بن أنس، روى عنه جماعة من العلماء وكان عروة بن أذينة خرج من المدينة إلى الشام يريد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك وكان معه رجال من أهل المدينة، بعد أن أذن لهم مسلمة بن هشام بالوفود على الخليفة، فلما دخلوا عليه، انتسبوا له بعد أن سلموا عليه، فقال هشام بن عبدالملك، ما جاء بك يا ابن أذينة؟ فقال ابن أذينة:

أتينا نمت بأرحامنا ... وجئنا بأذن أبي شاكر

---

(١) للمتوكل الليثي ديوان جمعه وحققه، د. يحيى الجبوري.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣٢٢ وما بعدها.

فــإن الــذي ســار معروفــه بنجــد وغــار مــع الغــائر
إلى خــير خنــدف في ملكهــا لبــادٍ مــن النــاس أو حاضــر

فقال هشام: ما أراك إلا قد كذبت نفسك حيث تقول:

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي إن الذي هـو رزقـني سوف يـأتيني
أســعى لــه فيعينــيني تطلبــه ولــو جلــست أتــاني لا يعنــيني[1]

فقال عروة: ما كذبتُ نفسي يا أمير المؤمنين، ولكن صدقتها وهذا من ذاك، ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة، فلما أمر لهم هشام بجوائزهم فَقَد عروه، فقال: أين ابن أذينة؟ فقالوا: غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين فانصرف راجعاً إلى المدينة فبعث له هشام بجائزته:

وعروة هو الذي يقول:

نــراع إذا الجنــائز قابلتنــا ويحزننــا بكــاء الباكيــات
كروعــة ثلــة لمغــار ذئــب فلمــا غــاب عــادت راتعــات

وله في الغزل:

قالت وابثثها وجدي فبحت بـه قد كنت عندي تحب السر فاستر
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

وقال:

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٣٤٢ وما بعدها.

إذا وجدت أوار الحب في كبدي عمدت نحو سقاء القوم ابتردُ
هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقد[1]

ومن بني ليث المذكورين: الحارث بن وهب، كان عاملاً للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وكان في جملة من صادر عمر ﷺ أمواله، قال له عمر ﷺ : ما قلاص وأعير بعتها بمائة دينار؟ قال: خرجت بنفقة لي فاتجرت فيها، قال عمر ﷺ : أنا والله ما بعثناك للتجارة، ادّها، قال: أما واله لا أعمل لك بعدها، فقال عمر ﷺ : أنا والله لا أستعملك بعدها[2].

ومنهم أبو عقب الليثي، كان يرى أن لبني أسد وبني غني يداً في قتل الحسين، فيقول:

وعند غني قطرة من دمائنا وفي أسد أخرى تعد وتذكر[3]

ومنهم: عبدالله بن عمير الليثي، أخو عبدالله بن عامر بن كريز والي البصرة للخليفة عثمان بن عفان ﷺ ومن بعده لمعاوية، أمهما دجاجة بنت أسماء بنت الصلت السليمة، كان يعد وزيراً لعبدالله بن عامر، وقد أقطعه عبدالله بن عامر ثمانية آلاف جريب في البصرة حفر فيها نهراً سمي بنهر ابن عمير[4].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الغاني، ج١٨، ص٣٤٢.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٢، ص٤٢-٤٣.
(٣) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٦، ص٦٤.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٤٩.

ومن بني الليث: نصر بن عاصم الليثي المعي شهد الجميع بفضله، تابعي عرض على أبي الأسود الدؤلي، وعرض عليه عمرو وعبدالله بن إسحاق، كان فقيهاً، عالِماً بالعربية، قال عنه عمرو بن دينار: اجتمعت أنا والزهري ونصراً فقال الزهري: إنه (أي نصر) ليفلق بالعربي تفليقاً وأخذ عنه عمرو بن العلاء، وهو أول من نقط المصاحف وخمّسها وعشّرها.

ومنهم يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي المدني نزيل البصرة، قدم بغداد فحدث بها عن عبدالرحمن الأعرج، ومحمد بن المنكدر، وابن شهاب الزهري وغيرهم، مات بالبصرة في زمان المهدي، ويرى الجاحظ أن يزيداً هذا في قمة رواة الأخبار[1].

وعاصم بن عمرو بن خالد[2] منهم، وكذلك عبدالله وعاصم ولدا فضالة الليثي كانا قاضيين أيام خلافة يزيد بن معاوية في البصرة[3] وكذلك هشام بن هبيرة بن فضالة الليثي ولي القضاء في البصرة حتى أول سلطان الحجاج بن يوسف الثقفي[4].

ومن بني الليث: عمرو بن بحر بن محبوب - أبو عثمان، المعروف بالجاحظ، يقول الدكتور طه حسين عنه: العرب لم يخطأوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربي[5].

---

(١) الجاحظ، البرصان، ص١٤٥.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٣٧.

(٣) وكيع أخبار القضاة، ج١، ص٢٩٧.

(٤) وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص٣٠٣.

(٥) د. طه حسين، البيان العربي من الجاحظ إلى... ، ص٣.

أما الدكتور شوقي ضيف: فيقول: لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الجاحظ يعد غير منازع مؤسس البلاغة العربية[١].

وللجاحظ مساهمات فلسفية وعلمية لا تقل أهمية عن إسهاماته في المجال الأدبي إذ إنه يعد عالماً في الحيوان من خلال ما كتبه في كتابه المشهور (الحيوان)[٢].

وعدّ البعض الجاحظ في الموالي، فقالوا إنه كناني بالولاء، وقد تصدى الدكتور محسن غياض عجيل بالبحث والتحقيق فدفع الشبهة، وأزال اللبس، قال الدكتور محسن غياض ما نصه: «والجاحظ عربي في نسبه وفي نشأته وفي ثقافته وأفكاره وأحاسيسه ومشاعره، وهو عندنا عربي النسب من كنانة صليبة وليس ولاءً، ولا نرى مبرراً للشك في نسبه العربي، ولا حجة على ولاءه غير ذلك النص المفرد المنعزل الذي لم يؤيده خبر آخر، وهو نص يعزى إلى يموت بن المزرع، وكان الجاحظ خاله أو خال أمه، وفيه يقول: إن أحد أحداد الجاحظ كان أسوداً وكان حمالاً لعمرو بن قلع الكناني، ولم يذكر هذا الخبر أحد من معاصري الجاحظ أو من جاء بعده بزمن قليل، وكان أول من ذكره الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ وبينه وبين الجاحظ قرنان من الزمن، وتلاه في هذا نقلاً عنه السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ وابن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ، وهما من أهل القرن السادس، ثم ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ وهو من القرن السابع، وغريب أن يعتمد الأستاذان شارل بلات وطه الحاجري هذه الرواية، ويرجحان ولاء الجاحظ، وأنه ربما كان من أصل إفريقي، لما ذكره من سواد

---

(١) د. شوقي ضيف، البلاغة وتطور التاريخ، ص٥٧.

(٢) د. عبدالحسين مبارك ود. عبدالجبار الياسري، من مشاهير العرب، ص٢٣٢.

جلده ولدفاعه عن السودان في رسالته (فخر السودان على البيضان)، وقد توقف أستاذنا الدكتور شوقي ضيف في مسألة نسب الجاحظ ولم يقطع فيها برأي. وأما الأستاذان السندوبي وعبدالحكيم بليغ فقد رجحا نسبه العربي بدلالة ردّه على الشعوبية وفخره بالعرب وإشادته بهم.

ومع ثقتنا بالخطيب البغدادي، وكان حافظ المشرق في زمانه وأكبر علماء الحديث والمؤلفين منه، فينبغي ألا نتجاهل تلك الخصومة التاريخية والمستمرة بين المعتزلة وأهل السنّة وعلى رأسهم المحدثون، ولعله كان يسر محدثاً كبيراً كالخطيب أن يجد مغمزاً في نسب معتزلي كبير كالجاحظ، والغريب حقاً أنه ذكر رواية يموت وبينها قرنان من الزمان، دون سند متصل به، فقال: وذكر يموت بن المزرع أن الجاحظ ... الخ» .

وإذا كان الذي أعطى رواية يموت قوة مع أنها منفردة متأخرة لا سند لها، قرب الرجل من الجاحظ عائلياً، فإنه من غير المعقول أن نصدق ابن أخت الجاحظ، ولا نصدق الجاحظ نفسه، في مسألة شخصية تتصل بنسبه، والناس مؤتمنون على أنسابهم، ومهما كان نص يموت قوياً فقد عثرنا لحسن الحظ على نص أقوى منه، وهو شهادة الجاحظ نفسه في نسبه، وهو نص نادر نفيس لم يلتفت إليه أحد من الباحثين، وقد دلّني عليه أستاذنا الدكتور مصطفى عبداللطيف جاووك، وهو قول الجاحظ: «وأنا رجل من بني كنانة – وللخلافة قرابة – ولي فيها شفعة – وهم بعد جنس وعصبة، فأقل ما أصنع أن أكثرت لي (أي من النبيذ) أن أطلب الملك، وأقل ما يصنعون بي أن أنفى من الأرض» .

وفي هذا النص على قصره أربعة تأكيدات على صراحة نسبه في كنانة وهي:

١- أنا رجل من كنانة. ٢- وللخلافة قرابة. ٣- ولي فيها شفع. ٤- وهم بعد جنس وعصبة.

وهو يشير بهذا إلى ما يربطه بالعباسيين القرشيين من رابطة النسب، لأن قريشاً كما هو معروف بطن من كنانة، وهو يسمي العباسيين جنس وعصبة، وهي إشارة صريحة إلى رابطة الدم، فعصبة الرجل أعمامه دون الناس، لغةً واصطلاحاً، وجنسه قومه وأهله، وهو يرتب على ما يربطه بهم من رابطة الدم، شفعة له بالخلافة، هي شفعة تقررها رابطة والنسب المشترك، ولا علاقة للولاء بها، وقد قالت الناس قديماً: الخلافة في قريش، ولم يقل أحد أنها حق لمواليها أيضاً.

إنه من الغريب حقاً أن يتجاهل بعض الباحثين هذا النص الصريح الذي يؤكد فيه الجاحظ نسبه الكناني كل هذا التأكيد المتكرر ويتعلق برواية ضعيفة منسوبة لابن أخته، يتجاهلون هذا من كتابة الجاحظ ويعولون على كتابة أخرى له يعتقدون أنها تسند دعواهم، وهي رسالته في فخر السودان على البيضان، وهي رسالة لا علاقة لها بأصل الجاحظ، وإنما هي لون من كتابته في المفاخرات، وقد كتب في هذا اللون أيضاً رسائل في مفاخرات القحطانية والعدنانية وهاشم وعبد شمس والجواري والغلمان ومناقب الترك، فهل كان للجاحظ طرفاً في كل هذا؟ هاشمياً تركياً غلاماً؟

هل يدل سواد جدّه وعمله جمالاًن على فرض صحة رواية يموت جدلاً، هل يدل ذلك بالضرورة على أن ذلك الجدّ لم يكن عربياً وهو من أصل إفريقي؟ الم تعرف العرب السواد؟ الم يذكر الجاحظ بعض العرب الذين اشتهروا بسوادهم، سواء ألحقهم ذلك من أماتهم السوداوات كعنترة بن شداد العبس،

وإبراهيم بن المهدي العباسي الهاشمي، أم لسكناهم في بيئة قاسية شديدة الحرارة كبني سليم (أن في العرب قبائل سوداً كبني سليم بن منصور، وكل من نزل الحرة من غير بني سليم كلهم سود).

وقد ذكر الجاحظ طائفة من أشراف العرب وقبائلهم، ممن وصفوا بالسواد وزاد على ذلك قوله: «والعرب تفخر بسود اللون وقد فخرت خضر محارب بأنها سود، والسود عند العرب خضر» ولم يكن كل العرب أغنياء أصحاب إبل وسائمة، وإنما كان بينهم الفقراء الذين لا يملكن شيئاً وهؤلاء دون شك يعملون رعاة وخدماً عند شيوخ قبائلهم وأغنيائها، وإذا كانت حالتهم الاجتماعية في هذا مقاربة لدرجة العبيد، فإنها لا تنزع عنهم دون شك شرف الانتساب للقبيلة ولا تخرجهم من أبنائها، وإذن فما المانع أن يكون جدّ الجاحظ كنانياً صليبة لحقه السواد من أمه أو من طول عمله في شمس الصحراء القاسية، ثم كان رجلاً فقيراً يرعى جمال غني من أغنياء قومه ويعيش في كنفه.

وقد كان الجاحظ في عصره رجلاً كثير الخصوم كثير الأعداء، سيما من الشعوبيين والموالي الذين ردّ عليهم وسخر منهم وفنّد مزاعمهم، فما رأينا أحداً منهم عابه بعجمه أو ردّه إلى ولاء، ولو صحّ عندهم ذلك وعلموه من أمره ما تعففوا عن ذكره والإساءة إليه، وربما ظن أحد أن الجاحظ قصد بقوله: «وأنا رجل من بني كنانة» رابطة الولاء لهم لقوله ﷺ (مولى القوم فيهم) وهذا وهم بعيد وظن خاطئ، فليس الجاحظ من يفعل هذا، وقد فهم من الحديث الشريف ما فهمته العرب، من أنه حض على رعاية المولى وإكرامه وليس المقصود فيه إلغاء أنساب الموالي وإدخالهم في العرب نسباً، وقد سخر الجاحظ ممن فهم هذا الفهم من المولى وعابه عليهم بقوله: «وقد نجمت من الموالي ناجمة ونبتت منهم

نابتة تزعم أن الموالي بولائه قد صار عربياً لقول النبي ﷺ مولى القول منهم»[1] انتهى.

بنو سعد بن ليث :

ولد سعد بن ليث: غيرة وحُمسياً وجُدياً وعوَداً.

وولد غيرة: ناشباً وسحيماً وحرة.

وولد حُميس بن سعد: ناشباً وكعباً وجَبَلة وعَمَراً[2].

ومن بني سعد: عمرو بن عبد العزى بن عبد شمس، خال سعيد بن العاص المعروف بأبي أحيحَة، كان عمرو بن عبد العزى يرى أنه أعز أهل تهامة، وقد صرح بهذا في مكة وأمام ساداتها، وكان لأبيه عبد العزى إخاء مع وجهاء مكة[3].

ومنهم مالك بن الحويرث بن أشيم بن زيد بن حُشيش بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد، ذكره ابن حجر في الصحابة[4].

ومنهم عاقل وإياس وخالد وعامر بنو البكير، شهدوا جميعاً بدراً مع رسول الله ﷺ واستشهد عاقل يومها، كان معاوية بن أبي سفيان يفخر ببني البكير على

---

(١) موسوعة البصرة، الحضارية، الموسوعة الفكرية، الصادرة من جامعة البصرة، المركز الثقافي عام ١٩٨٩، عنوان الموضوع (تطور النثر في البصرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين)، د. محسن عجيل، ص٤٨١.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٦. والوزير المغربي، الإيناس وهامشه مختلف القبائل ومؤتلفها، ص١٢٨.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص١٢٥.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣٤٢.

الأنصار، فيقول: لم يهد مع رسول الله ﷺ بدراً أربعة إخوة غيرهم[1] وكانوا يعدون في قريش لحلف لهم مع بني عدي رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومنهم الصحابي جليحة بن عبدالله استشهد يوم الطائف[2].

والصحابي واثلة بن الأسقع، منهم، روى عن رسول الله ﷺ[3].

ومنهم الصحابي عبدالله بن الهبيب بن أهيب بن سُحيم بن غيرة بن سعد ابن ليث، استشهد يوم خبير[4].

وكليب بن قيس الذي وثب على أبي لؤلؤة حين وجأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءه أبو لؤلؤة فقتله[5] وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد دعا لكليب، روى عبدالله بن عمر، قال: وجد الناس وهم صادرون من الحج امرأة ميتة بالبيداء، يمرون عليها ولا يرفعون لها رأساً، حتى مرّ بها رجل من بني ليث يقال له (كليب) فألقى عليها ثوباً ثم استعان عليها بمن يدفنها، فدعا عمر رضي الله عنه ابنه، فقال: هل مررت بهذه المرأة الميتة؟ فقال: لا، فقال عمر رضي الله عنه : لو حدثتني أنك مررت بها لنكلت بك، ثم قام عمر رضي الله عنه بين ظهراني الناس، فتغيظ عليهم، ثم قال: لعل الله أن يدخل كليباً الجنة بفعله عليها، فبينما كليب يتوضأ عند المسجد جاءه أبو لؤلؤة قاتل عمر رضي الله عنه فبقر بطنه[6].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٩١.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٩٦.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٦٢٦.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٢١٤.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٧.
(٦) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص٧٣٦.

ومن بني سعد بن ليث: عامر بن واثلة، المعروف بأبي الطفيل[1]، قيل عن أبي الطفيل، أنه آخر من بقي من الصحابة ممن رأوا رسول الله ﷺ وهو فارس كنانة ومن ذوي السيادة فيها، كان مع علي بن أبي طالب ﷺ ومن وجوه شيعته، رأس كنانة في صفين، وكان رمزاً لمضر كلها أمام ربيعة حين كادت أن تحوز فخر القتال ضد معاوية لوحدها.

روي أنه لم يكن شيء أحب إلى معاوية بن أبي سفيان من لقاء أبي الطفيل بعد أن تنازل له الحسن بن علي ﷺ ، فلم يزل يكاتبه ويلطف به حتى أتاه، فلما قدم عليه جعل يسأله عن أمر الجاهلية، ودخل عليه عمرو بن العاص ونفر معه، فقال لهم معاوية: أما تعرفون هذا؟ هذا خليل أبي الحسن، ثم قال: يا أبا الطفيل، ما بلغ من حبك لعلي؟

قال: حب أم موسى لموسى، قال: فما بلغ من بكائك عليه؟ قال: بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب، وإلى الله أشكو التقصير، قال معاوية: إن أصحابي هؤلاء لو سألوا عني ما قالوا فيما قلت في صاحبك، قالوا: إذاً والله ما نقول الباطل، قال لهم معاوية: لا والله ولا الحق تقولون، ثم قال معاوية: وهو أي أبو الطفيل الذي يقول:

إل رجب السبعين تعترفونني ... مع السيف في حواء جم عديدها

رجوف كمتن الطود فيها معاشر ... كقلب السباع بنمرها وأسودها

كهول وشبان وسادات معشر ... على الخيل فرسان قليل صدودها

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص١٤٣. وابن حزم الجمهرة، ص١٨٣. والزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٥٥-٢٥٦.

كأن شعاع الشمس تحت لوائها إذا طلعت أعشى العيون حديدها
يمورون مور الريح أما ذهلتم وزلت بأكفال الرجال لبودها
شعارهم سيما النبي وراية بها انتقم الرحمن ممن يكيدها
تخطفهم إياكم عند ذكرهم كخطف ضواري الطير طيراً تصيدا

ولما سجن عبدالله بن الزبير محمد بن علي (ابن الحنفية) في سجن عارم بعد عودته من الشام، خرج أبو الطفيل الكناني على راس جيش من الكوفة حتى أتوا السجن فكسروه واخرجوا محمداً، فسجن مصعب بن الزبير أم الطفيل، زوجة أبي الطفيل وابنه يحيى، فقال أبو الطفيل:

إن يك سيرها مصعب فإني إلى مصعب مذنب
أقود الكتيبة مستلئماً كأني أخو عرة أجرب
على قلاص تخيرتها وفي الكف ذو رونق يقضب

وخرج أبو الطفيل مع المختار بن عبيد الثقفي طالباً بدم الحسين بن علي ﷺ ولما حوصر المختار في قصر الإمارة بالكوفة، كان أبو الطفيل معه، فرمى بنفسه من القصر قبل أن يؤخذ، وقال:

ولما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسرا

وسأل بشر بن مروان أنس بن زنيم الديلي عن أفضل شعر قالته كنانة فأنشده أنس قصيدة لأبي الطفيل منها:

أيدعونني شيخاً وقد عشت برهة وهن من الأزواج نحوي نوازع

فقال بشر: إنه أشعر شعراء كنانة.

أما ابنه الطفيل، فقد كان خرج مع مطرف بن المغيرة على الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٧هـ، وكان على خيل الميسرة، قال عنه البراء بن قبيصة: إنه فارس مضر[١] وقتل الطفيل في حركة ابن الأشعث حيث كان من جملة من خرج معه، فرثاه أبوه:

خلى علي طفيل الهم وانشعبا   وهد ذلك ركني هدة عجبا
وابني سمية لا أنساهم أبداً   فيمن نسيت وكل كان لي وصبا
فأملك عزاءك إن رزءا بليت به   فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا
وليس يشفي حزيناً من تذكره   إلا البكاء إذا ما ناح وانتحبا

ويعد الطفيل الكناني في الشعراء حتى أن الأصمعي، قال: ختم الشعراء بابن هرمة الفهري وعد جماعة آخرين منهم الطفيل الكناني.

بنو عتوارة بن عامر بن ليث :

وتقرأ عتوارة بخفض العين وضمها، والعتورة الشدة في الحرب، وبنو عتوارة سميت بهذا الاسم لقوتها فقد كانوا أولي صبر وخشونة في الحرب[٢].

ولد عتوارة: طريفاً وبراً وعبد شمس وعبدالرحمن[٣].

(١) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٦، ص٢٩٧.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٢٠، ص٥٣٩.
(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٥.

من مشاهيرهم: عمرو بن عبدالله بن جابر، اشتهر بكرمه، قيل أنه كان يوقد ناراً في الليل ليهتدي إليه سالكو السبيل فلقب بالهاد[١].

ومنهم: علقمة بن وقاص بن محصن، صحابي شهد الخندق[٢].

ومنهم: عبدالله بن شداد بن أسامة، أمه سلمى بنت عميس، فهو أخو أولاد حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه لأمهم، وابن خالة أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذا محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وبعض ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذين أمهم أسماء بنت عميس، كان عبدالله بن شداد فقيهاً محدثاً، خرج مع ابن الأشعث، وفقد في وقعة الجماجم بعد أن اقتحم فرسه نهر دجيل سنة ٨١ أو ٨٢ للهجرة[٣].

ومن شعراء بني عتوراة: قيس بن دريح[٤].، وهو أخو الحسين بن علي رضي الله عنه من الرضاعة، وهو من عشاق العرب المشهورين ومعظم شعره في معشوقته لبنى، وشعره جميل المعاني سهل التركيب متين السبك، وكان مجنون ليلى (قيس ابن الملوح) معجباً بشعر قيس بن ذريح ويفيق من ذهوله إذا سمع إنشاده، وتوفي ابن ذريح سنة ٦٨هـ، ومن جميل شعره:

فواكبدي من شدة الشوق والأسى ... وواكبـــدي إنـــي إلى الله راجـــعُ
واعمد للأرض التي مـن ورائكـم ... لترجعـــني يومـــاً إليـــك الرواجـــع
نهـــاري نهـــار الـــواهين صـــبابة ... وليلـــي تنبـــو فيـــه عـــني المـــضاجع

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٥.
(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٨١.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٦٠.
(٤) الأصفهاني، الغاني، ج٩، ص٢١٠. وعمر فروخ، تاريخ الأدب، ج١، ص٤٢٥.

وقال:

لقد عنيتني يا حب لبنى فقع إما بموت أو حياة
فإن الموت أيسر من حياة منغصة لها طعم الشتات
وقال الأمرون تعزّ عنا فقلت ولا إذا حانت وفاتي

وهو القائل:

تشوقني ذكرى إذا ما ذكرتها وكم عَرْضُ أرضي دونها وسماءُ
ومن عبرات تعتريني أكفُّها ومن زفرات ما لهن فناء
ومن قولها أن القُوى قد تقطعت وهل لقوى لا تستجد بقاء
ومن أنها باتت ولم تدري ما الذي لها عندنا من خلةٍ وصفاء
ومن أريحيات الصبا عند ذكرها ولمات شوق ما لهن خفاء
فلا حبَّ حتى يلصق العظم بالحشا ولا وجدُ حتى لا يكون بكاء[1]

بنو كلب بن عوف:

ولد كلب بن عوف: سياراً وكعباً وعوفاً وقشيراً وحبيباً وناشرة والعجلان وقيساً وطريفاً وجعفراً وتماماً[2].

ومن مشاهيرهم: نميلة بن عبدالله، وكانت له صحبة، وغالب بن عبدالله له صحبة، وقيس بن المسحر وله صحبة أيضاً شهد مؤتة وقال فيها[3]:

(١) الأصفهاني، الزهرة، ج١، ص٤٠٣.
(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٣.
(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٣.

فـوالله لا تنفـك نفـسي تلـومني ... على مـوقفي والخيـل قابعـة قبـل
وقفـت بهـا لا مـستجيراً فنافـذاً ... ولا مانعاً من كان حـم لـه القتـل
علـى أنـي أسـيت نفـسي بخالـد ... ألا خالد في القـوم لـيس لـه مثـل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر ... بمؤتـة إذ لا ينفـع النابـل النبـل
وضـم إلينـا حجـزيتهم كليهمـا ... مهاجرة لا مـشركون ولا عـزل[1]

وقيس هذا ذكره ابن حجر، وقال: إنه كناني ليثي وهو الذي باشر قتل أم قرفة الفزارية حيث قتلها قتلاً شنيعاً وقتل النعمان بن سعد وذلك في شهر رمضان سنة ست للهجرة المباركة[2].

ومنهم: قسيط بن أسامة بن عمير[3] كان قد بعثه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلم أهل البادية القرآن.

بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة :

ولد ضمرة بن بكر: كعباً وجدياً ومليلاً.

وولد كعب بن ضمرة: جابراً والحارث وكليباً وعوفاً وزيداً وربيعة وعمراً.

وولد جدي بن ضمرة: عوفاً وقيساً وعتوارة وملحة وكعباً.

وولد مليل بن ضمرة: غفاراً ونعيلة.

وولد غفار بن مليل: حراماً وثعلبة[4].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٧.
(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٢٥٩.
(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٣.
(٤) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٢.

ومن بني ضمرة: البراض بن قيس بن رانع والذي قتل عروة بن الرحال سيد هوازن، ونهب لطيمة النعمان، فكانت حرب الفجار بين كنانة وهوازن[1].

وعامرة بن مخشي الذي وادع رسول الله ﷺ على قومه ضمرى أيضاً[2].

ومن بني ضمرة الصحابي عمرو بن أمية، كان رسول الله ﷺ أرسله إلى مكة لقتل أبي سفيان، ثم صار سفيراً لرسول الله ﷺ إلى النجاشي ثلاث مرات - الأولى يدعوه للإسلام - والثانية لخطبة أم حبيبة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ والثالثة لأعاده جعفر بن أبي طالب ؓ ، والمسلمين من الحبشة[3] وبسبب عمرو بن أمية كان إجلاء اليهود من بني النضير، إذ كان عمرو قد قتل ثلاثة من بني عامر وهو لا يدري أن رسول الله ﷺ أمنهم، فلما طلب الرسول ﷺ من بني النضير أن يشتركوا في دفع دية العامريين، تآمروا على قتله ﷺ فأجلاهم[4].

وكان عمرو بن أمية في بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر الدومة وهو الذي أتى رسول الله ﷺ بقباء الديباج المخوص بالذهب الخاص بأكيدر الدومة بعد أن سلبه المسلمون إياه[5].

ومنهم: جعيل بن سراقة الضمري، قال عنه رسول الله ﷺ لما قال له سعد ابن أبي وقاص ؓ : يا رسول الله أعطيت عينية بن حصن والأقرع بن حابس وتركت جعيل بن سراقة الضمري، فقال رسول الله ﷺ : أما والذي نفسي بيده،

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٣.

(٢) ابن حزم، الجمهرة، ص١٨٥. وابن خلدون، التاريخ، قسم ١، مجلد ٢، ص٦٦٤.

(٣) ابن خلدون، التاريخ، قسم ١، مجلد ٢، ص٧٩٠.

(٤) د. محمد عبدالسلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص١٠٢.

(٥) المتقي الهندي، كنز العمال، ص٥٨٩، الحديث ٣٠٢٨١.

لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلها مثل عينية والأقرع، ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه[1].

ومنهم: عمرو بن يثربي الضمري، كان في عسكر أمنا عائشة رضي الله عنها يوم الجمل، وقد أخذ بزمان جمل أم المؤمنين بيده[2].

ومن بني ضمرة: ابن جبير الرحالة[3]، واسمه محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبدالسلام بن مروان، والذي يعد في علماء الأندلس بالفقه والحديث والأدب، وكتابه (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) المعروف برحلة بن جبير والذي كتبه عن رحلته من الأندلس إلى المشرق وثيقة تاريخية للأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها البلدان التي زارها.

وله أشعار حسان منها قوله:

لا تغـــترب عـــن وطـــن ... واذكـــر تـــصاريف النـــوى
أمـــا تـــرى الغـــصن إذا ... مـــا فـــارق الأصـــيل ذوى

ومن لطيف شعره ما قاله حين وصل مكة شرّفها الله تعالى:

بـدت لـي أعـلامُ بيتِ الهـدى ... بمكـــة والنـــورُ بـــادٍ عليـــه
فأحرمـــتُ شـوقاً لـه بـالهوى ... واهـــديتُ قلـــبي هـــدياً إليـــه

(١) الواقدي، المغازي، ج٣، ص٩٥٢.
(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٢٩.
(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٤ وما بعدها.

وله شعر ينبئ عن حسن مذهبه، يقول:

أحب النبي المصطفى وابن عمه	علياً وسبطية وفاطمة الزهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم	وحبهم أسنا الذخائر للأخرى
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم	واطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا
وما أنا للصحب الكرام بمبغض	فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده	وهم نصروا دين الهدى بالظبي نصرا

ومن أكبر بطون بني ضمرة: بنو غفار بن مليل بن ضمرة.

منهم: معشر بن بدر الغفاري والذي قال في سوق عكاظ: أنا أعز العرب وكانت الفجار الأولى بسببه[(١)] ومنهم: إيماء بن رخصة، كان قد أهدى رسول الله ﷺ حين نزل الأبواء مائة شاة وبعيرين يحملان لبناً، أسلم وكان يصلي في قومه بني غفار[(٢)]، ومنهم الصابي أبو رهم الغفاري، أصيب بسهم في نحره يوم أحد، فجاء إل رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ فكان يسمى المنحور[(٣)].

ومنهم: كعب بن عمير الغفاري، كان رسول الله ﷺ قد بعثه إلى ذات اطلاح من البلقاء، فقتل جماعته وأصيب هو وتحامل حتى وصل المدينة[(٤)].

ومن بني غفار: سباع بن عرفطة، استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة أكثر من مرة[(٥)].

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥١.
(٢) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٥٧٧.
(٣) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢٥٠.
(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣٠١.
(٥) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١ و ص١٢٦.

والصحابي عمارة بن عقبة الغفاري، منهم، مات شهيداً يوم خيبر[1] ومنهم الصحابي أبي اللحم الغفاري قيل أنه لم يأكل ما كان يُذبح للأصنام[2].

ومنهم الصحابي: مسعود بن مالك، كان رسول الله ﷺ قد جعله على غنائم حنين. والصحابي أبو ذر الغفاري، واسمه جندب بن جنادة[3].

ومن القادة الغفارين: حذيفة بن أسيد الغفاري، كان من القادة الفاتحين للموصل[4] والحكم بن عمرو الغفاري ولي خراسان لزياد بن أبيه أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان.

ومن بني غفار: جلام بن جندل، كان غلاماً لمعاوية بن أبي سفيان على قنسرين والعواصم أيام خلافة عثمان بن عفان ﷺ[5].

ومن البرزات من الغفاريات، عزة بنت حبيل بن وقاص[6]، وجميل هذا هو أبو بصرة الغفاري وهو محدث، كانت عزة غزيرة الأدب رقيقة الحديث وهي من أهل المدينة، انتقلت أيام عبدالملك بن مروان إلى مصر فأمر بإدخالها على حرمه فيتعلمن منها أدباً، ويقال أنها دخلت على أم البنين أخت عمر بن عبدالعزيز أيضاً، وقد روت قسيمة بنت عياض الأسلمية في فضل عزة فقالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة فسمعنا بها فاجتمعت

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص١٩.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٥٧.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٧٦.

(٤) ابن خلدون، التاريخ، ص٩٦٨.

(٥) الأميني، الغدير، ج٨، ص٣٠٤.

(٦) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٥٧. والأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٣٧. والزركلي، العلام، ج٤، ص٢٩٩.

نسوة وأنا فيهن، فجئنا فرأينا امرأة حلوة حمراء نظيفة فتضائلنا لا ومعها نسوة لها عليهن فضل من الجمال، والخلق، إلى أن تحدثت ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا.

كان بنو غفار قبل الإسلام حلة، أي أنهم كانوا يحلون الأشهر الحرم ولا يدينون بالحمس دين قريش وبقية كنانة وكانوا يسرقون الحجيج وقد اتهمهم الأقرع بن حابس بهذا إذ قال لرسول الله ﷺ: إنما بايعك سراق الحجيج، وعدد قبائل منهم بني غفار.

بنو جُنْدع بن ليث:

ولد جندع بن ليث: عوفاً وزبينة وعامراً وحارثة والحارث وبكراً.

وولد عوف بن جندع: جُشَيْشاً وهلالاً وعديًا والأرْجل وعامراً.

وولد زبينة بن جندع: خماساً وحُمَيْساً وزُهرة[1].

ومن مشاهير بن جندعٍ عبدالله بن الحلا، كان فارساً، شاعراً، وينسب له البيت المشهور:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي[2]

ومنهم: عبيد بن عمير بن قتادة[3] وهو فقيه أهل مكة نزل البصرة، وله فيها عقب وتولى قضائها وقاتل مع مصعب بن الزبير، وكان يجلس ليقص، إذ

(١) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٨.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٨.

(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٨.

إنه من القصاص وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يجلس إليه[1]، وابنه عبدالله كان يروي عن أبيه وعن أمنا عائشة رضي الله عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم، وروى عنه جرير بن حازم وعبدالملك بن جريج والأوزاعي، وقتل في الشام في الغزو عام ١١٣هـ[2].

ومن بني جندع: نصر بن سيار[3] أمير خراسان ولاّه عليها هشام بن عبدالملك سنة ١٢٠هـ، كان نصر من الخطباء والشعراء يعد في أصحاب الولايات والحروب والتدبير والعقل والسداد.

ولقد أخطأ محمد بن عبدالقادر بامطرف حين ترجم لنصر بن سيار، في كتابه الجامع الجزء ٣ ص٥٦٦ ناسباً إياه إلى الأزد، وأخطأ الذين يعزو إليهم بامطرف كذلك، إن ما ذهب إليه بامطرف وغيره من نسبة نصر بن سيار إلى الأزد القحطانيين، فلو نحينا كتب الأنساب جانباً وما قاله النسابون، فإن شعر نصر بن سيار يقطع على أن الرجل من كنانة مضر، فها هو يقول:

فمن يكن سائلاً عني فإني ... أنا الشيخ الغضنفر ذو الكليم

نمتني من خزيمة باذخات ... بواسق ينتمين إلى صميم

وخزيمة أبو كنانة.

ويقول نصر:

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٩٢.

(٢) ... صحيح البخاري، ج٥، ص١٠٩.

(٣) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٨.

أنــا ابــن خنــدف تنمــيني قبائلــها   للــصالحات وعمــي قــيس عيلانــا

والمعنيون بالأنساب يعرفون خندفاً وأولادها، ويعرفون قيس عيلان.

وهو الذي يقول:

أنــا وهــذا الحــي مــن يمــن لنــا   عنـــد الفخـــار أعـــزة أكفـــاء
قـــوم لهـــم فينـــا دمـــاء جمـــة   ولنـــا لـــديهم أحنـــة ودمـــاء
وربيعـــة الأذنـــاب فيمـــا بيننـــا   لا هـــم لنـــا نـــصر ولا أعـــداء
إن ينـــصرونا لا نـــعُزُ بنـــصرهم   أو يخـــذلونا فالـــسماء سمـــاء

فهو يصرح أنه ليس يمانياً بل هو يرى في عرب الجنوب أكفاء لمضر التي ينتسب لها.

وقد وجدت الشاعر ابن عرس العبدي يمدح نصراً لبلائه يوم شعب، يقول:

يــا نــصر أنــت فتــى نــزار كلــها   فلــك المــآثر والفعــال الأرفــع[1]

أو ليس في هذا ما يؤكد أن نصر بن سيار رجل من عدنان.

ويامطرف يناقض نفسه في كتاب الجامع، فهو يقول أن نصر بن سيار من الأزد القحطانيين في ترجمته له ج٣ ص٥٦٦، ولكنه قبل ذلك كان قد قال وفي ترجمته لجديع الكرماني ج١ ص٢٧٥ ما نصه: «وأقام في خراسان حتى وليها

(١) الطبري، التاريخ، ج٧، ص٨٦.

نصر بن سيار «المضري» الذي تصفه كتب التاريخ بأنه مبغض لليمانية فتعصب عليهم وكان لا يستعين بأحد منهم» .

وجاء في الصفحة ٦٩ الجزء الأول من كتاب الجامع وفي معرض الترجمة لعلي بن الكرماني: «كان على رأس الوفد اليمني المكون من جماعة من اليمنيين المناوئين لمروان بن محمد الأموي وحكام أمصاره من المضريين» .

والغريب أن بامطرف ترجم لمشاهير من بني كنانة زاعماً أنهم قحطانيون فقد ذكر غالب بن عبدالله الليثي وعلقمة الفرّاسي، وعلقمة بن مجزز المدلجي والجاحظ الليثي، ذكرهم في عرب اليمن القحطانيين.

ومن أولاد نصر: تميم، وقد قتل في حرب أبيه مع أبي علي الكرماني[1] والليث وكان قد ولي بخارا، ومن ولد الليث رافع، كان قد خرج على الرشيد العباسي داعياً لبني أمية[2].

ومن أحفاد نصر: الليث بن المظفر بن نصر، قال الأزهري: أن الليث وضع كتاب العين ونسبه للفراهيدي، وقال آخرون أن الخليل ابتدأ بوضع الكتاب ولم يتمه وإنما أكمله الليث[3].

ومن بني جندع: عبدالملك بن يعلى ولي قضاء البصرة، قال عنه إياس بن معاوية: إذا أردت الفتيا فعليك بعبدالملك بن يعلى الليثي[4].

* * *

(١) ابن أعثم الفتوح، ج٨، ص١٥٣.
(٢) بامطرف، الجامع، ج١، ص٤٤٦.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٦٤.
(٤) وكيع، أخبار القضاة، ج٢، ص١٥.

الفصل الثاني

علاقة قريش بقبائل بني كنانة

قال الجاحظ: «ومن شؤم الإخوة أن شرفهم ضعة إخوتهم، ومن يُمن الأولاد أن شرفهم شرّف من قبلهم من آبائهم، ومن بعدهم من أولادهم وقد ضعضعت قريش لما جاءت به من الخصال الشريفة التامة من أركان كنانة سنام الأرض، وجبلها، وعينها التي تبصر بها وأنفها الذي به تعطس»[1].

كثير من الروايات والأخبار تفيد أنه لم يكن يسكن من قبائل بني كنانة في جزيرة العرب وتحديداً في الحجاز إلا بنو النضر وبنو مالك وبنو عبد مناة وقليل من بني ملكان. فلم يحضر من بني كنانة في حرب الفجار إلا قريش (بنو النضر) وبنو مالك وبنو عبد مناة، وهذه القبائل هي نفسها التي قاتلت المسلمين في بدر وأُحد والخندق وحتى فتح مكة.

إن رواية الواقدي في المغازي ورواية ابن إسحاق في السيرة، عن استعداد قريش لغزو المدينة والتي عرفت بمعركة أُحد في السنة الثالثة للهجرة، تشيران إلى أن قريشاً استصرخت بني مالك وبني عبد مناة للخروج معها ولم تندب أحداً

---

(١) الحيوان، ج٢، ص٢١٧.

سواهما، ولو كان أحد من بني كنانة غير المذكورين مستوطناً الحجاز لندبته قريش للخروج معها لقتال المسلمين[1].

وكانت مساكن هذه القبائل الثلاث تمتد من شمال اليمن حتى يثرب وعلى طول سلسلة جبال السراة، ولكن يبدو أن مركزهم الأساس هو تهامة حيث يسكن بنو بكر وبنو مالك وقريش، حتى أن أماكناً عُرفت باسمهم منها: خيف بني كنانة وهو المحصب.

ومن مواطنهم: الكديد وهي سكنى بني الملوّح وبني مالك، أما بنو جذيمة فإن الغميصاء موطنهم، وسكن بنو مدلج في ينبع والعشيرة وقُديد، وكانت ديار بني غفار في الصفراء والعرج وبدر، وسكن بنو ضمرة ودان والأبواء وبنو عريج في المهيعة وكان بنو عتوارة في السرُف.

وكان كثير من بني بكر وبني مالك يسكنون مكة مع القرشيين حتى أنه كان لبني بكر مجلس في المسجد الحرام، فقد روى عبدالله بن عبيد الله بن عمير بن عبدالله بن الحزين البكري، وكان قد عاش في الجاهلية قال: «لم يكن في قريش فخذ إلا ولهم نادٍ معلوم في المسجد الحرام يجلسون فيه وكان لبني بكر مجلس...»[2]، كما وكانت لبني بكر رباع بمكة إذ أن دار سعيد بن العاص والتي في ظهر دار سعيد كانت لبني بكر[3].

---

(١) لمزيد من المعلومات عن سكن قبائل كنانة يمكن الاطلاع على رسالة الدكتوراه المقدمة من السيد مجيد الزامل إلى كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة البصرة الموسومة بـ (عبد مناة بطن من كنانة).

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٨٩.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٤٤٧.

توسطت قريش (بنو النضر) بني كنانة، فكان سكنها في مكة وما حولها فالذين سكنوا مكة من قريش هم قريش البطاح أما من سكن حولها فهم قريش الظواهر.

وقبائل قريش البطاح هم: بنو عبد مناف وبنو عبد العزى وبنو عبدالدار وبنو عبد بن قصي بن كلاب وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو مخزوم ابن يقظة بن مرة وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدّي بن كعب وبنو حسل بن عامر ابن لؤي وبنو هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وبنو هلال بن مالك ابن جنبة بن الحارث بن فهر.

أما قبائل قريش الظواهر فه: بنو معيص بن عامر بن لؤي وتيم الأدرم بن غالب بن فهر ومحارب وحارث ابنا فهر وبنو هلال بن مالك بن جنبة[1].

وقبائل أخرى من قريش ليسوا من الظواهر ولا الأباطح.

علاقة قريش بكنانة كما يراها القرشيون :

القرشيون يضعون علاقتهم بكنانة في موضعها الصحيح، فهم يرون أنفسهم قبيلة من قبائل كنانة، ويرون بقية بني كنانة إخوة لهم، وكانوا يحفظون صلة الدم هذه في عصر ما قبل الإسلام واستمروا على ذلك بعد إسلامهم، وكانوا يرون بني مالك وبني عبد مناة أكفاءً لهم بالشرف فخلطوهم بأنفسهم.

وإذ كنا نلتمس الأخبار والروايات للتدليل على فعل (القريشيين) هذا فليس أصدق مما قاله الرسول محمد ﷺ قول، فلما قدم عليه ﷺ وفد كندة وكان يرأسهم الأشعث بن قيس، قال الأشعث:

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٦٧-١٦٨.

يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار.

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال له: لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا[1].

وروى وائل بن الأسقع الكناني، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[2].

هكذا يذيع رسول الله ﷺ في أمته أنه من بني كنانة، وليس بعد قول الصادق الأمين ﷺ المسدد بالوحي من قول: ولكننا سنعرض لأقوال وأفعال صدرت من قرشيين للاستئناس بها ليس إلا.

أم حكيم بنت عبدالمطلب ترثي أباها، تقول: إنه عقيل بني كنانة:

ألا يـا عـين جـودي واسـتهلي وبكـي ذا النـدى والمكرمـات
عقيـل بـني كنانـة والمرجـى إذا مـا الـدهر أقبـل بالهنـات[3]

وكذلك قالت أروى بنت عبدالمطلب، فهي تقول:

بكـت عـيني وحـق لهـا البكـاء علـى سمـح سـجيته الحيـاءُ

إلى أن تقول:

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٧٢. وابن جرير، التاريخ، ج٣، ص١٣٩.
(٢) ... صحيح مسلم، ج٢، ٣١٠.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٥٨ وما بعدها.

ومعقـــل مالـــك وربيـــع فهـــر وفاصـلها إذا الـتُمس القـضاءُ[1]

وأبيات لأبي طالب بن هاشم يقول فيها مخاطباً قريشاً:

قـل لمـن كـان مـن كنانـة في العـز وأهـل النـدى وأهـل المعـالي

قـد أتـاكم مـن المليـك رسـول فـأقبلوه، بـصالح الأعمـال

وهذا شعر منسوب للحصين بن الحمام المري، وحصين من بني سهم بن مرة، والذين هم من قريش ولكنهم صاروا في غطفان، ويقول حصين:

أبونـــا كنـــانيٌّ بمكـــة قـــبرهُ بمعتلج البطحاء بين الأخاشب[2]

وأورد الواقدي في المغازي، أن إيماء بن رخصة الغفاري بعث لقريش ابناً له بعشر جزائر وقال لهم إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فأنا معدون لذلك مؤدون فعلنا فأرسلوا، أي قريش، إن وصلت رحم. وفي هذا ما يؤكد أن قريشاً ترى علاقتها ببني غفار الكنانيين، ما هو أكثر من التحالف وإنما هو رحم يشدهم معاً[3].

ولصلة الدم هذه فإن القرشين كانوا يعاملون الكنانيات كما يعاملون القرشيات، فيمنعوهن كما يمنعون القرشيات. وهذا ما فعله أبو سفيان الأموي حين ذهب يفاوض ثقيفاً في غزوة الطائف وحصارها.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٥٩.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٩٣.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٨٨.

في السنة الثانية للهجرة، فبعد أن أخذ الأمان من ثقيف، دعا نساءً من قريش وأخريات من بني مالك بن كنانة ليخرجن إليه وكن متزوجات في ثقيف وكان أبو سفيان يخاف عليهن السبي، والكنانيات هن: هند بنت سويد الفراسية وأميمة بنت أمية الفقمية[1].

وعلى هذا النهج يستمر الخلفاء المسلمون من القرشيين في التأكيد على هذه الصلة، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ تستوقفه امرأة في السوق، فتقول: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغاراً ما ينضجون كراعاً، لا زرع لهم ولا جذع، وقد خشيت عليهم الضيعةُ، وأنا ابنة خفاف بن أسماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية، فيقف لها عمر ﷺ ولا يمضي، ويقول: «مرحباً بنسب قريب» ويجزل لها الفاروق ﷺ العطاء حتى يستكثره الناس[2].

ومن هذا ما قاله معاوية بن أبي سفيان أيام خلافته لسلمة بن الخطل العرجي الكناني وكان سلمة قد أغلظ بالقول لمعاوية، قال له معاوية: استغفر الله منك يا أحدب، والله لقد بررت في قرابتك[3] وما أروع ما قاله هشام بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي في حق نصر بن سيار الجندعي الكناني، فلما استعرض هشام المرشحين لولاية خراسان ورد اسم نصر بن سيار في جملة المرشحين، وشهد له الحاضرون بالشرف وحُسْن القيادة، ولكن رجلاً من الحاضرين يعترض فيقول: أن ليس لنصر بن سيار في خراسان عشيرة، فيرد الخليفة هشام: أنا عشيرته[4].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٩٤.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٢، ص٧٧. والمتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص٦٨٦. والبخاري الصحيح، ج٥، ص١٥٨.
(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٣٠.
(٤) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٧، ص١٥٥. وابن الأثير، التاريخ، ج٥، ص٢٢٧.

والمأمون الخليفة العباسي المشهود له بعلمه وعقله.. تلقاه امرأة على الفرات فتسأله عن نسبه، فيقول: أنا من معد الحمراء. ويستمر فيقول: من أكرم معد نسباً وأعظمها نسباً وخيرها أماً وأباً، ومن تخافه مضر كلها، فتعرف المرأة أن ذلك في كنانة لا في غيرها وتسأله إن كان من كنانة، فيقول: أنا من كنانة[١].

المصاهرات بين قريش وبين بطون كنانة:

لما كان القرشيون يرون أن بني كنانة الآخرين أخوتهم في النسب وأكفاءً لهم في الشرف فإنه لم يبق بطن من قريش إلا وتزوج في بني كنانة (ملكان ومالك عبد مناة).

شرّف رسول الله ﷺ بني غفار بأن تزوج امرأة منهم يقال لها الشنبا أو الشنباء ابنة عمرو[٢]، وفي رواية ثانية أن رسول الله ﷺ تزوج مليكة بنت كعب الليثية وأنه طلقها بعد أن استعاذت منه، وقيل أن رسول الله ﷺ كان قد دخل بها وماتت عنده[٣]، ورواية ثالثة تقول أن رسول الله ﷺ تزوج أسماء بنت النعمان الغفارية، فلما دخل عليها ودعاها، قالت: تعال أنت، فطلقها، ويروى في طلاقها سبب آخر غير ما ذكر وهو أن رسول الله ﷺ رأى بياضاً فيها، فقال لها: الحقي بأهلك[٤]. وكان مرة بن كعب قد تزوج هند بنت سرير المالكية فولدت كلاباً[٥].

---

(١) أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل مستطرق، ج١، ص٥٣.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٠٩.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٤٨.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٥٤.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٤.

وتزوج عبيد الله بن عباس أم حكيم بنت قارظ وهي من بني الحارث بن عبد مناة[1].

وتزوج عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب خلدة بنت علقمة الغفارية، فأنجبت له هشاماً وبه كان يُكنى ومحمداً[2] وتزوج قثم بن العباس الجنوب بنت الحكم بن عمرو الغفارية[3].

وتزوج الحارث بن فهر الوارثة بنت الحارث بن مالك بن كنانة[4] وتزوج وديعة بن الحارث بن فهر عميرة بنت الحارث بن عبد مناة بن كنانة[5]. وتزوج شيبان بن محارب بن فهر عُديّة بنت وائلة الحارثية الكنانية[6]، وتزوج حجوان بن عمرو وهو من بني محارب بن فهر ابنة جابر بن نصر الدؤلية[7] أما أخوه وائلة فقد تزوج هند بنت مالك الحارثية الكنانية[8].

ومن بني تيم القرشيين الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ كان قد تزوج أم رومان بنت عامر وهي من بني مالك بن كنانة[9].

(١) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٣، ص١٦٧.
(٢) البلاذري، الأنساب، ج١، ص٤٥٨.
(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ص٣١٥.
(٤) الكلبي، الجمهرة، ص١٢٣.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٢٣.
(٦) الكلبي، الجمهرة، ص١٢٠.
(٧) الكلبي، الجمهرة، ص١٢٢.
(٨) الكلبي، الجمهرة، ص١٢٠.
(٩) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٧٦.

وكانت البغوم بنت المعدل الكنانية زوجةً لصفوان بن أمية (أبو وهب) وأسلمت البغوم يوم فتح مكة[1].

وتزوج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد رملة بنت طارق بن علقمة الكنانية[2].

وتزوج عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فاطمة بن صفوان بن أمية الكنانية فولدت له أبا حذيفة وهو من الصحابة وشهد بدراً وله شقيق هو حفص[3].

وتزوج عبدالله بن الحارث بن أمية رملة بنت العلاء بن طارق الكنانية[4] وتزوج أبو سفيان بن حرب بن أمية زينب بنت نوفل بن خلف الفراسية الكنانية وولدت له يزيداً، وكان الخليفة أبو بكر ﷺ قد ولاّه ربع أجناد الشام[5] كما وتزوج أبو سفيان أميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم الكنانية[6] وزينب بنت نوفل الكنانية[7].

وتزوج العاصي بن أمية ابنة عبد شمس بن ياليل الليثية فولدت سعيداً المعروف بأبي أحيحة والذي يفتخر بأخواله فيقول:

غضبت قرش كلها لحليفها　　　وأني امرؤ بكر هم ولدوني[8]

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص٥٠٤.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢١٧.
(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٥٣.
(٤) مصعب الزبير، نسب قريش، ص١٥١.
(٥) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٦.
(٦) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢١٧.
(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٣٧.
(٨) الكلبي، الجمهرة، ص١٤٧.

وتزوج الحكم بن العاص آمنة بنت علقمة بن صفوان الكنانية فأنجبت له عثمان الأكبر والحارث ومروان الخليفة الأموي وعبدالرحمن وصالح وكان عبدالرحمن يفتخر بأخواله النسأة فيقول:

أبــو العــاص الأمــين وهاشــم　　وعثمان والناسي الشهور القلمس[1]

وتزوج سعيد بن أبي العاصي جويرية بنت سفيان بن عويف الكنانية وله منها أبان والذي نزل إيلة[2] أما بنو مخزوم فإن سيدهم المغيرة تزوج مرتين في بني كنانة إحداهما في بني الأحمر بن الحارث بن عبد مناة والأخرى في بني الحارث ابن مالك.

وتزوج عتبة بن أبي وقاص الزهري امرأة من بني الحارث بن عبد مناة فولدت له هاشماً الملقب (بالمرقال) كان من قادة الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

وتزوج حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي امرأة من بني فراس فولدت له هاشماً وكان هاشم من الصحابة وله فضل[4].

أما بنو عديّ فقد تزوج منهم نصر بن غانم من كنانية من بني فراس المالكيين فولدت له سلمة[5].

---

(١) الكلبي، الجمهرة، ص٤٦.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٠٦.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٦.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٦٤.

(٥) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٧٩.

وتزوج عمرو بن طريف بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف امرأة من بني ملكان وهي صفية بنت عبدالله بن بجاد[١].

وتزوج عبدالله الأكبر بن زمعة بن الأسود أمة بنت الحارث الفراسية[٢] وتزوج عبدالله بن عامر بن كرز من بني الحارث بن عبد مناة وله من زوجته هذه عبدالحكيم وعبدالمجيد[٣].

وقد يقول قائل أن زواج القرشيين من كنانيات سواءً كن من بني ملكان أو بني مالك أو بني عبد مناة لا يعني أن هذه القبائل تكافئ قريشاً في الشرف، كون العرب يتزوجون في قبائل دونهم شرفاً، فمنهم من تزوج سوداوات من الحبشة أو فارسيات، فنقول أن الحال ليس كذلك فقد وجدنا رحالاً من بني كنانة قد تزوجوا نساءً من بيوت قريش الكبيرة، ورغم أن كتب الأنساب لم تعن ببقية بطون بني كنانة غير القرشيين مثل عنايتها بقريش فإنها قد ذكرت أن خلف بن فوالة الفراسي تزوج عاتكة بنت عبد المطلب[٤] وتزوج عامر بن عوف الحارثي الكناني ريطة بنت عبد مناف[٥] وتزوج عمرو بن أمية الضمري سخيلة بنت الحارث بن عبدالمطلب[٦] وتزوج بجاد بن قيس بن سويد الملكاني أمه بنت نوفل ابن عبد مناف بن قصي[٧] وتزوج جثامة بن قيس الليثي فأخته الصغرى بنت حرب بن أمية (أخت أبي سفيان) وانجبت له قيساً وصعباً وليثاً ومحلماً[٨].

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٤.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٤٧.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٤٧.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٣ وما بعدها.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص٢٥٩.

(٦) ابن حبيب، المنمق، ص٣٠١.

(٧) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٣ وما بعدها.

(٨) مصعب الزبير، نسب قريش، ص١٢٣ وما بعدها.

وتزوج صبابة الليثي امرأة من بني سهم فولدت له مقيساً وهشاماً[1] وتزوج علقمة بن وقاص الليثي ابنة لعبدالله بن عثمان أخت طلحة بن عبدالله[2] وتزوج عمرو بن سفيان الدؤلي امرأة من بني عبد الدار بن قصي فولدت له أبا الأسود[3] وتزوج هبيب بن أهيب الليثي امرأة من بني أسد القرشيين فولدها عبدالله صحابي استشهد في يوم خيبر[4].

وتزوج عمر بن الفاكه المالكي الكناني هند بنت عقبة بن معيط[5]، وكان إبراهيم بن قارظ بن خالد الكناني صهراً لعبدالرحمن بن عوف الزهري فقد تزوج ابنته آمنة ولما ماتت تزوج أختها مريم[6].

قيادة قريش لبطون كنانة عامة

تجلت وحدة بطون كنانة وقيادة قريش للجمع الكناني أمام المخاطر والتهديدات التي كانت موجهة ضد ديانتهم ومعتقداتهم والدفاع عن بيت أبيهم إبراهيم فمن هذا ما كان من حرب ضد حمير، وما كان من أمر أبرهة الحبشي وهذان الحدثان كانا قبل الإسلام، أما بعد بعثة الرسول محمد بن عبدالله ﷺ فإن معركة بدر ومعركة أحد والخندق، كل هذه المعارك تدخل ضمن مفهوم الدفاع عن دينهم ومعتقداتهم أيضاً.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٩، ص٣٥٨.
(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٢١٥.
(٣) ابن قتيبة المعارف، ص٤٣٤.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٤٣٤.
(٥) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٦.
(٦) ابن حبيب،المحبر، ص٦٨.

وقد يكون السبب وراء هذه الوحدة تهديدات قبلية مبنية على الثأر والمفاخرة وهذا ما كان في حرب الفجار الآخر مع هوازن.

ودائماً كانت كنانة تسلم طائعة لقريش قيادتها في هذه الأحوال، فتقود قريش الجمع دونما منازع أو مخالف، حتى ولو قاتل أحد البطون تحت لواء خاص به.

وقد آثرتُ أن أعرض الروايات والأخبار التي تشير لحضور عموم قبائل بني كنانة الساكنين في الحجاز لهذه الحروب ومشاركتهم فيها دونما تعليق إلا إذا اقتضى الخبر أو الرواية توضيحاً.

١- الدفاع عن الكعبة امام حمير (عرب الجنوب) :

وكان حسان فيما قيل، أقبل من اليمن مع حمير وغيرهم يريد أن ينقل أحجار الكعبة إلى اليمن، فنزل بنخلة، فاجتمع قريش وكنانة وخزيمة وأسد وجذام وغيرهم، ورئيسهم فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وفهر هو جماع قريش على قول ابن هشام، فاقتتلوا قتالاً شيداً، وأسر حسان وانهزمت حمير وبقي حسان بمكة ثلاث سنين وافتدى نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن[1].

٢- حملة ابرهة الحبشي على مكة :

بنى أبرهة في صنعاء كنيسة وسماها القلّيس وأراد أن يصرف إليها حج العرب بدلاً من الكعبة، وأخبار القليس وحملة أبرهة ودور قبائل بني كنانة في التصدي لما أراد أبرهة هي:

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٦.

(فانتشر خبر بناء هذا البيت في العرب فدعى رجل من النسأة من بني مالك بن كنانة، فتين منهم فأمرهما أن يذهبا إلى ذلك البيت الذي بناه أبرهة بصنعاء فيحدثا فيه، فذهبا وفعلا ذلك)[1].

(قال ابن إسحاق: «فخرج الكناني حتى أتى القُليس فقعد فيها، قال ابن هشام: يعني أحدث فيها، قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيل صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج إليه العرب بمكة لما سمع قولك، اصرف إليها حج العرب، غضب فجاء فقعد فيها أي أنها ليست لذلك بأهل»)[2].

(إن أبرهة قال: لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب، وتحدث العرب بذلك، فغضب رجل من النسأة أحد بني فقيم ثم أحد بني مالك وخرج حتى أتى القليس فقعد فيا ولحق بأرضه، بعث أبرهة في الناس يدعوهم إلى حج القليس، فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل)[3].

(كان أبرهة الحبشي قد سجن كلثوم بن عميس، وهو أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة ، وسمع كلثوم هذا أن أبرهة عازم على غزو الكعبة، فأرسل لقومه بشعر يقول فيه:

الا ليـت أن الله أسمـع دعـوة	وأرسـل بـين الأخـشبين مناديـا
أتتكم جموع الأشرم الفيـل فيهم	وسـود رجـال يركبـون الـسعاليا

(1) الأزرقي، اخبار مكة، ج١، ص٩١.

(2) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤٠.

(3) ابن خلدون، تاريخ رقم ١، مجلد ٢، ص١١٧.

ورجل جسام لا يكث عديدهم يهزون والسلات الحراب المواديا
أتوكم أتوكم تبشع الأرض منهم كما سال شؤبوب فأبشع واديا)[1]

(فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله وقتال الأسود ابن مقصود قائد أبرهة، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك)[2].

(وذهب مع عبدالمطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه، حناطة بن يعمر بن نفاثة ابن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر)[3].

٣- الحروب مع قبائل قيس :

وهي أيام الفجار وسيأتي ذكرها.

٤- معركة بدر :

(أرسل أبو سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري مستصرخاً لقريش ويلغ الصريخ أهل مكة)[4].

(تذكرت قريش ما كان بينها وبين بكر، فكادت أن ترجع حتى تمثل لها إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، فقال لهم: أنا جار لكم من تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعاً)[5].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٦٩.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤٣.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤٤.
(٤) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٨٥. والأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٧٦.
(٥) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٨٦.

(ومشى نوفل بن معاوية الديلي إلى أهل القوة من قريش وكلمهم في بذل النفقة والحملان لمن خرج، فكلم عبدالله بن أبي ربيعة، فقال: هذه خمسمائة دينار تضعها حيث رأيت، وكلم حويطب بن عبدالعزى، فأخذ منه مائتي دينار أو ثلثمائة، ثم قوى بها السلاح والظهر)[1].

(فتصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، فقال: يا قريش قد عرفتم شرفي ومكاني في قومي، أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشر تكرهونه، فطابت نفس عتبة، وقال له أبو جهل: فما تريد؟ هذا سيد كنانة لنا جار)[2].

(وكان سراقة بن مالك من أشراف كنانة فقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس)[3].

(ومن المطعمين في طرق بدر من المشركين مقيس بن صبابة الليثي نحر لهم على ماء بدر تسعاً)[4].

(وكان إيماء بن رحضة الغفاري قد بعث إلى قريش ابناً له بعشر جرائر حين مروا به أهداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فإنا معدون لذلك، مؤدون معلفاً).

(فلما بعثوا للقتال ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من المساء فرّ ونكص على عقبه، فقالوا: إلى أين يا سراقة؟)[5].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٩٥.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٨٨.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٨٨.

(٤) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٤٥.

(٥) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٨٨.

(ذكر الطبراني في معجمه الكبير عن رفاعة بن رافع، قال: لما رأى إبليس ما يفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص القتل إليه، فتشبث به الحرث ابن هشام وهو يظنه سراقة بن مالك فركز في صدر الحرث فألقاه ثم خرج هارباً...، فأقبل أبو جهل بن هشام، فقال: يا معشر الناس لا يهزمنكم خذلان سراقة إياكم فإنه كان على ميعاد من محمد)[١].

(وكان قباث بن أشيم الكناني، يقول: شهدت مع المشركين بدراً)[٢].

(ومن قتلى المشركين ببدر، معبد بن وهب ليثي من بني كب بن عوف)[٣].

(وبلغ نوفل بن معاوية الديلي وهو في أهله، وقد كان شهد بدراً معهم)[٤].

٥- معركة أُحد :

(الواقدي قال: فلما جمعوا على المسير، قالوا نسير في العرب فنستصرخهم فإن عبد مناة غير متخلفين عنا، وهم أوصل العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الأحابيش)[٥].

(وخرج أبو عزة الجمحي إلى بني عبد مناة وقال:

أيها بني عبد مناة الرزام ... أنتم حماة وأبوكم حام

لا تعدوني نصركم بعد العام ... لا تسلموني لا يحل إسلام

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٨٨.

(٢) المتقي الهندي كنز العمال، ج١٤، ص٣٧٥، الحديث ٣٥٣٩١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٢٥٦. وابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٧.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٢٥٦.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢١٤.

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن جذامة إلى بني مالك بن كنانة وقال:

يا مال، مال الحسب المقدم   أنشد ذا القربى وذا التذمم

من كان ذا رحم ومن لم يرحم   الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم)[1]

(فمشى في ذلك نوفل بن معاوية الديلي، فقال: يا معشر قريش هذا ليس برأي أن تعرضوا حرمكم لعدوكم.. فجاء نوفل إلى أبي سفيان بن حرب وقال تلك المقالة، فصاحت هند: إنك والله سلمت يوم بدر، فرجعت لنسائك..)[2].

(وكانت قريش وكنانة بن خزيمة وأحلافها ثلاثة آلاف)[3].

(خرجت قريش ومن أطاعها من قبائل كنانة)[4].

(وكانت الألوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة عقدوها في دار الندوة، لواء يحمله سفيان بن عويف لبني كنانة، ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم، ولواء قريش يحمله طلحة بن أبي طلحة، وقال الواقدي: خرجت قريش.. كلهم من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد)[5].

(وحمل شريح بن قارظ (من بني الحارث بن عبد مناة) لواء المشركين)[6].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٥.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢١٦.
(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٢٧.
(٤) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٥.
(٥) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢١٧.
(٦) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٢٨.

(خرج أبو سفيان بامرأته أميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم الكنانية، وخرج صفوان بن أمية بزوجته البفوم بنت المعدل الكنانية، وخرج الحارث بن أبي سفيان بن عبد الأسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة الكنانية، وخرج كنانة بن علي بن ربيعة بن عبد القرى بامرأته أم حكيم بنت طارق الكنانية، وخرج النعمان وجابر ابنا مسك الذئب (من بني الحارث) بأمها الدعنيّة، وخرج غراب بن سفيان بن عويف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة، وخرج سفيان بن عويف الكناني بعشرة من ولده وحشدت بنو كنانة)[١].

(قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحد قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

سقنا كنانة من أطراف ذي يمن ... عرض البلاد على ما كان يزجيها

قالت كنانة: أنى تذهبون بنا؟ ... قلنا: النخيل، فأموها ومن فيها)[٢]

(قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت:

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم ... إلى الرسول فجند الله مخزيها)[٣]

(ويقع أبو سفيان إلى الأرض، فيصيح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب، وحنظلة بن أبي عامر يريد ذبحه بالسيف، فأسمع الصوت رجالاً لا يلتفتون إليه من الهزيمة، حتى عاينه الأسود بن شعوب (من كنانة) فحمل على

(١) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٠٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٦٤.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٦٥.

حنظلة بالرمح فأنفذه ومشى حنظلة إليه في الرمح، فضربه ثانية فقتله وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه[1].

وقال شداد بن الأسود وهو ابن شعوب (كناني):

لأحمين صاحبي ونفسي   بطعنة مثل شعاع الشمس

(وقال أبو سفيان وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ومعاونة ابن الشعوب إياه على حنظلة:

ولو شئت نجتني كميت طمرة   ولم أحمل النعماء لابن شعوب)[2]

(قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم قال: إن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلاثوا به: وقال حسان ابن ثابت في شأن عمرو الحارثية:

فلولا لواء الحارثية أصبحوا   يباعون في الأسواق بيع الجلايب)[3]

(قال أبو دجانة: إني لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف الناس وتحوشهم حوشاً منكراً، فرفعت السيف عليها وما أحسبها إلا رجلاً، قال: وأكره أن أحزب بسيف رسول الله ﷺ امرأة، والمرأة هي عمرة بنت الحارث الحارثية)[4].

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢٧٩.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٥.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٧-٢٨.
(٤) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٥٩.

(روى أبو عمر بن محمد بن عبدالواحد الزاهد اللغوي، غلام ثعلب، ورواه محمد بن حبيب في أماليه، أن رسول الله ﷺ لما فرّ معظم أصحابه عند يوم أحد، كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة، ثم من بني عبد مناة بن كنانة، وفيها بنو سفيان بن عويف وهم خالد وأبو الشعثاء وأبو الحمراء وغراب أولاد سفيان)[1].

(قال: الواقدي: روى أبو النمر الكناني، قال: اقبلت يوم أحد وأنا من المشركين وقد انكشف المسلمون.. وقد حضرت في عشرة من أخوتي فقتل منهم أربعة)[2].

(قال ابن إسحاق: وقد كان الحليس بن زبان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مر بأبي سفيان وهو: ...)[3].

(فقتل من المشركين بأحد من بني عبد مناة بن كنانة، خالد وأبو الشعثاء وأبو الحمراء وغراب أولاد سفيان بن عويف)[4].

(ومن شهداء المسلمين بأحد، نوف بن عبد الله قتله سفيان بن عويف)[5].

(ومن شهداء المسلمين بأحد، أنس بن النضر قتله سفيان بن عويف)[6].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢٥١.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٦١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٣٧.

(٤) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٩.

(٥) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٧.

(٦) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٧.

(وقتل نوفل بن معاوية الديلي من المسلمين عمرو بن قيس وعنترة مولى بني سلمة)[١].

(وقتل الأسود بن جعونة خلاد بن عمرو بن الجموح)[٢].

علاقة بني مالك بن كنانة مع قريش :

لم تؤشر الأخبار اعتراضاً من بني مالك بن كنانة (فراس وفقيم) على زعامة قريش لعموم بني كنانة أو تحدياً لها، وكان بنو مالك حمساً، أي أنهم يدينون بدين قريش وعن هذا الدين يقول ابن إسحاق: «وكانت قريش لا أدري أقبل الفيل أم بعده ابتدعت رأي الحمس رأياً رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقطان مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم» .

فكان الحمس يقفون في مزدلفة بدلاً من عرفة، وكانوا يحبسون أنفسهم في حدود الحرم خلال الحج وما كانوا يأكلون اللحم خلال الحج، ولا يسلئون السمن ولا يخثروا الحليب، وتمتنع نسائهم خلال الحج عن نسج الشعر والوبر وكل هذا للتعبير عن احترامهم للحرم[٣].

ويبدو أن بني مالك كانوا مقتنعين بكونهم النساة على العرب بما فيهم قريش، والنسيء يدخل في دين الحمس، إذ إنه يحدد الأشهر الحرم الأربعة،

(١) الواقدي المغازي، ج١، ص٣٠٦.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٦.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٨٤.

والتي منها ذو الحجة، إذ كانت العرب إذا فرغت من حجها تجتمع إلى رجل من بني مالك، فيحرم الأشهر الحرم الأربعة، رجباً وذا القعدة وذا الحجة والمحرم، فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فحلّوه وحرّم مكانه صفر فحرّموه، فإذا أرادوا الرجوع من الحج قام فيهم فقال: اللهم إني قد أحللت لله أحد الصفرين – الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام القابل[1].

وكان بعض من بني مالك قد حالفوا بطوناً من قريش، فقد حالف علقمة ابن صفوان بن أمية بن عبد شمس الأمويين – وكان عمرو بن الفاكه حليفاً للمغيرة المخزومي[2].

علاقة بني عبد مناة بن كنانة مع قريش

لم تكن علاقة قريش مع بطون عبد مناة على وتيرة واحدة إذ إنها تفاوتت ما بين تحالفات مع البعض إلى قتال وسفك دماء وتنافس مع البعض الآخر، وقد وجدت أن علاقة قريش مع بني الحارث هي غير علاقتهم ببني عامر وبني بكر، ولنحاول أن نلقي الضوء على كل منها لنتبين طبيعتها.

١- علاقة بني الحارث بن عبد مناة مع قريش

كان بنو الحارث بن عبد مناة حمساً وهذا[3] يضفي على علاقتهم بقريش قوة، وامتازت هذه العلاقة بتحالفات كثيرة مما جعل بنو الحارث أكثر بطون عبد مناة التحاماً بقريش وطاعة لها.

---

(١) كستر، الحيرة مكة وعلاقتها بالقبائل، ص٦٢.

(٢) الكلبي، الجمهرة، ص١٦٥ و ١٦٦.

(٣) كستر، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل، ص٦٢.

ومن هذه الأحلاف حلف الأحابيش وقريش وذكر المؤرخون أن سبب هذا الحلف كان دعوة من رجل من بني الحارث لقومه أن ينصروا قريشاً فأجابوه وعقدوا الحلف، ورواية أخرى تفيد أن عبد مناف طلب الحلف خوفاً من بني بكر[1].

واختلف في اسم من عقد الحلف عن بني الحارث فقيل أنه شيطن بن عمرو أخو بني الأحمر الحارثي، وقيل أنه عامر بن عوف والذي يدعى مسك الذئب ولكن شعراً قاله حذافة بن غانم العدوي يؤكد أن عامراً هو الذي عقد الحلف: يقول حذيفة مادحاً عبد مناف:

وانكـــح عوفــاً بنتـــه ليجيرنـــا من أعدائنا إذ أسلمتنا بنـو بكـر[2]

وحفظت كتب الأنساب أن عوفاً كان قد تزوج بابنة عبد مناف المدعوّة ريطة[3].

ولقد أكسب هذا الحلف قريشاً قوة وزادها منعة وذلك أن بني الحارث لما عقدوا الحلف كانوا رؤساء لتجمع قبلي يضم بني المصطلق والحيا من خزاعة.

وبني الهون من خزيمة إضافة لبني الحارث وهؤلاء هم الذين سموا بالأحابيش[4].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٢٧٩.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٢٧٩. وابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٨.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٢٥٩.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٦٢.

وكان لقريش مع بني الحارث بن عبد مناة حلف آخر هو حلف القارة والذي عقد هذا الحلف عن بني الحارث مع قريش تيم بن علقمة الحارثي[1].

وحلف ثالث عقده خالد بن الحارث بن عبيد بن تيم بن عمرو بن الحارث ابن مبذول بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والذي يدعى أبو قارظ مع الحارث ابن زهرة بن كلاب.

وأبو قارظ من سادات بني الحارث بني مبذول ومن الشعراء وكان كل بطن من بطون قريش يرجو أن يحظى بهذا التحالف، فكانوا يقولون: «إنه حليفنا وعقيدنا وناصرنا وأخونا» وكل قرشي أراد أن يزوجه، مما يعني أن هذا الحلف كان مهماً، وكان من نصيب بني زهرة[2].

علاقة بني عامر بن عبد مناة مع قريش:

كان العامريون حمساً على دين قريش[3] فكأنما أضفت رابطة الدين على علاقة القبيلتين اللتين يجمعهما أب واحد، طابعاً حسناً، ولم تؤشر الأخبار ما يعكر صفو هذه العلاقة إلا خبر قتل العامريين لنفر من سادات قريش ونهب أموالهم.

قال ابن هشام: أن الفاكه بن المغيرة المخزومي وعوف بن عبد مناف بن الحارث بن زهرة وعفان بن أبي العاص بن عبد شمس كانوا قد خرجوا تجاراً إلى اليمن وكان مع عفان ابنه عثمان ﷺ ومع عوف ابنه عبدالرحمن ﷺ ، فلما

---

(١) ابن خلدون، التاريخ، المجلد الثاني، ص٦٦٤.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٢٨٨.

(٣) كستر، مكة والحيرة وعلاقتها بالقبائل، ص٦٢.

أقبلوا حملوا معهم مال رجل من بني جذيمة بني عامر، كان هلك باليمن إلى ورثته، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عوف والفاكه ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان ﷺ وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد مناف وانطلقوا به، وقتل عبدالرحمن بن عوف ﷺ خالد بن هاشم قاتل أبيه[1].

لكن ابن دأب، عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي، والذي يوصف بأنه كان إخبارياً، يروي سبباً آخر لقتل العامريين للقرشيين، فيقول: إن نفراً من قريش، كانوا بضعة رجل أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء لبني عامر بن عبد مناة بن كنانة، والذين كان يقال لهم لعقة الدم، إذ كانوا ذوي بأس شديد، فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين: إياكم أن يكون معكم رجل من فهم، لأنه كان عندهم ذحل (ثأر)، قالوا: لا والله ما هو معنا، وهو معهم، فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشوهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم، وقال راجزهم:

إن قريـــشاً غـــدرت وعـــاده

نحـــن قتلنـــا مـــنهم بغـــاده

عـــشرين كهـــلاً مـــا لهـــم زيـــاده

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٥٦. وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٣١٤.

وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبي العاص وعوف بن عبد مناف والفاكه ابن الوليد - والفاكه بن المغيرة[1].

علاقة بني بكر بن عبد مناة مع قريش :

لم تكن قيادة قريش لبني كنانة هادئة مستوسقة فإذا كان بنو مالك قد ارتضوا زعامة قريش وانقادوا لها طوعاً، وإذا كان بنو الحارث بن عبد مناة قد حالفوا قريشاً فشدوا أزرها، وكان بنو عامر على وفاق معها، فقد كان لبني بكر ابن عبد مناة (الليث وضمرة والدؤل) شأن آخر معها.

كنا قد رأينا كيف أن بني بكر بن عبد مناة قد تكاثروا فامتدت منازلهم من يثرب شمالاً إلى اليمن جنوباً، محدقين بقريش من كل صوب ممسكين بطرق تجارتها الذاهبة إلى الشام واليمن والغادية منهما.

إن كثرة عدد بني بكر وإحاطتها بقريش أوحت لهم بالمنعة والعزة، حتى صاروا يرون أنفسهم أعز العرب وأنهم لن ينقادوا لملك أو قبيلة غيرهم وإن كانوا من إخوتهم.

إن أخبار بني بكر وعزهم أكثر من أن تعد، فهذا رجل من بني غفار يقال له أبو منيعة، كان عارماً منيعاً في نفسه، يجلس في سوق عكاظ فيمد رجله ويقول:

نحن بنو مدركة بن خندف ... من يطعنوا في عينه لا تطرف

ومن يكونوا قومه يغطرف ... كأنهم لجة بحر مسدف

أنا والله أعز العرب[2].

---

(١) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٣٠٥.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص١٨٧.

وهذا عمرو بن عبدالعزى بن البياع الليثي يقف على رأس سادات قريش وفي مكة ليقول: «لقد علم أهل تهامة أني أعزهم.. وقد عرف لنا أهل تهامة ذلك وانقادوا لنا»[1]، ولم يكتف عمرو الليثي بالقول بل يتبع قوله هذا بغارة يشنها على القرشيين ليلاً في عقر دارهم (مكة)، ويقتل الربيع وعمراً وهما من بني عبد شمس ويضطر الآخرون فيغلقون أبواب بيوتهم عليهم خوفاً من عمرو[2].

ورواية أخرى لها دلالة كبيرة، وهي من الأهمية بمكان، تفيد أن وفد عبد ابن عدي الديلي ومنهم: الحارث بن وهبان وعويمر بن الأحزم وآخرون يرد على رسول الله ﷺ فيقول خطيبهم «يا محمد نحن أهل الحرم وساكنوه وأعز من به...»[3].

والخطيب هنا يتحدث باسم الدؤليين، مستخدماً ضمير الجماعة، نحن، ولم يكن يهمس بأذن الرسول الكريم ﷺ إذ أن استقبال الوفود يكون في المسجد النبوي – أي أن الخطيب كان يتحدث وبحضور المهاجرين من قريش.

كذلك كان حال بكر بن عبد مناة، وفي الجانب الآخر كانت قريش تخشى بكراً وتحسب لهم حساباً وكانت تراهم نداً لها، فقد ورد على لسان امرأة من بني مخزوم في حديث لها مع رجل من بني الحارث بن عبد مناة ما يفيد ذلك، إذ قالت المخزومية للحارثي:

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٣٤.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص١٣٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٣٠٦.

«تركتنا بنو بكر نعاماً» . فخرج الحارثي ليقول لقومه: ذلت قريش لبني بكر[1].

بل حتى سيد قريش حرب بن أمية كان يقر لبكر بعزها ويظهر أن لا طاقة له بها، فقد روى مصعب الزبيري أن أم حبيب بنت عبد شمس كانت قد خرجت إلى الطائف واكترت رجلاً من بني عقيل، فاستوقفا بنو بكر في الطريق ونسبوها ثم نسبوا العقيلي، فلما انتسب لهم قتلوه، فرجعت أم حبيب وجاءت حرب بن أمية، وقالت بعد أن شكت ما صنع بصاحبها وما كان من قتله: «لا ألبس خماري حتى أدرك به» .

فقال لها حرب بن أمية: «البسي خمارك، فلا سبيل إلى ما قبل بكر»[2].

وقراءة متأنية لأبيات من الشعر منسوبة لصفية بنت عبدالمطلب تقول فيها:

فسائل في جموع بني علي ... إذا كثر التناسب والفخار

بأنا لا نقر الضيم فينا ... ونحن لمن توسّمنا نصار[3]

صفية ابنة سيد من سادات قريش تُحكم بني علي (بني عبد مناة) ولا تكون الحكومة إلا في السادة الأشراف.

إن ما كان بين قريش وبني بكر من تنافس وبغضاء بقي في ذاكرة القرشيين والبكريين إلى ما بعد البعثة المباركة طويلاً، حتى إنهم كانوا يتفاخرون بما كان

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٢٧٦.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٥٧.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١١.

بينهم من وقعات، فقد قال وكيع: حدثني محمد بن الحسن الزرقي، قال: حدثني موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله، قال: حدثني عبدالجبار بن سعيد، قال: حضر أبو سعد بن سليمان (من ولد العباس بن عبدالمطلب) وعبدالله بن مصعب (من ولد الزبير بن العوام) وابن دأب (من بني ليث) عند العباس بن محمد (العباس) ففخر ابن دأب على قريش ببني بكر وذكر أيامها بذات تكيف[1].

وقبل هذا كان معاوية بن أبي سفيان، قال: من لي بمخرمة بن نوفل الزهري ما يضعني من لسانه تنقيصاً؟ فقال له عبدالرحمن بن الأزهر: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين، فبلغ ذلك مخرمة، فقال: جعلني عبدالرحمن بن الأزهر يتيماً في حجره، يزعم لمعاوية أنه يكفيه إياي، فقال أين البرصاء الليثي: إنه عبدالرحمن ابن الأزهر، فرفع مخرمة عصا من يده فشجه أي ابن البرصاء الليثي، وقال: «أعداؤنا في الجاهلية وحسادنا في الإسلام»[2].

الحروب والوقعات بين قريش وبني بكر

إن التنافس بين قريش وبين بكر جرّ على قبال كنانة حروباً ووقعات وكثيراً ما كان أحد بطون بكر طرفاً في القتال لوحده ضد جمع من بطون كنانة الآخرين بقيادة قريش، ومن هذه الحروب ولاية البيت وحرب ذات نكيف وحرب المشلل وحرب شهورة.

---

(١) وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص٢٣٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣٩١.

الحرب على ولاية البيت[1]:

كان بنو بكر وحي من خزاعة يدعون (غبشان) قد طردوا قبيلة جرهم عن مكة وسيطروا عليها، ولكن خزاعة استبدت لوحدها السيادة على الكعبة، ثم إن حليل بن حبشية سيد خزاعة مات وكان قصي بن كلاب تواقاً لإعادة سيطرة مضر على البيت حتى وإن أدى ذلك إلى طرد بني بكر المتحالفين مع خزاعة.

فسعى قصي سعيه وكلم رجالاً من قريش وكنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه وكتب إلى أخ له من أمه يدعى رزاح بن ربيعة وهو من قضاعة يدعوه لنصرته، فخرج رزاح بن ربيعة بإخوته وقومه قضاعة حتى قدم على قصي في مكة، وخرج قصي وقريش ومن تبعه من بني كنانة وقضاعة لقتال خزاعة وبني بكر، والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى وقال رزاح يذكر هذه المعركة:

لما أتى من قصي رسول — فقال الرسول: أجيبوا الخليلا

نهضنا إليه نقود الجياد — ونطرح عنا الملول الكسولا

فلما انتهينا إلى مكة — أبحنا الرحال قبيلاً قبيلا

قتلنا خزاعة في دارها — وبكراً قتلنا وجيلاً فجيلا

وقال ثعلبة القضاعي يصف ما كان في ذلك اليوم:

جلبنا الخيل مضمرة تغالي — من الأعراف أعراف الجناب

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١١٥ وما بعدها.

إلى غـــوري تهامـــة فالتقينـــا   مـــن الفيفـــاء في قـــاع يبـــاب
فأمـــا صـــوفة الخنثـــى فخلـــوا   منـــازلهم محـــاذرة الـــضراب
وقـــام بنـــو علـــى إذ رأونـــا   إلى الأســـياف كالإبـــل الطـــراب

ثم إنهم تداعوا إلى الصلح وحكموا بينهم يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فكان قضاؤه أن قصياً أولى بالبيت وأمر مكة.

وهذه الحرب هي أول الحروب التي اندلعت بين قبائل كنانة، والمؤرخون لم يذكروا تحديداً من الذي قاتل ضد قريش وكنانة من بني بكر فيها وهناك من يقول أن بكر بن عبد مناة اعتزلت قاطبة هذه الحرب وأنه لم يكن مع قصي من بني كنانة إلا القليل[1]. إن هذه الرواية وتحكيم الشداخ (يعمر بن عوف الليثي) وهو من بني بكر تزيد صورة هذه الوقعة غموضاً فكيف ترضى قريش أن تحكم سيداً من سادات بكر في نزاع يكون البكريون طرفاً فيه ضدها، أو يكونون فيه عوناً لأعدائها؟

ذات نكيف[2] :

في سنة قحط خرج بنو ليث من تهامة ونزلوا أسفلها مما يلي يلملم ويلي اليمن، ولما نزلوا موضعهم الجديد أغار سيدهم بلعاء بن قيس على بعض العرب وخلف أخاه قتادة على من بقي من قومه، فأغار قتادة على جار لهم من بني القارة يدعى عواف وكان عواف هذا حليفاً لهشام بن المغيرة والعاص بن وائل القرشيين،

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ص٦٣.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص١٢٧-١٢٨. والمحبر، ص٢٤٦.

وكانت الغارة ضد رغبة يعمر ومعبد أبناء عامر بن الملوّح، وغنم قتادة ثلاثين ذوداً وقتل ابناً لعواف القاري ونحو عشراً من الإبل ووزع الباقي في قومه، وأخبر عواف حلفاءه القرشيين بما أصابه، فطلب هشام والعاص من ولدي عامر بن الملوح القود من قتاة بابن القاري وأن يردا عليه إبله، فأعلمهما أولاد عامر أن بلعاء غائب وأن لا يعجلا حتى يقدم، ولما قدم بلعاء أبى أن يدي القاري.

اجتمعت قريش على قتال ليث وكان مع قريش الأحابيش والقارة بن الهون بن خزيمة وهما العضل والديش، وبنو الصطلق بن خزاعة، وكان المطلب ابن عبد مناف قائد لقريش وقيل أنه رأس في هذه المعركة أكثر من ألف رجل فعد من الجرارين في مضر، وكان قائد الأحابيش وحلفاء قريش، حطحط بن سعد وهو من بني الحارث بن عبد مناة. وكان على رأس بكر (ليث) بلعاء وإخوته جثامة وحميصة وقتادة وكانوا أكثر من قريش عدداً.

ولما دارت الحرب انهزمت بكر شر هزيمة وقتلوا قتلاً ذريعاً، وجرح قتادة بن قيس أخو بلعاء، جرحه عبيد بن السفاح بن الحويرث القاري فمات بعد ذلك، وصارت هذه الحرب عاراً على بكر حتى أن نسائهم عيرنهم، فقالت إحداهن:

عضت بنو بكر بساير أبيهم	يوم اللقاء ويوم ذات نكيف
إذ فرّ كل معقص ذو لمة	من كل ضبع عاجر ونحيف

وهجا ابن شعلة الفهري الليثيين وعيرهم بيوم ذات نكيف فقال:

فلله عينا من رأى من عصابة	غَوَتْ غيٌ بكر يوم ذات نكيف
أناخوا إلى أبياتنا ونسائنا	فكانوا لنا ضيفاً بشر مضيف[1]

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٥٨٧.

يوم المشلل :

على أثر هزيمة بني ليث في ذات نكيف فإنهم قد تركوا تهامة وسكنوا نجداً وحالفوا طفيل بن مالك رئيس بني جعفر (من بني عامر بن صعصعة) ثم إنهم نهبوا جعفراً وعادوا إلى تهامة ونزلوا فيها، ولكن قريشاً كرهت منزلهم وأبت أن يجاورونها، وكانت قريش قد استمرأت نصرها في يوم ذات نكيف، فسار رجال من قريش منهم، عقبة وشيبة أبناء ربيعة، والمطلب بن الأسد وأبو حذيفة بن المغيرة وأبو أمية بن المغيرة ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وكان ذلك نزولاً عند رغبة ابن هشام بن المغيرة والعام بن وائل، إلى سعيد بن العاص المعروف بأبي أحيحة يحرضونه على بني ليث ويطلبون أن يكون معهم، فأبى عليهم، معتذراً كونهم أخواله، فاجتمع مع قريش جمع من كنانة والأحابيش، وكان يحمل لواء الجمع هذا العاص بن وائل.

وكان على بني ليث بلعاء بن قيس وكان قد حشد ما يزيد على الألف من بني ليث ذلك اليوم، ولما نشب القتال حمل خالد بن مالك الليثي على حامل لواء قريش، العاص بن وائل فطعنه فصرعه، وأخذ اللواء من يده، فهزمت قريش وجميع بني كنانة والأحابيش وأصابت منهم بنو الليث ما شاءت[1].

هكذا يورد ابن حبيب في المنمق أخبار هذه الحرب وقوله: «فهزمت قريش وجمع بني كنانة والأحابيش» يدل على اشتراك قبائل من كنانة غير بني الحارث كون بني الحارث هم زعماء الأحابيش، أي أن بني مالك بن كنانة وبني عامر بن عبد مناة إضافة للحارث قد اشتركوا مع قريش في هذه الحرب.

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٣٣. والمجد، ص٢٤٦.

يوم شهورة[1]:

راس مكرز بن حفص بن الأخيف القرشي جماعة من قريش وصحبه نوفل ابن معاوية الديلي على جماعة من بكر (الليث والدؤل) وأغاروا في أرض بلّي ولخم، ولما ملأ مكرز يديه بالمغانم ورجع وجد في ذنب ينبع بنجد نسوة لجهينة مجاورات في حي بني ضمرة (البكريين) يقال لهم بنو عباد، فيأخذهن مكرز، ويقول راجزهم:

أصبح جارات بني عبّاد عوانياً يرسفن في الأقياد

مال بني صخرة في الفساد

وحين يرد حفص بن الأحنف بالجهينات على بني صخر (وهؤلاء من بني ضمرة) في ذات السليم، يحبسهم بنو ضمرة ويسألونهم إطلاق الجهينات ويستعد بنو صخر إخوانهم بني ضمرة ليلاً، ومع الصباح سار مكرز بالجيش وكان يروم إرسال الجهينات، ولكن أحد بني أبي رافع (وهو من إخوان البراض) شد على مكرز فضرب عجز بغلته بالسيف فرمت البغلة مكرزاً واستنقذه أصحابه فغضبت قريش ويكر على بني صخرة ورموهم بالنبل والضمريون حاسرون فقتل منهم عبيد بن حذيفة بن صخر وأصيب كلثوم بن معبد بن صخر وانهزمت ضمرة.

وعطف حبيب بن معبد على القتيل والجريح، فقال له كلثوم: ادع، فنادى حبيب: يا آل ضمرة، فقال كلثوم: اقصر لله أبوك، فقال يا آل كعب، فقال

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٥٦.

كلثوم: اقصر لله أبوك، فقال حبيب: يا آل خرد بن جابر (خرد هو جد بني صخر القريب إذ إنهم أولاد صخر بن خرد جابر) فقال كلثوم: ادع الآن، وادع أسماء الرجال وأزوار النساء.

فعطف الحارث بن قيس وقيس بن خالد وهما من بني صخر وحملوا على قريش وبكر، ووثب قيس فصرع رجلاً من قريش يدعى شريك وحز فروة بن حبيب رأسه وفعلا مثل ذلك مع أخ لشريك أراد أن يثأر لأخيه، حتى قتلت ضمرة سبعة من قريش.

ولما رأى بنو بكر ذلك تنحوا وتركوا قريشاً، فانهزمت قريش ولكنهم في طريق لقوا رجلاً ضمرياً فقتلوه، ثم قتلوا آخر على ماء يدعى ذا الأسلة من ودان، فكان مجموع ما قتلوا من بني ضمرة ثلاثة رجال وفي هذا اليوم قال أبو جلذية بن سفيان الضمري:

تركنا بني فهر أيامى نساءهم ... وأيتام ولدان وفلاً مطرداً
إلينا يقودون الجياد ومن يقد ... إلينا ندعه لا يعلق مقوداً

وقال الحارث بن قيس أخو بني كعب بن خرد الضمري وكان جرح، فجعلت امرأته تداويه وتضحك من جزعة:

فدى للالى ادعوا على الموت حسرا ... بأسفل ذي ودان أمي والأبُ
صددنا ولو شئنا لنالت رماحنا ... أسيد بن جحش وهو في القوم مذنب
ولكن عفونا إذ قدرنا عليهم ... على حنق يوماً وذو الذنب يعتب
ستثني مع الأقوام غزوة نوفل ... إذا ضم أهل المازمين المحصب

وقلت لقومي اضربوا لا أباً لكم فقد جعلت باقي المودة تذهب
فلما ضربنا نكب الضرب أزمة من الكرب عنا لم تكد تتنكب
وصابر منا حيث خر ابن معبد فوارس هيجا كلهم متلبب
دعونا بني بكر إلى الود بيننا وبكر لنا بالود سم مقشب
ندافعهم بالرمح يوماً وليلة وللمرء يوماً رشده متغيب

ويعد ابن حبيب في كتابه المنمق يوم شهوره من أعظم أيام كنانة، والسبب وراء ذلك ليس هو عدد من اشترك في القتال ولا عدد القتلى ولكنه الدفاع عن قيم عربية أصيلة هي حماية الجار، فبنو ضمرة (البكريون) يقاتلون إخوانهم (وليثاً والدؤل وهما من بكر وقريشاً) دفاعاً عن نسوة من جهينة كن جارات لبني صخرة.

وكانت بين قريش وبني بكر وقعات وغارات طابعها التحدي والغرض منها التدليل على الحضور الدائم والقدرة على الرد.

منها غارة شنّها عمرو بن عبد العزى الليثي على مكة ليلاً وكان يريد قتل العاص بن وائل السهمي، وعبد الفرى وحبيب ولدي عبد شمس ولكن هؤلاء أفلتوا، وقتل الربيع وعمراً وهما من بني عبد شمس، ورد عمرو بن العاص وكان غلاماً شاباً فركب في فرسان من قريش، غضباً لأبيه، فقتل رجلين من بني سعد بن ليث لقيهما في الطريق.

ثم ركب بنو ليث في طلب العاص، وخرج لهم القرشيون لما عملوا مخرجهم والتقوا بفخ، واقتتلوا ولكن لم يقتل احد بل كانت جراحات ثم حكم الفريقان أبا سعيد بن العاص فحكم بينهم بجعل القتلى قصاصاً بعضهم من

بعض، إذ كانوا في كل فريق اثنين، ويتحمل أبو سعيد بن العاص الجراحات للفريقين معاً وكانت ألفاً وثلثمائة ناقة أداها لهما[١].

ووقعة أخرى كانت بين بني ضمرة وبني محارب بن فهر القرشيين، وسببها أن مسعود الضمري ورد إبله حوضاً لأبي عثمان المحاربي، وكان أبو عثمان قد هيأ الحوض لترد إبله، فلما رأى أبو عثمان ما فعل مسعود الضمري أمر به أن يؤخذ، ففر الضمري وحبست إبله ثم حلبت وعرضها الفهري للنهب فانتهبت، ولما علم الضمري أن إبله انتهبت استصرخ قومه ولم يكن موجوداً منهم إلا عمرو بن خالد فأقبلا على أبي عثمان فرماهما بحجر فشج وجه عمرو بن خالد وقال:

منعنا الشربَ ضمرة يوم جاءت   لتجعل شربها في حوض فهرِ

فلما رجع عمرو بن خالد إلى قومه بني ضمرة مشجوجاً غضبوا له وأغاروا على بني محارب وقتلوا ثلاثة نفر منهم وأصابوا من النعم مثل نعمهم التي أمر أبو عثمان بنهبها. فأغار أبو عثمان بجمع غفير على بني ضمرة وقتل أربعة وجرح عشرين وأصاب خيلاً وسلاحاً، ولما رجع إلى قومه لقيته زوجته وكانت من بني كنانة وقالت: «ورب المشعرين لا تدعك كنانة حتى يغيرون عليك» ، فقال: لا يفعلون، فأغار عمرو بن خالد على بني فهر فلم يحظ بأبي عثمان كونه كان قد تحرز وقتل رجلاً من بني محارب ولم يصب مالاً ورجع إلى قومه[٢].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٣٥.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص١٤٠.

وقتل بنو ليث بن بكر آدم بن ربيعة بن الحارث القرشي عرضاً في حرب لهم مع هذيل وكان آدم مسترضعاً في هذيل، وبقي دم الحارث لدى بني ليث حتى وضعه رسول الله ﷺ عام الفتح، فقال ﷺ : ألا إن كل دم كان في الجاهلية فهو تحت قدمي، وأول دم أضعه دم بن ربيعة بن الحارث[1] وآخر ما رواه الإخباريون عما كان بين بني بكر وقريش هو ما كان بين بني الملوح وبين قريش، فيقولون: إن ابناً لحفص بن الأخيف القريشي خرج إلى ضجنان وهو جبل على بريد من مكة، كان يومئذ منازل لبني بكر فرآه عامر بن يزيد بن الملوح وهو يومئذ سيد بني بكر، فسأله عن نسبه فقال الفتى: أنا ابن لحفص بن الأخيف، فلما ولى الغلام، قال عامر: يا بني بكر أما لكم في قريش من دم؟ قالوا: بلى والله إن لنا فيهم دماءً، قال: ما كان رجل يقتل هذا الغلام بقتيله ألا كان قد استوفى دمه، قام رجل إلى الغلام فقتله، وكان لهذا الرجل دم في قريش، فلما بلغ قريش الخبر طالبت بدم قتيلها، فقال عامر: يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء تجافينا عنها ثم أصيب هذا الغلام ببعضها فإن شئتم تدونا ونديكم وإلا فهو دم بدم، فهان على قريش دم الغلام وقالوا: صدق عامر.

دم بدم، فلم يطلبوه وتركوه.

فبينما عامر بن يزيد يوماً يسير بمر الظهران في حاجة له إذ لقيه مكرز بن حفص، أخو الغلام القتيل، فما كان منه إلا أن علا عامراً بالسيف حتى قتله ثم أخذ سيفه وقد كان في عنقه فخاض به بطنه وعلقه ليلاً بأستار الكعبة، وقال:

لما رأيت أنه هو عامر تذكرت أشلاء الحبيب الملحب

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٨٧.

وقلت لنفسي إنه هو عامر فلا ترهبيه وانظري أيّ مركب
وأيقنت أني إن أجلله ضربة متى ما أصبه بالقرار يعطب
خفضت له جأشي وألقيت كلكلي على بطل شاكي السلاح مجرب[1]

من دخل من بني بكر في قريش وصار منهم :

وكان من بني بكر قد حالفوا قريشاً وعدوا فيها ومن هؤلاء عبدالله بن أريقط وهو من بني الدؤل، وكان قد حالف آل العاص بن وائل السهمي[2]. أما بنو البكير الليثي، عامر وإخوانه فقد حالفوا بني عدي رهط أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ حتى صار هؤلاء يعرفون ببني عدي، واستمر تحالفهم هذا إلى ما بعد ظهور الإسلام.

لكن ابن حبيب في المنمق يقول إن آل البكير الليثين دخلوا في قريش وفي الإسلام بغير حلف وإنما بجوار لعمر بن الخطاب ﷺ وبفرض فرضه عمر ﷺ لهم، ويضيف ابن حبيب أنهم كانوا جيراناً لعمر بن الخطاب ﷺ وهذا أثبت لأنهم حضروا بدراً وهم يعدون في بدريّ بني عَدي[3].

ودخل في قريش وفي الإسلام من بني ليث، جعونة بن شعوب الليثي، ودخل في بني هاشم بصداقة كانت بين أبي بكر بن جعونة وبين العباس بن عبدالمطلب ﷺ[4].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٥١. وابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٨٥.
(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص٧٦.
(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٣١٣.
(٤) نفس المصدر، ص٣٠١.

وآل علقمة بن وقاص الليثون وكان مدخلهم في بني تيم، إذ إن علقمة تزوج ابنة لعبيد الله بن عثمان وهي أخت الصحابي طلحة بن عبيد الله ﷺ زمن الإسلام وكان مدخلهم بسبب المصاهرة[1].

وكان بنو نفاثة حلفاء لبني أمية (حرب بني أمية) [2] وكذلك آل عمرو بن أمية الضمري دخلوا في بني أمية[3]. أما آل أبي عمر الغفاري فقد أدخلهم المهدي أمير المؤمنين في قريش أيام خلافته[4].

* * *

(١) نفس المصدر، ص٣١٠.
(٢) نفس المصدر، ٣١٣.
(٣) نفس المصدر، ص٣٠١ و ٣٠٣.
(٤) نفس المصدر، والصفحات.

الفصل الثالث

علاقات بني كنانة مع القبائل العربية

علاقة كنانة مع قيس عيلان

تفرعت مضر إلى فرعين، فرع إلياس وجاء منهم تميم وهذيل وكنانة وأسد، وهؤلاء يقال لهم أولاد خندف، نسبةً لأمهم إذ إن أمهم خندف لما مات زوجها إلياس ساحت في الأرض حزناً عليه وتركتهم[1]، وفرع مضر الثاني هو قيس ومنه جاءت قبائل كثيرة منها: هوازن، غطفان، عدوان، جشم، سليم، عامر، كلاب...، ذبيان، فزارة وآخرون[2].

ومن هذا يظهر أن لقيس نصف مضر حتى أن المعنيين بالقبائل قالوا: إن الجماجم (الجمجمة هي القبيلة التي تتفرع منها قبائل تحمل اسماً جديداً دون أن تنتسب للأم، فكأن القبيلة الجمجمة جد القبائل الجديد) في مضر أربعة اثنتان في خندف وهما: كنانة وتميم، واثنان في قيس وهما: هوازن وغطفان[3].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص .

(٢) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٣٩٩.

(٣) محمد بن إبراهيم العقيل، كنز الأنساب، ص٢٧.

إن نسب قبائل قيس وكثرتها وسؤددها مكّنها أن تلعب دوراً مهماً قبل الإسلام، فكونها تنتسب إلى مضر يعني أنها قريبة من كنانة، وقد كانت على دين كنانة وقريش فقد كانوا حمساً ثم إنهم كانوا يشاركون كنانة وقريشاً في مواسم الحج، فقد كانت في عدوان الإفاضة من مزدلفة يتوارثونها كابراً عن كابر، وآخر من أفاض بالناس قبل الإسلام أبو سيارة (عميلة بن الأعزل) وقام عليه الإسلام وهو يفيض بالناس[1] لما كانت قيس فرع من مضر، وأنها شاركت كنانة وقريش في دينهما حتى انفردت واستأثرت عدوان بالإفاضة من مزدلفة، فليس غريباً أن نجد قوماً من كنانة صليبة بل من قريش ومن نسل لؤي بن غالب ينخرطون في إحدى قبائل قيس وغطفان - فينتسبون لها، وهؤلاء هم بنو مرة[2].

وخبرهم يفيد أن عوف بن لؤي القرشي، كان في ركب من قريش ولكنه تخلف في أرض غطفان وتركه قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد الغطفاني، فزوجه وآخاه، ومن ولد عوف هذا مرة، وصار نسبه في غطفان كالآتي:

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان.

وبنو مرة سادة غطفان وأشرافها، ومنهم هرم بن سنان بن أبي حارثة، وأخوه خارجة والحارث بن عوف والحصين بن الحمام وهاشم بن حرملة[3].

وبنو مرة ورغم التصاقهم بغطفان والتحامهم الوثيق بها، إذ إنهم رفضوا العودة إلى نسبهم في قريش حين دعاهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وخيّرهم بالرجوع إلى نسبهم، أقول رغم هذا فإنهم يعرفون أنهم من قريش وأن أباهم

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص .

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٩١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ص٩٢.

كناني، حتى أن الحارث بن ظالم المري حين هرب من النعمان بن المنذر لحق بقريش وقال:

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بغزارة الشعر الرقابا
وقومي إن سألت بنو لؤي بمكة علموا مضر الضرابا

ولكن الحصين بن الحمام المري يعترض على قول الحارث فيقول:

ألا لستم منا، ولسنا إليكم برئنا إليكم من لؤي بن غالب

ثم يندم الحصين المري فيعود ينتسب إلى قريش فيقول:

ندمت على قول مضى كنت قلته تبينت فيه أنه قول كاذب
فليت لساني كان نصفين منهما بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كناني بمكة قبره بمعتلج البطحاء وبين الأخاشب

يرى الباحثون في أحوال قبائل العرب، أن قيساً كانوا أعراباً ينفسون على كنانة وقريش ما وصلتا إليه من قوة وتقدم وبعد الصيت قبل الإسلام بفضل نزولهم الحجاز وعمارتهم مكة، ويضيفون أن الكنانيين والقرنشيين كانوا يتعالون على قيس ويقودونها بفضل تقدمهم الفكري الذي تأتى لهم من التجارة واتصالهم بالبلدان الأخرى ومعرفتهم أكثر من غيرهم بالكتابة والحساب وشؤون العالم الخارجي[1].

---

(١) د. عبدالجبار العبيدي، قبيلة تميم العربية بين الجاهلية والإسلام، ص١٢، الرسالة السابعة والثلاثون حوليات كليات الآداب في الكويت، الحولية (٧).

وكان بين قبائل كنانة وقبائل قيس عيلان وقعات كثيرة بعضها يكون بين حيين من أحيائها وغالباً ما يكون على شكل غزوة غايتها الغنيمة أو أسر رجال ونساء لفاداتهم، وهكذا كان حالهم إلا الفجار الآخر فإنه كان حرباً سنأتي على ذكر أسبابها إن شاء الله، وإليك ما كان بين كنانة وقيس من وقعات وحروب كما أثبتها المؤرخون.

هوازن تغير على بني ليث :

أغارت هوازن على بني الملوّح الليثين بصحراء الغميم وكانت الغارة بقيادة هوازن بن عوف النصري، وكان يسكن مع بني الملوّح في الغميم حي من خزاعة أهل إبل يقال لهم بني حناطر بن حبيشة، وقال مالك بن عوف النصري يذكر هذه الغارة:

نحن جلبنا الخيل من بطن ليّة	وجلدان جرداً منعلات ووقحّا
فأصبحت قد جاوزن مراً وحجفةً	وجازون من أكناف نخلة أبطحا
تلقّطن ضيطاري خزاعة بعدما	أبرن بصحراء الغميم الملوّحا[1]

ليث وبنو جعفر :

كنا قد رأينا كيف أن قبائل من كنانة وهي قريش وبني الحارث وبني مالك وحلفاء لهم من بني الهون بن خزيمة اجتمعوا وهزموا ليثاً في ذات نكيف وكيف طردوهم من تهامة، فما كان من ليث إلا أن تنجد فتنزل في بني جعفر – جعفر ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتحالف طفيل بن مالك بن جعفر،

(١) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص١٤٥.

كان حلف طفيل لهم أن يمنعهم ممن أرادهم شرط أن لا يبدأوا الناس بشر، فأقام بنو ليث مع بني جعفر ثلاث سنين، ولكن حدث أن رجلاً من بني أبي بكر بن كلاب عدا على بعير لبلعاء بن قيس - وبلعاء حينئذ سيد بني ليث - فسرقه ونحره - فغرمه طفيل بن مالك ببعيرين، ثم أن طفيل بن مالك أوجس خيفة من بني ليث فانصرف عزمه إلى أن ينهي تحالفه معهم خوفاً منهم ودفعاً لشرهم، ولكن ليلى بنت طفيل أظهرت لبلعاء ما استقر عليه عزم أبيها وفشت سرّه.

جمع بلعاء بن قيس صحبه، واستقر الرأي على أن يسرحوا نسائهم ونعمهم إلى تهامة في أواخر الشهر الحرام، فإذا آمنوا على نسائهم ونعمهم أغاروا على بني جعفر، وسرحوا النساء والنعم آخر الشهر الحرام، وما أن انسلخ الشهر الحرام حتى أغاروا على بني جعفر وبني هلال فقتلوا منهم جماعة واستاقوا النعم وانصرفوا ليلحقوا ضعائنهم، فقال طفيل، لا يطلبنهم أحد[1].

هكذا ورد خبر هذه الوقعة في المنمق لابن حبيب، ولكن شعراً قاله صفوان بن عبد ياليل الليثي أو ربيعة بن عثمان الليثي، يقول فيه:

وأفلتنـــا أبـــو ليلـــى طفيـــل　　　صحيح الجلد من أثـر السـلاح[2]

يؤكد أن معركة حدثت وأن طفيل بن مالك كان فيها ولكنه انهزم.

وبيت الشعر المذكور ذكره الجاحظ في البيان والتبيين سبقه بيت يقول:

فـــسائل جعفـــراً وبـــني أبيهـــا　　　بـــني الـــبرزا بطخفـــة والمـــلاح[3]

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) ابن رشيق، العمدة، ج١، ص١١٥.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ص٢١٨.

ما يؤكد اشتراك طفيل في المعركة وفراره بجلده. وقال بلعاء بن قيس حين بلغه أن طفيل يتوعده:

أيوعـدني أبـو ليلـى طفيـل ... ويهدي لي مع القلص الكلاما

أتوعـدني وأنـت بـبطن نجـد ... فـلا نجـد أخـاف ولا تهامـا

وطئنـا نجـدكم حتـى تركنـا ... حزون النجد تحسبها سخاما[1]

بنو فراس وبنو جُشَمَ:

ذكر صاحب الأغاني ما كان بين بني فراس وبين بني جشم[2]، قال: روى أبو حاتم عن أبي عبيدة، قال: خرج دريد بن الصمّة في فوارس من بني جشم، حتى إذا كان في وادٍ لبني كنانة يقال له الأخزم، وهو يريد الغارة على بني كنانة، إذ رفع له رجل في ناحية الوادي معه ظعينة، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صح به، خلّ عن الظعينة وانجُ بنفسك، فانتهى إليه الفارس وصاح به وألحّ عليه، فألقى زمام الناقة وقال للظعينة:

سيري على رسلك سير الأمن ... سـير رداح ذات جـأش سـاكن

إن انثنـائي دون قرنـي شـانئي ... أبلـي بلائـي وأخـبري وعـايني

ثم حمل عليه فضربه وأخذ فرسه فأعطاه للظعينة، فبعث دريد بن الصمة فارساً آخر لينظر صاحبه، فلما انتهى إليه ورأى ما صنع صاح به فتصامم عنه

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٣٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٧٠-١٧١.

كأنه لم يسمع، فظن انه لم يسمع، فغشيه، فألقى زمام الراحلة إلى الظعينة، ثم خرج وهو يقول:

خلّــي ســبيل الحــرة المنيعــة إنــك لاق دونهــا ربيعــة
في كفــه خطيــة مطيعــه أو لا فخــذها طعنــة سـريعة
والطعـــن مـــني في الـــوغى شـــريعة

ثم حمل عليه فصرعه، فلما أبطأ على دريد بعث فارساً لينظر ما صنعا، فلما انتهى إليهما وجدهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه، فقال له الفارس: خلّ عن الظعينة، فقال للظعينة: اقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

مـاذا تريـد مـن شـتيم عـابس ألم تحـرّ الفـارس بعـد الفـارس
أرادهـــا عامـــل رمـــح يـــابس

ثم حمل عيه فصرعه وانكسر رمحه، وارتاب دريد فظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل، فلحق دريد ربيعة وقد دنا من الحي، ووجد أصحابه قد قتلوا، فقال: أيها الفارس إن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحاً والخيل ثائرة بأصحابها، فدونك هذا الرمح فإني منصرف إلى أصحابي ومثبطهم عنك، فانصرف إلى أصحابه، فقال: إن فارس الظغينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحي – ولا مطمع لكم فيه، فانصرف القوم، فقال دريد بن الصمة في ذلك:

مـا إن رأيـت ولا سمعـت بمثلـه حـامي الظعينـة فارسـاً لم يقتـل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة ... ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللاً تبدو أسرة وجهه ... مثل الحسام جلته كفُّ الصيقل
يزجي ظعينته ويسحب رمحه ... متوجهاً يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه ... مثل البغاث خشين وقع الأجدل
يا ليت شعري من أبوه وأمه ... يا صاح من يك مثله لا يجهل

وقال ربيعة بن مكدَّم:

إن كان ينفعك اليقين فسائلي ... عني الظعينة يوم واد الأخزم
إذ هي لأول من أتاها نهبة ... لولا طعان ربيعة بن مكدم
إذ قال لي أدنى الفوارس منهم ... خلّ الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه ... عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابة ... فهوى صريعاً لليدين والفم
ومنحت آخر بعده جياشة ... نجلاء فاغرةً كشدق الأضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفرار عن العداة تكرمي

ويمضي زمن ويموت ربيعة بن مكدم، ويغير بنو فراس على بني جشم وكانت الغزوة موفقة جداً بمعايير زمانهم، فقد قتلوا رجالاً منهم وأسروا سيدهم دريد بن الصمة.

وأخفى دريد نسبه كي لا يطمع الفراسيون فيزيدوا في فداءه فبينما هو محبوس لديهم رأته ريطة بنت جذل الطعان زوجة ربيعة بن مكدم، فعرفته، وقالت: يا آل فراس: إنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم وادي الأخزم، فعرفوه

وتشاوروا، فقال بعضهم: لا ينبغي أن نكفر نعمته على صاحبنا (يريد ما كان إعطاءه رمحه لربيعة في وادي الأخزم) وقال آخرون: لا، لا يخرج من أيدينا إلا برضا من أسره، وكان الذي أسره يدعى مخارقاً.

فانبعثت ريطة في الليل فقالت:

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمة ... وكل امرئ يجزى بما كان قدما

فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وإن كان شراً كان شراً مذمما

سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة ... بإهدائه الرمح الطويل المقوما

فلا تكفروه حق نعمائه بينكم ... ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما

فإن كان حياً لم يضق بثوابه ... ذراعاً، غنياً كان أو كان معدما

ففكوا دريداً من أسار مخارق ... ولا تجعلوا البؤس إلى الشر سلما

فلما أصبحوا أطلقوا دريداً، فكسته ريطة وجهزته ولحق بقومه.

الوقعات التي كانت بين بني فراس وبني سليم

بنو سليم وهم أبناء سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[1]. وكانت لهم مع بني فراس ثلاث وقعات وهي يوم الكديد، ويوم برزة، ويوم الفيفاء[2] وكل هذه الوقعات مردّها طلب الثأر والبادي في إذكاء نارها بنو سليم، وقد فقد فيها الطرفان خيرة رجالاتهم فقتل فيها من بني فراس ربيعة بن

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢٠، ص٥٤٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٧٤ وما بعدها، ومحمد أبو الفضل، أيام العرب، ج١، ص٣١٢.

مكدم وأخوه، ومن بني سليم قتل مالك بن خالد وكان بنو سليم قد توجوه ملكاً عليهم، وأخوه كرز بن خالد، وتفصيل هذه الوقعات كالآتي:

يوم الكديد :

الكديد موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، والسبب في هذه الوقعة، على رواية أبي عمرو بن العلاء، أنه كان قد وقع بين بني سليم وبين نفر من بني فراس تدارؤ، فقتل بنو فراس رجلين من بني سليم ثم ودوهما، ثم ضرب الدهر ضرباته، إذ كان خرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً فلقى ظعناً من بني فراس بالكديد، فقتل ربيعة بن مكدم وأخاه الحارث، وكان هذا اليوم لسليم على كنانة، ولم يحضر الكديد أحد من بني الشريد السلميين.

يوم برزة :

وفيه أغار ذو التاج وهو مالك بن خالد ملك بني سليم على بني فراس، ولما التقيا، دعا عبدالله بن جذل رئيس بني فراس للبراز، فبرز له هند بن خالد ابن صخر، فقال له عبدالله: أخوك أسن فيك، يريد مالكاً فرجع هند وبرز مالك فلقيه عبدالله بن جذل وهو يرتجز:

ادن بـــني قـــرف القمـــع إنـــي إذا المـــوت كنـــع

لا أســـــتغيث بـــــالجزع

ثم شد على مالك بن خالد فقتله، وبرز أخوه كرز بن خالد فشد عليه عبدالله فقتله أيضاً، وعندما برز له أخوهما عمرو بن خالد، تخالفا طعنتين فجرح كل منهما صاحبه ثم تحاجزا وقال عبدالله بن جذل الطعان في هذه الوقعة:

تجنبتُ هنداً رغبة عن قتاله ... إلى مالك أعشو إلى ضوء مالك
فأيقنت أني ثائر بابن مكدم ... غداتئذ أو هالك في الهوالك
فأنفذته بالرمح حين طعنته ... معانقة ليست بطعنة باتك
وأني لكرز في الغبار بطعنة ... علت جلده فيها بأحمر عاتك
قتلنا سليماً غثها وسمينها ... فصبراً سليماً قد صبرنا لذلك
فإن تك نسوتي بكين فقد بكت ... كما قد بكت أم لكرزٍ ومالك

وقال عبدالله أيضاً:

قتلنا مالكاً فبكوا عليه ... هل يغني من الجزع البكاء
وكرزاً قد تركناه صريعاً ... تسيل على ترائبه الدماء
فإن تجزع لذاك بنو سليم ... فقد - وأبيهم - غلب العزاء
فصبراً يا سليم كما صبرنا ... وما منكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم ... أخو الهلاك إن ذمّ الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل ... تداركها وقد حَمِسَ اللقاء

وقال عبدالله في ذكر هذه الوقعة:

لعمري لقد سحت دموعك ضلة ... تبكي على قتلى سليم وأشجعا
كمرضعة أولاد أخرى وضيعت ... بنيها فلم ترفع لذلك مرفعا
لقد تركت أفناء خندف كلها ... لعينيك مبكى إن بكيت ومدمعا[1]

---

(١) الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ص٣٧.

يوم الفيفاء :

عزّ على بني سليم مصابهم بملكهم مالك بن خالد وأخيه، فقرروا الانتقام من بني فراس حتى أنهم حرموا على أنفسهم النساء والدهن.

جمع عمرو بن خالد والذي كان أصيب يوم برزه قومه بني سليم وأغار على بني فراس فأوقع فيهم وقعة كبيرة، فقتل منهم: عاصم بن المعلّى ونضلة والمبارك وعمرو بن مالك وحصناً وشريحاً، وسبى من نسائهم حتى أن أختاً لربيعة بن مكدم كانت في السبايا.

ففخر بنو سليم بنصرهم وقال عباس بن مرداس:

ألا أبلغا عني ابن جذل ورهطه ... فكيف طلبناكم بكرز ومالك
غداة فجعناكم بحصن وبابنه ... وبابن المعلى عاصم والمبارك
ثمانية منكم ثأرناهم به ... جميعاً وما كانوا بواءً بمالك
نذيقكم والموت يبني سرادقاً ... عليكم، شبا حدّ السيوف البواتك
تلوح بأيدينا كما لاح باريق ... تلألأ في داج من الليل حالك
صبحناكم العوج العناجيج بالضحى ... تمرُ بنا مرّ الرياح السّواهك
إذا خرجت من هبوة بعد هبوة ... سمت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن مالك:

قتلت بمالك عمراً وحصناً ... وخليت القتام على الخدود
وكرزاً قد أبات به شريحاً ... على أثر الفوارس في الكديد

جزينــاهم بمــا انتهكــوا وزدنــا عليــه ومــا وجــدنا مــن مزيــد
جلبنــا مــن جنــوب الفــرد جــرداً كطــير المــاء غلــس للــورودِ

أيام الفجار

وكانت بين بني كنانة وبين هوازن وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة ابن حصفة بن قيس عيلان،وسميت فجاراً لوقوعها في الأشهر الحرم التي كانت لا تستحل العرب القتال فيها، وهي أربعة سميت بالفجار الأول والثاني والثالث، أما الرابع فيسمى الفجار الآخر، ويختلف عن الثلاثة الأولى كونه حرباً استمرت طويلاً وشارك فيها قبائل كثيرة.

الفجار الأول[1] :

وسببه أن رجلاً من غفار يدعى بدر بن معشر، جُعَلَ له مجلس في سوق عكاظ يجلس فيه، فجلس وقال: أنا أعز العرب ومن زعم غير ذلك فليضرب رجلي الممدودة هذه، ولكن رجلاً من بني دهمان بن معاوية اسمه الأحيمر بن مازن يضربها فيقطعها من الركبة، وقيل إنه شجّها شجّة بسيطة، وقال:

نحــن بنــو دهمــان ذو التغطــرف بحــر لبحــر زاخــر لم يُنْــزف
نــبني علــى الأحيــاء بــالمعرف

خذها إليك أيها المخندف، يخاطب بدراً كون بدر من أبناء خندف.

ثم إن الحيين تحاورا واصطلحا، وما كانت بينهما دماء.

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥١.

الفجار الثاني[1] :

وخبرها أن فتية من بني كنانة رأوا امرأة من بني عامر بن صعصعة وكانت جميلة في سوق عكاظ، فسألوها أن تسفر عن وجهها فامتنعت، فعمد أحدهم وشدّ ذيل ثوبها إلى ظهرها وهي لا تدري، فلما قامت انكشف سترها فضحكوا منها، ونادت العامرية: يا لعامر، فكان قتال وجراحات حملها حرب بن أمية وأصلح بين الناس.

الفجار الثالث[2]:

وسببه أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية فأعدم الكناني، فوافي النصري بسوق عكاظ ومعه قرد فأوقفه بالسوق وقال: من يبغي مثل هذا بمالي على فلان؟ وأكثر من ترديد قوله هذا وكان يريد أن يعيب الكناني وقومه، فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله، فهتف النصري: يا لهوازن، وهتف الكناني: يا لكنانة، وكاد أن يقع بينهم الشر ولكنهم تراجعوا.

الفجار الآخر[3]:

وكانت الفجار الآخر حرباً بكل معاني الحرب، سواء بعدد القبائل التي اشتركت في القتال فيها أو عدد قتلاها أو عدد وقعاتها، حتى قيل عنها إنه لم يكن في أيام العرب أشهر منها وأعظم، وفيها تجلت وحدة قبائل بني كنانة

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقدي الفريد، ج٥، ص٢٥٢.
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٢.
(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٣.

وزعامة قريش لعموم بني كنانة، فإذا كان الذي أشعل فتيلها كناني من بني ضمرة، فإن قيساً توجهت أول ما توجهت لقتال قريش طلباً بدم القتيل الذي كان من ساداتها، ولم تطلب بني ضمرة ولا بكر، ثم اجتمعت كنانة كلها تحت قيادة قريش بما فيهم بكر.

إن الحديث عن الفجار الآخر مختلف عن الحديث في أيام كنانة وقيس التي كانت قبله، فهذه الحرب بدأت من قصر النعمان بن المنذر عامل الفرس على العراق وجابي الأتاوات لهم ومطبق سياساتهم الرامية إلى إضعاف العرب وإذلالهم.

بدأت الفجار في قصر النعمان، هيأ أسبابها وترك لأحد رجال مضر خاصة أن يشعل الفتيل الذي أجاد صنعه، فتندلع حرب ضروس تضرب فيه مضر بعضها ببعض فتسهل السيطرة عليهم لضعفهم.

إن القول أن النعمان بن المنذر قد هيأ أسباب حرب الفجار يتطلب أن نعرض ولو بإيجاز لعلاقة النعمان بطرفي الحرب، كنانة وقيس.

فنقول: أن مضراً كلها ومنها قريش كانت لقاحاً لم تخضع لفرس أو روم، وقد خاطب الحيقطان مضراً وقريشاً، فقال:

وقلتم لقاح لا نؤدي إتاوةً ... فإعطاءُ أريان من الفر أيسرُ[1]

ولم يرد ما يفيد أن بني كنانة أدوا إتاوة لعمل الفرس حتى أن الشداخ وهو من كبار رؤساء بني كنانة، قال:

---

(١) الجاحظ، الرسائل، ص١٨٤.

أبَيْنا فلا نعطي مليكاً ظلامةً ... ولا سوقةً إلا الوشيج المقوما

وإلا حساماً يبهر العين لمحه ... كصاعقةٍ في عارض قد تبسما

كذلك كانوا، فلم يكن لديهم لمن يدعي عليهم ملكاً من غيرهم إلا الرمح والسيف وإذا كانت قبائل مضر لقاحاً لا تعطي إتاوة، فإن بني كنانة كانوا يتحدون النعمان، إذ أن النعمان قتل من بني كنانة - بني ليث - رجلاً قيل أنه أخو بلعاء الليثي، وكانت عيرات النعمان ولطائمه قبل ذلك توافي سوق الموسم في تهامة فلا تهاج، فلما قتل الكناني، تعرض بلعاء بن قيس الليثي للطائم النعمان بتهامة ونهبها وقد فعل ذلك مرتين[1] مما اضطر النعمان أن يسير لطائمه تحت حماية قوات يعدها لذلك، ويؤمن لها رجلاً يجيرها على القبائل.

أما علاقة قيس بالنعمان فإنها لم تكن أحسن حالاً من علاقة كنانة به، فبنو عامر بن صعصعة وكما أشرنا سابقاً كانوا لقاحاً ولم يكونوا تحت حكم ولاة الحيرة، هذا أولاً، وثانياً فإنهم كانوا قد تعرضوا على بعض ما جهّزه النعمان فأخذوه، وكان النعمان يجهز كل عام لطيمة فبعث النعمان إلى من كان يصطنع في العرب وأشباه المشايخ، وحشد بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم، وأتاه جزار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس، واجتمع جيش عظيم، فجهز النعمان معهم عيراً وأمرهم بتسييرها، وقال: إذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الأشهر الحرم ورجع كل قوم إلى بلادهم فاقصدوا عامراً فإنهم قريب بنواحي السّلان وكان في جمعهم هذا، وبرة بن رومانس الكلبي وهو أخو النعمان

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٩٢. والمحبر، ص١٩٦.

لأمه، وقيل إنه كان قائد ذلك الجيش، فدارت معركة هزم فيها بنو ضبة وجمعهم، وأسر أخو النعمان[1].

وقيل عن هذه المعركة إنها كانت بين قيس وتميم، وهي لبني عامر على تميم وضبة وأن الذي كان رئيساً على ضبة هو حسان بن وبرة أخو النعمان لأمه، وفيها هزمت تميم وضبة، وأسر يزيد بن الصعق حساناً، فافتدى حسان نفسه بألف بعير، ثم إن يزيد بن الصعق أغار على عصافير النعمان (نجائبه) بعد ذلك[2].

أما علاقة قريش بالنعمان فأقل ما يقال عنها أن للنعمان عند قريش ثأراً، إذ إن قريشاً أنذرت بني عامر بن صعصعة بواسطة عبدالله بن جدعان، بما بيّته النعمان لهم، وأنه أعد لهم جيشاً تحت قيادة أخيه. مما جعل بني عامر يتأهبون للقاء جيشه وينتصرون عليه[3].

يقول كستر في معرض تحليله لعلاقة القبائل العربية بأمراء الحيرة: إن من مظاهر هذه العلاقة استغلال أمراء الحيرة وبذكاء للخصومات الداخلية بين القبائل العربية، مستشهداً بقول أبي البقاء في (المناقب) وهو: (وكانت العرب أيضاً لا تخلو في ذات بينها من الدماء والحروب والمغاورة فيما بينها، وكان الملك (النعمان) إذا أراد غزو حي من العرب استمال أعدائهم عليهم واستنجد بقوم على قوم وضرب بعضهم ببعض)[4].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦٣٩.
(٢) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٧٧.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦٣٩.
(٤) كستر، الحيرة ومكة وصلتهم بالقبائل العربية، ٢٢.

ويشاء الله عز وجل أن يكون أحد سادات قيس، عروة الرحال، سيد هوازن ورجل من بني كنانة، يدعى البراض الضمري، في مجلس النعمان، ويدور حوار حول إجازة لطيمة الملك إلى عكاظ، ومن يصلح لهذه المهمة، فيقول البراض الضمري:

- أنا أجيزها، أبيت اللعن على كنانة.
- فقول النعمان: إنا أريد من يجيزها على كنانة وقيس، فينبري عروة ليقول:
- اكلب خليع يجيزها لك (كان البراض خليعاً في قمه بني كنانة)، أبيت اللعن، أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل تهامة ونجد، فيقول البراض غاضباً: وعلى كنانة تجيزها يا عروة؟ فيقول عروة:
- وعلى الناس كلهم.

ويستحضر النعمان ما كان من كنانة وقيس قبله ويهتبلها فرصة ليضرب القبيلتين ببعضهما، ويسلم اللطيمة لعروة الرحال.

دفع النعمان لطيمته إلى عروة الرحال، فخرج بها هذا والبراض الضمري يتبعه، وعروة لا يخشى منه شيئاً لأنه كان بين ظهراني قومه من غطفان فلما وصل أرضاً يقال لها أوارة في بلاد بني تميم، نزل عروة وشرب الخمر وغنته قينة ثم نام، فدخل عليه البراض، فناشده عروة وقال:

- كانت مني زلة، وكانت الفعلة مني ضلة، فلم يقبل البراض الاعتذار.

فقتل عروة وخرج يرتجز ويقول:

قد كانت الفعلة مني ضلَّة   هلا على غيري جعلت الزلة

فسوف أعلو بالحسام القلّة

ثم قال:

وداهيـــة يهـــال النـــاسُ منهـــا　　شدت لها - بني بكـر - ضـلوعي
هتكـت بهـا بيـوت بـني كـلاب　　وأرضـــعت المـــوالي بالـــضروع
جمعـت لـه يـدي بنـصل سـيف　　أفـلّ فخـرّ كالجـذع الـصريع[1]

واستاق البراض لطيمة النعمان، وفر الذين كانوا يقيمون على العير والأجمال، وتوجه إلى خيبر، ويحتال البراض على رجلين من قيس كانا قد تبعاه إلى خيبر يريدان قتله ثائراً لعروة الرحال، فيقتلهما، ثم يرسل رجلاً من بني أسد إلى قريش يخبرهم بأمره مع عروة.

الحرب – الوقعة الأولى – يوم نخلة :

لما بلغ قيس خبر مقتل عروة، اجتمعت وغارت على كنانة وقريش، ولكن كنانة وقريشاً يدخلون الحرم فيحتمون به، فنادى القيسون: يا معشر قريش، إنا نعاهد الله أن لا نبطل دم عروة الرحال أبداً، ونقتل به عظيماً منكم، وميعادنا وإياكم هذه الليالي من العام المقبل، فقال حرب بن أمية لابنه أبي سفيان: قل لهم إن موعدكم قابل في هذا اليوم.

وهذا اليوم سمي يوم نخلة وهو أول وقعة من وقعات الفجار الآخر، وافتخر به القيسون لهزيمة كنانة وقريش، فقال خداش بن زهير:

يـا شـدة مـا شـددنا غـير كاذبـة　　على سخينة لـولا البيـت والحـرم
لمـا رأوا خيلنـا تزجـى أوائلـها　　آسـادغيل حمـى أشـبالها الأجـم

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٤.

واستقبلوا بضراب لا كفاء له ... يبدي من العزل الأكفال ما كتموا
ولّوا شلاشاً وعُظم الخيل لاحقة ... كما تخب إلى أوطانها النعم
ولت بهم كل مِخصارٍ ململةٌ ... كأنها لقوةٌ يحتثها ضرم

الوقعة الثانية – يوم شَمْطة[1]:

وفي يوم شَمْطة جمعت كنانة قريشها وعبدُ مناتها والأحابيش وبني مالك بن كنانة، وآخرين من بني أسد بن خزيمة، وكان على قبيلة من قريش وكنانة سيدها.

ومن القادة الكنانيين من غير قريش حضر الحليس بن يزيد وسفيان بن عوف وكانا على الأحابيش، وقاد بني ليث بلعاء بن قيس،وكان على بني الدؤل معاوية بن عروة بن صخر النفاثي وعلى بني فراس المالكيين عمير بن قيس جذل الطعان.

أما بنو أسد بن خزيمة فكان يرأسهم خزيمة بن بشر بن أبي حازم، وكان حرب بن أمية على عموم جيش كنانة وأسد – لمكانته من عبد مناف سناً ومنزله.

أما قيس فقد حضر منها: بنو عامر بن صعصعة وبنو نصر وسعد وثقيف وجُشم وغطفان وبنو سليم وفهم وعدوان، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي.

ولما نشب القتال كانت الدائرة في أول النهار لكنانة على قيس حتى إذا كان آخر النهار، تداعت هوازن وصابرت فانقشعت كنانة واستحرّ القتل فيهم وقتل

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٦.

منهم تحت راياتهم مائة رجل وقيل ثمانون، كان معظم القتلى من بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة، وانتصرت هوازن.

الوقعة الثالثة – يوم العبلاء[1] :

والتقت قيس وكنانة في يوم العبلاء والرؤساء على الطرفين نفس الذين كانوا في يوم شمطة وكان النصر فيه لقيس على كنانة، فقال الخداش بن زهير:

ألم يبلغك ما لقيت قريش ... وحي بن كنانة إذ أبيروا

دهمناهم بأرعن مكفهرٍ ... فظل لنا بعقوتهم زئير

وفي يوم العبلاء قتل مرة بن معتب الثقفي العوام بن خويلد والد الصحابي الزبير ﷺ فقال رجل من ثقيف:

منا الذي ترك العوام مجندلاً ... تنتابه الطير لحماً بين أحجار

الوقعة الرابعة – يوم شرب[2] :

وهذه الوقعة أعظم أيام الفجار وفيه قتلت قيس قتلاً ذريعاً وانهزمت وكان بنو مخزوم وبنو بكر قد صابروا وثبتوا، فقال عبدالله بن الزبعرى يمدح المغيرة المخزومي:

الا لله قوم ولدت ... أخت بني سهم

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٧.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٧.

هــــــشام وأبــــو عبـــــد منـــاف مـــدرة الخـــصم
وذو الـــــرمحين أشـــــبال مـــــن القـــوة والحـــزم
فهــــــذان يــــــذودان وذا مــــن كثـــب يرمـــي

وكان عمر بن المغيرة قد قاتل يوم شرب برمحين.

وقال جذل الطعام الفرّاسي:

جاءت هــوازن أرســالاً وأخوتهــا بنو سليم فهابوا الموت وانـصرفوا
فاستقبلوا بـضراب فـض جمعهـم مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

وفي هذا اليوم نادى أبو السيد عم مالك بن عوف النصري لما رأى ما تصنع كنانة من القتل: يا معشر بني كنانة أسرفتم في القتل، فأجابه عبدالله بن جدعان: أنا معشر يُسرِف.

الوقعة الأخيرة – يوم الحريرة والصلح[1] :

يوم الحريرة آخر أيام الفجار والرؤساء فيه نفسهم إلا أن بلعاء بن قيس رئيس بني ليث كان قد مات فخلفه أخوه جثامة بن قيس على بني ليث ويوم الحريرة كانت لهوازن على كنانة، وفيه قتل من سادات قريش أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية، وثمانية رجال من بني كنانة قتلهم رجل واحد وهو عثمان ابن أسيد بن مالك من بني عامر بن صعصعة وقتل أبو كنف وابنا إياس وعمرو ابن أيوب.

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، م٥، ص٢٥٨.

وقال خداش بن زهير:

أنـى مـن النفـر المُخمَـر أعيـنهم أهل السَّوام وأهل الصخر واللُّـوب
الطـاعنين نحـور الخيـل مقبلـةً بكـل سمـراء لم تعلـب ومعلـوب
وقـد بلـوتم فـأبلوكم بلاءهـم يـوم الحُريـرة ضـرباً غيـر مكـذوب
لاقـتهم منـا آسـاد ملجمـة ليـسوا بزراعـة عـوج العراقيـب
فـالآن ان تقبلـوا نأخـذ نحـوركم وان تبـاهوا فـإني غـير مغلـوب
إن توعـدوني فـإن لابـن عمكـم وقـد أصـابوكم مـني بـشؤبوب
وإن ورقـاء قـد أردى أبـا كنـف وابنيَ أيـاس وعمـراً وابـن أيـوب

وقال الحارث بن كلدة الثقفي:

تركـت الفـارس البـذاخ مـنهم تمـجُ عروقـه علقـاً عبيطـا
دعـست لبانـه بـالرمح حتـى سمعـت لمتنـه فيـه أطيطـا
لقد أرديت قومك يـا ابـن صخر وقـد جـشمتهم امـرأ سـليطاً
وكـم أسـلمت مـنكم مـن كمـيّ جريحـاً قـد سمعـت لـه غطيطـاً

وكما فخرت قيس بما فعلت أيام الفجار كذلك فخرت كنانة فقالت عاتكة بنت عبدالمطلب:

سـائل بنـا في قومنـا وليكـف مـن سـر سماعُـه
قيـساً ومـا جمعـوا لنـا في مجمـع بـاق شـناعُه
فيـه الـسنُور والقنـا والكـبشُ ملتمـعٌ قناعُـه

بعكاظ يغشى الناظرين إذا هم لمحوا شعاعه
فيه قتلنا مالكاً قسراً وأسلمه رعاعه
ومجدلاً غادرنه بالقاع تنهشه ضباعه[1]

الصلح :

كان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجر حرب بن أمية وكان حرب يخاف عليه ويشفق من خروجه للقتال، ولكن عتبة فاجأ العسكر، إذ لم يشعروا ألا وهو على بعيره بين الصفين ينادي: يا معشر مضر علام تقاتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح على أن ندفع إليكم رهناً منا، قالوا: ومن لنا بهذا؟ قال: أنا، قالوا: ومن أنت؟ قال: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فرضوا ورضيت كنانة، وعدوا قتلاهم فكانت القتلى من هوازن يزيدون بعشرين رجلاً على قتلى بني كنانة، ودفع زعماء بني كنانة وقريش أولادهم رهناً حتى يؤدوا الديات، وكان حكيم بن حزام من جملة من دفع، ولما رأت عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم[2].

علاقة بني كنانة مع خزاعة

من هم خزاعة؟

قيل عن الخزاعيين أنهم أبناء عمرو بن عامر، وقيل أنهم بنو حارثة بن عمرو بن عامر، وقيل أنهم بو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث[3].

---

(١) الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج٢، ص٣١١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٧٠، هامش ١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٨٥.

وقال المسعودي: إن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، هو خزاعة ومنه تفرقت بطونهم، وسموا خزاعة بانخزاعهم من جملة الأزد إلى بطن مر عبد مسيرهم من مأرب، وفي ذلك قال عوف بن أيوب الأنصاري:

فلما هبطنا بطن مر تخزعت ... خزاعةُ منا في خيول كراكر

حَمَت كل واد من تهامة واحتمت ... بصم القنا والمرهفات البواتر[1]

المؤرخون مجمعون - وإن اختلفوا في اسم خزاعة واسم أبيه - على أن خزاعة من عرب الجنوب القحطانيين، ولكن لسكنهم في تهامة صارت لهم ببني كنانة سكان تهامة الأصليين علاقة متميزة أن الذي يربط بني كنانة بخزاعة تاريخ طويل يبدأ من سيطرة خزاعة على مكة وبيتها العتيق بمساعدة بني بكر بن عبد مناة.

السيادة لخزاعة على الكعبة:

استطاعت جرهم اليمانية أن تسيطر على الكعبة، ولكن جرهماً بغت وكانت تستحل ما يهدى للبيت العتيق من مال، فاتفقت خزاعة مع بني بكر الكنانيين على حربها وطردها، فلما تم لهما ذلك وبعد زمن استأثرت خزاعة بالكعبة دون بكر، فقد احتالت خزاعة على بكر وذلك بأن اشترطت لها السيادة إن هي دلت على الحجر الأسود الذي سرقته أياد ودفنته، أن تكون لها السيادة على الكعبة فكان لها ذلك.

ولما تمت سيطرة خزاعة على البيت عظمته وذبت عنه ولم تسرق منه شيئاً مما كان يهدى إليه، فقال عمرو بن الحارث بن عمرو الغساني:

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٣١.

نحـــن ولينـــاه فلـــم نغـــشه وابـــن مـــضاض قـــايم يهـــشّه
يأخـــذ مـــا يهـــدى لـــه يغـــشه نـــترك مـــال الله مـــا نمـــشه

ويريد بابن مضاض، ملك جرهم عامر بن عمرو بن الحارث ابن مضاض الجرهمي[1].

تحالفات بني خزاعة مع بني كنانة – خزاعة وبني بكر:

بحكم الجوار ولكون القبيلتين تسكنان في تهامة فقد كان التحالف أمراً طبيعياً جداً لضرورات البقاء، وأول تحالف كان لبني بكر مع خزاعة فقد رأينا كيف استطاع هؤلاء طرد جرهم ولكن برغم هذا الحلف فإن بني بكر كانوا لا يمدون خزاعة ولا ينصرونها إن هي حاربت قبيلة من مضر، وقد حدث هذا أكثر من مرة، فلما قاتلت خزاعة بني أسد بن خزيمة وطلبت العون من بني كنانة رفض الشداخ أن يمدهم بنصره وذلك لقرابة كنانة وأسد وقعد عن نصرتهم، وقال: أكلما حاربت خزاعة تحدوني كأني لأمهم جمل[2].

وكذلك كان حال الشداخ لما قاتل قصي القرشي خزاعة على ولاية البيت، فإذا أوردت كتب التاريخ أن بكراً قاتلت مع خزاعة ضد قصي، فإن طرفي الحرب قريش ومن معها وخزاعة ومن معها، قبلا حكومة الشداخ الليثي، ولا يعقل أن يكون الحاكم طرفاً في النزاع، ومن هذا يظهر أن من قاتل مع خزاعة في تلك الوقعة من بني بكر قليل جداً وقد يكونون أفراداً، أما كنانة فكلها مع قصي[3].

---

(١) الأزرقي، اخبار مكة، ج١، ص٥٩.

(٢) الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٦١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١١٤.

وحالف حي من خزاعة وهم بنو حناطر بن حبيشة بني الملوّح الليثيين[1].

بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وخزاعة :

حالف بنو الحارث حيين من خزاعة وهما المصطلق والحيا، ودخل معهم في الحلف بنو الهون بن خزيمة وسمي هذا الحلف بحلف الأحابيش[2] والذي يرأس التحالف هم بنو الحارث وقد تعاقب على زعامته رجال من بني الحارث منهم ابن الدغنة والحليس[3].

بنو مدلج يتعاقلون مع خزاعة :

العقل شكل من أشكال العلاقات القبلية عرفه العرب، وهو أن تشترك قبيلة مع أخرى أو تتفق بجموعة من القبائل على أن تؤدي دية القتيل الذي أصابه رجل من هذا التجمع مجتمعة، وكان بنو مدلج بن مرة يتعاقلون مع خزاعة قبل الإسلام واستمروا على حالهم حتى صدر الإسلام، فلما أمر رسول الله ﷺ خزاعة أن تخرج دية هذلي قتله رجل منهم، جاء بنو مدلج بغنم عفر، أي أنهم أدوا ما يصيبهم من الدية عن الخزاعي[4].

بنو مالك بن كنانة وخزاعة :

كانت علاقة بني مالك مع خزاعة حسنة، وأن قوماً من خزاعة وهم رهط قيس بن الحدادية (الشاعر) نزلوا في ديار بني فراس بن غنم المالكين وفي

---

(١) أبو الفراج الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص١٤٥.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٦.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٦. وابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٠٠.
(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٣٥٤.

عهدهم، ولكن حدث أن رجلاً من خزاعة قتل رجلاً من بني فرّاس، مما اضطر خزاعة للهرب ونزلوا في بجيلة على اسد بن كرز[1].

بنو الدؤل وخزاعة :

قتلت خزاعة حليفاً لبني بكر يدعى مالك بن عباد عندما مر بأرضهم وأخذت ماله، فثارت بنو بكر لحليفها وقتلت به خزاعياً، ثم إن ذؤيب وسلمى وكلثوم النفاثيين كانوا بعرفة، فاغتنم الخزاعيون الفرصة وقتلوا الرجال الثلاثة وكانوا من أشراف كنانة، مما حمل نوفل بن معاوية الدؤلي أن يبيت خزاعة على ماء لها يقال له الوتير، فيقتل رجالاً منهم ويلوذ الآخرون بالحرم، أو إلى دار مولى لخزاعة يقال له رافع، وانهزم من انهزم وهو عرياناً، حتى أن تميم بن أسد قال معتذراً من فراره وطرحه ثيابه:

لما رايت بني نفاثة أقبلوا ... يغشون كل وتيرة وحجاب

صخراً ورزيناً لا عريب سواهم ... يزجون كل مقلص خناب

وذكرت ذحلاً عندنا متقادماً ... فيما مضى من سالف الأحقاب

ونشيتُ ريح الموت من تلقائهم ... ورهبت وقع مهند قضاب

وعرفت أن من يثقفوه يتركوا ... لحماً لمجرية وشلو غراب

قومت رجلاً لا أخاف عثارها ... وطرحت بالمتن العراء ثيابي

ونجوت لا ينجو نجاتي أحقب ... علج أقب مشمر الأقراب

وقال الأخرز بن لعيط الدؤلي في هذه الوقعة:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص١٤٩.

ألا هل أتى قصوى الأحابيش إننا ... رددنا بني كعب بافوق ناصلِ
حبسناهم في دارة العبد رافع ... وعند بديل محبساً غير طائل
بدار الذليل الأخذ الضيم بعدما ... شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ... نفحنا لهم من كل شعب بوابل
نذبحهم ذبح التيوس كأننا ... أسود تبارى منهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم ... وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ يطردونهم ... قفا ثور حفان النعام الجوافل

بنو مليح بن عوف يدّعون انهم من كنانة اصلاً:

إن التاريخ الطويل المشترك بين كنانة وخزاعة صوّر للبعض أن خزاعة أو حياً منها يعود في أصوله إلى كنانة، حتى أن أبا داود الأيادي قال وهو يذكر خروج إياد من مكة أن خزاعة إخوة كنانة، قال:

الا ابلغ خزاعة اهل مرّ ... واخوتهم كنانة عن إياد[1]

وقد يحمل قول أبي دؤد على انه أراد أخوّة المصير الواحد لا أخوّة النسب، ولكن وفي أيام دولة بني أمية وتحديداً في أيام خلافة عبدالملك بن مروان أذاع كثير الشاعر الخزاعي، أنه من بني الصلت بن النضر بن كنانة، قال كثير:

اليس أبي بالنضر أو ليس أخوتي ... بكل هجان من بني النضر أزهرا
رأيت ثياب القصب مختلط السُّدى ... بنا وبهم والحضرمي المخصرا

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٩١.

فإن لم تكونوا من بني الصلت فاعركوا   أراكاً بأذيال الخمائل أخضرا[1]

تلقف الناس ما قال كثير، وصار حديثهم حتى تدخل الخليفة عبدالملك بن مروان شخصياً في الأمر، فأمر كثيراً أن ينشد شعره هذا على منبري الكوفة والبصرة وحمل كثيراً إلى العراق، كتب إلى واليه على العراق بذلك[2]. وراح الناس في العراق كل يقول رأيه وتحول الموضوع إلى معركة ظاهرها الشعر وباطنها الدفاع عن النسب، وقيل أن الأحوص وسراقة البارقي اشتركا فيها، فقال سراقة:

أيزعم أني من كنانة أولي   ومالي من ام هناك ولا أب

فرد عليه كثير:

أبا علقم أكرم كنانة أنهم   مواليك إن أمرٌ سما بك معلق

بنو النضر ترمي من ورائك بالحصى   أولو حسب منهم وفاء ومَصْدَق

إذا ركبوا ثارت عليك عجاجة   وفي الأرض م وقع الأسنة أولق[3]

وقال بنو كنانة رأيهم في هذا الأمر، قالوه على لسان الحزين الدؤلي، فقد هب الحزين يدفع رهط كثير عن الأنساب إلى كنان، قال الحزين:

وما أنتم منا ولكنكم لنا   عبيد العاص ما ابتل في البحر عائمُ

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٨٧.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص١٦-١٧.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص١٦-١٧.

وقـد علـم الأقـوام أن بـني أسـتها خزاعـة إذ نـابٌ وأنـا القـوادم
ووالله لـولا الله ثـم ضـرابنا بأسـيافنا دارت عليهـا المقاسـم
ولـولا بنـو بكـر لـذلت وأهلكـت بطعن وأفنتها السيوف الصوارم[1]

وخير من صور علاقة كنانة مع خزاعة ورسم حدودها عمرو بن معد كرب، سأله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن خزاعة، فقال: أولئك مع كنانة، لنا نسبهم ولهم نصرهم[2].

* * *

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص١٠.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣٣٤.

الفصل الرابع

دور بن كنانة في الإسلام

استسلمت قبائل كنانة جميعها لقيادة قريش، واستطاعت قريش أن تحقق لكنانة نصراً على أكبر قبيلة من قبائل مضر، هوازن في حرب الفجار، ولما بعث محمد ﷺ تصدت قريش للإسلام وكنانة تابعة طائعة، منقادة لقريش، فشاركت وكما عرضنا سابقاً في معركة بدر وأُحد وكذلك كانت في الخندق، واستمرت كذلك حتى فتح مكة، حاولت قريش وكنانة التصدي للإسلام بكل قوتيهما، ولكن الدين ظاهر، إذ كتب الله تعالى على العرب، ولهم أن يحملوا رسالة الإسلام.

وفي خط موازٍ للخط الرافض والمتصدي للإسلام، بدأ يظهر خط آخر، بدا مهادناً ثم صار داعماً معتمداً على موروث العرب من جميل عاداتهم وحُسْن أخلاقهم وجرأتهم فقد رأى من سار على هذا الخط أن الإسلام أقرب له من دينه الذي كان عليه من عبادة الأوثان وتعظيم للكعبة أو ما يسمى بالحمس، فاعتنق الإسلام.

ويمكن أن نتتبع اقتراب بني كنانة من الإسلام واعتناقهم له على محطات شكلت درجات السلم الصاعد نحو المعالي، بعض هذه المحطات كانت أعمالاً فردية وبعضها كان عملاً جماعياً، ويمكن لمتلمس الأخبار أن يرى كيف كان

أولئك القوم يدنون من الإسلام رويداً رويداً ثم يحملونه في صدورهم نوراً، فصحبوا رسول الله ﷺ وكانوا قادة في جيوش الإسلام وسفراء وفقهاء يفتون الناس، ولنبدأ من البداية.

كناني من بني عبد مناة يجير الصدّيق ﷺ :

أسلم أبو بكر الصديق ﷺ فضيقت عليه قريش، ولقى ﷺ من أذى قريش الكثير، فضاقت عليه مكة، فخرج مهاجراً منها بإذن رسول الله ﷺ حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه رجل من سادات كنانة وهو ابن الدُّغنة، من بني عبد مناة من كنانة وكان يومها سيد الأحابيش، فقال: أين يا أبا بكر؟ فيقول الصديق ﷺ : أخرجني قوم، وأذوني وضيّقوا عليّ، فيقول ابن الدُّغنة: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم. ارجع فأنت في جواري، فرجع أبو بكر ﷺ مع ابن الدُّغنة، حتى إذا دخلا مكة قام ابن الدُّغنة، فقال: يا معشر قريش إني قد آجرت بن أبي قحافة، فلا يعرضن له أحداً إلا بخير، فكفوا عنه[1] عاد الصديق ﷺ ليصلي في الحرم، ويقرأ القرآن، ودائماً ما كان ﷺ عندما يقرأ القرآن يبكي وينشج، فتسمع قريش تلاوته ويدخلها ما يكسر من طغيانها، من خشوع الصدّيق وتلاوته.

كناني من بني غفار يتحدى قريشاً ويجهر بالشهادة في الحرم :

بدأ رسول الله ﷺ يدع الناس للإسلام، فاستجاب له بعض أهله ونفر من عشيرته، ولسنا بصدد إعطاء تسلسل لمن أسلم أولاً ولكن الروايات تجمع على

(١) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٦.

أن أبا ذر الغفاري كان من السابقين[1]، فما أن سمع ببعثة النبي العربي محمد ﷺ حتى انطلق للقائه شوقاً لأخبار الوحي، والروايات وإن أجمعت على ذكر رحلة أبي ذر الغفاري للقاء الرسول ﷺ فهي تختلف في ذكر من كان معه في تلك الرحلة، فمرة يقال أن ابن عم له كان معه، وأخرى يروي أن أمه وأخاه كانا بصحبته، المهم في الخبر هو أن أبا ذر الغفاري رحل لقاء الرسول ﷺ ليسلم، أي أنه هو الذي طلب الإسلام في أول أيام البعثة، حين كان رسول الله ﷺ يعرض الإسلام على ذوي قرباه فيأبى أكثرهم.

أما جهر أبي ذر الغفاري بالشهادة، فرواية عن ابن عباس رضي الله عنه تقول: إنه بعد أن لقي أبو ذر الرسول ﷺ ونطق بالشهادة، قال له رسول الله ﷺ : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، فقال أبو ذر: والذي نفسي بيده لأصرخن بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى الحرم فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقام القوم عليه وضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس س رضي الله عنه ، فأكب عليه وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم، فأنقذه منهم، ويعاود أبو ذر فعلته في اليوم التالي فيضرب وينقذه العباس رضي الله عنه .

وهكذا يكون الرجال إذا آمنوا، يا له من موقف لا يقل روعة وجرأة عن موقف الفاروق عمر رضي الله عنه حين أسلم، ولا عن موقف حمزة رضي الله عنه حين ضرب وجه أحد كبار طغاة قريش، وقال: أنا على دين محمد ﷺ ، ومن الإنصاف القول أن

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٣، الحديث ٣٦٨٨٨ و ٣٦٨٨٩. والإمام مسلم، الصحيح، ج٢، ص٣٨٧.

عمراً وحمزة رضي الله عنهما كانا منيعين يمنع جبروتهما عنهما الناس ويمنعهما قومهما من الناس، أما أبو ذر فقد كان ضئيلاً في جسمه، وليس في مكة من بني غفار من يمنعه من مشركي قريش، لكنه ورث جرأة وتحدياً ملكا عليه نفسه، لقد كان أبو ذر نتاج موروث طويل منن التحدي والجرأة استمر معه حتى آخر حياته.

ولما عاد أبو ذر إلى قومه، أسلم نصف قومه على يده[(١)].

اول تعرض عسكري على قريش يبدأه بنو غفار الكنانيون :

عاد أبو ذر الغفاري لقومه بني غفار بعد إسلامه موتوراً فقد ضربه القرشيون حتى أوجعوه، وقرر أن يثأر لنفسه مما لحقه من إهانة واعتداء وكان قومه بدأوا الدخول في الإسلام وفيهم على قريش كما في أبي ذر.

قال ابن سعد في حديث إسلام أبي ذر: ضربه لإسلامه فتية من قريش، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله، أما قريش فلا أدعهم حتى أثأر منهم، فخرج حتى أقام بعسفان، وكلما أقبلت عير لقريش يحملون الطعام ينفر لهم على ثنية غزال لتلقي أحمالها فجمعوا الحنط، فقال لقومه: لا يمس أحد حبة حتى تقولوا: لا إله إلا الله، فيقولون لا إله إلا الله، ويأخذون الغرائر[(٢)].

اربعة رجال اخوة من بني ليث الكنانيين يبايعون الرسول ﷺ في دار الأرقم:

اتخذ رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة بداية الدعوة مكاناً لتلاقي المسلمين، وتعليم القرآن، ومركزاً للدعوة، وما أن بدأ هذا المقر عمله

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص١٩.

(٢) وابن سعد، الطبقات، ج٤، ص١٦٥.

حتى سجل بنو ليث سبقاً، صار لهم فخراً، إذ إن أول من أسلم في تلك الدار وفي يوم واحد، عاقل وخالد وعامر وإياس وأولاد البكير بن عبدالله بن ناشب ابن غيره بن سعد بن ليث[1].

عبدالله بن أرقط الدؤلي دليل ركب الهجرة المباركة، وسراقة بن مالك المدلجي يذيع معجزات الرسول ﷺ :

أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ بالهجرة من مكة إلى يثرب وبعد أن اشتد أذى قريش للرسول ﷺ ، فأخبر صاحبه الصدّيق ﷺ بالإذن فهيأ أبو بكر راحلتين وتهيأ، ولكن الطرق إلى يثرب محفوفة بالمخاطر وجعلت قريش جعلاً لمن يدل على الرسول ﷺ وصاحبه ﷺ ، فكان لابد من دليل يعرف مسالك الأرض ويقدر على تضليل قريش، يستأجر أبو بكر رجلاً من بني الدؤل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة يدعى عبدالله بن أرقط، ويسلمه الراحلتين يرعاهما حتى ساعة الهجرة، وبدأت الرحلة المباركة يحدوها عبدالله بن أرقط سالكاً أسفل مكة ثم يمضي على الساحل صوب يثرب، وما أن يصل الركب الميمون مأمناً حتى يعود عبدالله بن أرقط إلى مكة ليحمل ابنتي رسول الله ﷺ فاطمة وأم كلثوم لتلحقا بالرسول ﷺ فيوفق عبدالله بن أرقط ويصل يثرب مع الظعينة سالماً[2] وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، عبدالله بن أرقط لم يكن أسلم حينذاك، ولم يغره جعل قريش ومع كل ذلك أدى الأمانة على أحسن وجه.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٩٨. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٣٥. وابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٣٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٦٠ و ٢٦٩. والطبري، التاريخ، ج١، ص٤٩١.

أما سراقة بن مالك المدلجي فهو من سادات مدلج، وطمع سراقة بجعل قريش الذي جعلته على نفسها لمن يوقف ركب الهجرة، فسار سراقة بن مالك في أثر الرسول ﷺ ، رأى سراقة بن مالك من المعجزات ما جعله يؤمن بنبوة محمد ﷺ ، ساخت أقدام فرسه في الحجر، وعثر به الفرس وما كان يستطيع خلاصاً لولا الرسول ﷺ ، فعاهد الرسول الكريم ﷺ على أن يثبط عنه قريشاً، وأمر الرسول ﷺ أبا بكر أن يكتب عهداً لسراقة فرجع سراقة وكلما لقاه رجلاً من قريش ممن تبع الرسول ﷺ ، يقول سراقة: ارجع فاتك الركب.

وحين يصل سراقة إلى مكة يخبر قريشاً ما لقى، فيخاف أبو جهل فتنة قريش فيغري بني مدلج بسراقة فيقول:

عليكم به الا يفرق جمعكم ... فيصبح شتى بعد عزّ وسؤدد

فيجيبه سراقة:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

المعاهدات التي أبرمها الرسول محمد ﷺ مع قبائل بني كنانة

إذا كان أفراد من كنانة قدموا خدمة للرسول ﷺ وللإسلام، فإن قبائلاً من كنانة بدأت تبرم عهوداً ومواثيق مع رسول الله ﷺ ، فلما شرع النبي ﷺ ببناء دولة الإسلام حال دخوله يثرب، منح ﷺ الجماعة المسلمة كياناً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً مميزاً، فبنى مسجده متخذاً منه مقراً لقيادة الدولة الجديدة، إضافة لكونه

مكاناً للصلاة والعبادة، وباشر بتنظيم علاقة الأنصار بالمهاجرين، وعلاقة المسلمين بيهود يثرب وما حولها وكذلك علاقة المسلمين مع قريش في السلم والحرب، وشرع لذلك دستوراً فريداً من نوعه، ونص الدستور على ما يلي:

١- حرمة المدينة.

٢- وحدة المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم.

٣- قرر حرية الدين لليهود.

٤- فتح الباب لمن يرغب باعتناق الإسلام.

٥- أكد على مركزية القرار، بأن أناط اتخاذه إلى الله ورسوله ﷺ .

٦- رسم طرق التعامل مع قريش وغيرها، حال الحرب.

وبهذا فإن الدستور الإسلامي الذي وضعه الرسول ﷺ إضافة للمؤاخاة التي أقامها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار بأن جعل لكل مهاجر أخاً من الأنصار، يوجب له من الحقوق ما توجبه صلة النسب – أقول أن الدستور قد أمّن وحدة المسلمين أو ما يسمى اليوم الجهة الداخلية.

بعدها توجه الرسول محمد ﷺ لمن حوله من العرب والمقيمين منهم على الطريق بين مكة والمدينة مبرماً معهم عهوداً بعضها موثق كتابةً والبعض الآخر كان مشافهة وبدأ ﷺ ببني كنانة لأسباب جغرافية وسياسية واقتصادية وكان ﷺ يروم نتائجاً سنتبينها لاحقاً، وهذه المعاهدات هي:

١- معاهدات بني ضمرة :

على رأس الشهر الحادي عشر للسنة الأولى للهجرة أو الثاني عشر للسنة المذكورة كانت غزوة الأبواء أو ودان، وفيها عاهد الرسول ﷺ بني ضمرة اللثين

وكان على رأسهم مخشي بن عمرو الضمري، وهذا أول عهد بين الرسول ﷺ وبين قبيلة من قبائل العرب، ونص العهد هو:

«هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة، بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يحاربوا في دين الله، ما بل بحر صوفه، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم إلى النصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ولهم النصر، من بر منهم واتقى»[(١)].

ووفى بنو ضمرة بعهدهم وحافظوا عليه، فحين أقام رسول الله ﷺ على بدر في غزوة بدر الآخرة ينتظر أبا سفيان لميعاده، وأتاه مخشي بن عمرو الضمري، وقال: يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ فقال الرسول ﷺ: نعم أخا ضمرة - وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، فقال مخشي بن عمرو: لا والله يا محمد ما لنا بذلك منك من حاجة[(٢)].

٢- معاهدة بني مدلج ومن حالفهم من بني ضمرة:

في أواخر جمادى الأول أو في جمادى الآخر وعلى رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ يريد قافلة لقريش وهي ما يسمى بغزوة العشيرة، ومرّ رسول الله ﷺ ببني مدلج فضيفوه وأحسنوا ضيافته[(٣)] فوادعهم الرسول ﷺ هم وحلفائهم من بني ضمرة[(٤)]

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٧٤.

(٢) ابن هشام، السيرة، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٨٧.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٧٧.

ولم يورد أهل السير والأخبار نص هذه المعاهدة، ويغلب على الظن أنه ﷺ لم يحرر بها كتاباً وأنها كانت مشافهة، وهي ثاني معاهدة يبرمها الرسول ﷺ مع بني كنانة التي كانت تسكن على الطريق بين مكة والمدينة، إذ أن العشيرة (وكذلك سميت غزوة الرسول ﷺ هذه) موقع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة[1].

ويروي الجاحظ أن بعض الناس قد زيّن للنبي غزو بني مدلج فقال للنبي ﷺ : هل لك في بيض النساء وأدم الإبل؟

فقال الرسول ﷺ : ومن هم؟ قال: بنو مدلج.

فقال الرسول ﷺ : يمنعني من ذلك قراهم الضيف، وصلتهم الرحم[2].

والراجح أن هذه المحاورة كانت بعد العهد الذي أبرمه الرسول ﷺ مع بني مدلج.

٣- معاهدة بني غفار:

أرسلت قريش كرز بن جابر الفهري فأغار على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في ربيع الأول في السنة الثانية للهجرة يطلبه، فلم يدركه، ولما بلغ الرسول ﷺ سفوان وهو موضع من ناحية بدر، كتب بينه وبين بني غفار كتاب موادعة[3]، وهذا نص الكتاب:

«إنهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وأن النبي ﷺ عقد لهم ذمة الله ورسوله على أموالهم وأنفسهم ولهم النصر على من بدأهم

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٧.

(٢) الجاحظ، البخلاء، ص١٤٥.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١١١.

بظلم، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لينصروه أجابوه، وعليهم النصر إلا من حارب في الدين، ما بل بحر صوفه، وأن هذا الكتاب لا يحول دون إثم»[1].

نتائج معاهدات الرسول ﷺ لبطون بني كنانة :

أنتجت العهود التي أبرمها رسول الله ﷺ مع بطون بني كنانة وهم كل من بني ضمرة وبني مدلج وبني غفار، وكل هؤلاء كانوا يسكنون على الطريق بين مكة والمدينة آثاراً عادت بالنفع على دولة الإسلام إذ إنها أمنت عاصمة الإسلام، المدينة المنورة وحصّنتها ضد احتمال قيام هؤلاء بالإغارة على المدينة بسبب التزامهم بالعهد.

ثم إن هذه العهود كسرت شوكة الشرك المتمثل بقريش وقيادتها لبني كنانة، إذ إنها أضعفت قيادة قريش لهم بأن فكت تحالفها القائم معهم، ومنعت من لم يكن تحالف معها من إبرام أحلاف جديدة لعهودهم التي أعطوها للرسول ﷺ ، ثم إنها أدت إلى محاصرة قريش اقتصادياً بتهديدها بتجارتها حيث كانت طرق تجارتها تمر عبر بني غفار.

دورهم في معارك الإسلام الفاصلة

بدر الكبرى :

في السنة الثانية للهجرة المباركة كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان وحضر بدراً مع رسول الله ﷺ جماعة من بني كنانة، وكان فخراً لبني كنانة أن يحضر بدراً أربعة أخوة لأب واحد وهم عاقل وخالد وإياس وعامر أولاد أبي

---

(١) تقي الدين محمود، مشاهير بني ضمرة، ص١٣.

البكير الليثي، واستشهد منهم عاقل رحمه الله[1] وكان معاوية بن أبي سفيان يفخر على الأنصار بأن أربعة إخوة من عمومته حضروا بدراً ولم يكن للأنصار مثل ذلك[2] إذ إن المهاجرين كانوا قلة بالنسبة للأنصار أهل المدينة، والزائر لمدينة بدر يقرأ اسم عاقل بن البكير من ضمن الشهداء في النصب المقام بالمدينة المذكورة لشهداء بدر رحمهم الله[3].

معركة أُحد :

كان العباس بن عبدالمطلب ﷺ في مكة فلما عرف عزم قريش على غزو المدينة أرسل ينذر الرسول ﷺ بذلك، فكان أن أرسل رجلاً من بني غفار برسالة إلى الرسول ﷺ يخبره أن قريشاً قد اجتمعت للمسير إليه، فوصل الغفاري المدينة ولكنه لم يجد الرسول ﷺ ، فقيل له أن الرسول ﷺ في قباء فخرج إلى قباء وسلّم الرسول ﷺ الرسالة[4].

واستبسل المسلمون في أحد وكذلك فعل بنو ضمرة، حتى إن التاريخ حفظ لجعيل بن سراقة الضمري ما كان من بطولة، فقد ثبت أن جعيلاً كان يقاتل مع عبدالله بن جبير وأن جعيلاً لم يفر أو ينصرف حتى قتل عبدالله بن جبير، فكان جعيل بن سراقة آخر من انصرف من المسلمين فاراً من خيل المشركين[5].

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٥٦.
(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٩١.
(٣) د. محمد عبده يماني، بدر، ص٦١.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص٢١٧.
(٥) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ص٢٤٠.

وفي معركة أحد كان لبني كنانة سهم في الشهادة، فقد استشهد عبدالرحمن واستشهد أخوه عبدالله ابنا الهبيب الليثي، رحمهما الله[1].

يوم الرجيع :

في سنة ثلاث للهجرة، وبعد أحد جاء رهط من عضل والقارة إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يبعث معهم نفراً من المسلمين ليفقهونهم في الدين ويعلمونهم الشريعة، فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة من أصحابه وكان منهم خالد بن البكير الليثي.

فلما خرجوا ووصلوا الرجيع (ماء الهذيل) غدروا بهم وخرجت عليهم هذيل، وقالوا لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم، فقال مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، فقاتلوهم وقتلوا جميعاً رحمهم الله، واخذ الآخرون أسارى إلى مكة.

فقال حسان بن ثابت يرثيهم:

صلى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم ... وابن البكير أمامهم وخبيب[2]

تسببهم في إجلاء بني النضير :

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يظهر ما كان يبطنه يهود بن النضير للإسلام من شر على يد عمرو بن أمية الضمري، فقد قال ابن هشام في السيرة: كان أبو

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ص٤٣٣. والواقدي، المغازي، ج١، ص٣٠٠.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٩٣ و ١٠٣.

براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة قد قَدِم على رسول الله ﷺ في صفر من السنة الرابعة للهجرة، فعرض الرسول ﷺ عليه السلام، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وطلب من الرسول ﷺ أن يبعث رجالاً من المسلمين إلى أهل نجد يدعونهم للإسلام، وقال أنا جار لهم من أهل نجد.

فأرسل رسول الله ﷺ أربعين رجلاً من أصحابه فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهي بين أرض بني عامر ومرة بني سليم، كلا البلدين منها قريب وهي إلى مرة بني سليم أقرب، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، واستصرخ بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، فاستصرخ بني سليم من عُصية ورعل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك فقُتل المسلمون عن آخرهم إلا كعب بن زيد فقد تركوه وبه رمق.

وكان في سرح المسلمين عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار، فانبأتهم الطير التي كانت تحوم على العسكر بخبر إخوانهم من المسلمين، فلما نظرا وجدا إخوانهم في دمائهم وخيلهم واقفة، فكان رأي عمرو بن أمية الضمري أن يلحقا هو وصاحبه لرسول الله ﷺ فيخبراه الخبر، فأبى الأنصاري فقاتل حتى قُتل، وأخذ عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل بعد أن جز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو الضمري حتى إذا كان في مكان قريب من المدينة يدعى القرقرة، أقبل رجلان من بني عامر ونزلا معه في ظل هو فيه، وكان مع العامريين عقد مع رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم بهما عمرو الضمري.

وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثأره من بني عامر، فلما قدم عمرو الضمري على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، قال الرسول ﷺ : لقد قتلت قتيلين لا دينهما.

خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو الضمري، فقال اليهود: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض ورأوا أن يقتلوا الرسول ﷺ ، بأن يلقوا عليه صخرة، وكان مع رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ وعليّ ابن أبي طالب ﷺ فأتى الرسول الخبر من السماء بما أراد بنو النضير، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، وأمر المسلمين بالتهيؤ والمسير وكان ذلك في ربيع الأول، فحاصرهم ست ليالٍ.

وقذف الله تعالى الرعب في قلوب اليهود، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ففعل ﷺ وخرج بنو النضير إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام.

وهذا أول ما كان بين المسلمين وبين اليهود وبسبب مباشر من فعل عمرو الضمري، حيث كتب الله عليهم الذلة إلى يوم الدين.

فتح خيبر :

حضر بنو كنانة فتح خيبر، فقد قال ابن القيم العبسي يمدح فعلهم في ذلك اليوم:

رُميت نطاة من الرسول بفيلق　　شهباء ذات مناكب وفقر

واستيقنت بالذل لما شُيِّعت ورجالُ أسلم وسطها وغفار[١]

ونطاة أحد حصون خيبر، والتي استيقنت بالذل هي خيبر: لما حضر بنو غفار لغوها بقيادة رسول الله ﷺ.

وفي خيبر استشهد رجلان من بني كنانة الأول من بني سعد بن ليث وهو ابن الأهيب بن سحيم، وكان حليفاً لبني الأسد القرشيين وابن أختهم، والثاني من بني غفار، وهو عمارة بن عقبة رمي بسهم[٢].

ومما يؤيد دور بني غفار الكنانيين الكبير في غزوة خيبر هو أن رسول الله ﷺ جعل لهم سهماً من ثمانية عشر سهماً من خيبر[٣].

كما أن رجالاً من بني ليث حضروها منهم نميلة وأعطاه الرسول ﷺ خمسين وسقاً من تمرها[٤].

السرايا والبعوث التي قادها بنو كنانة :

سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني سُليم: في السنة الثانية للهجرة أو في السنة الثالثة منها، وبعد عودة رسول الله ﷺ من الكُدْر – ماء لبني سُليم – أرسل ﷺ غالب بن عبدالله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان، فقتلوا منهم وغنموا النعم[٥].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٠.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٢.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٦.
(٤) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٢٨.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٣٩.

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان[1]: في السنة الرابعة للهجرة، أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى مكة لقتل أبي سفيان، وتفصيل الخبر في الصفحة (٢٥٢).

سرية علقمة بن مجزر المدلجي إلى غطفان[2]: أغار عيينة بن حصن الفزاري في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الغفاري واحتملوا امرأته في اللقاح.

فتسارع المسلمون في طلب عيينة وكان أول من انتهى إلى الرسول ﷺ المقداد بن الأسود ورجال من الصحابة، وكان معهم وقاص بن مجزز المدلجي على فرس يقال له الجناح، فقتل ابن مجزز واستلبت فرسه الجناح.

ولما قتل وقاص المدلجي جاء أخوه علقمة إلى الرسول ﷺ وسأله أن يبعثه في آثار القوم ليدرك ثأره فيهم، فأذن له الرسول ﷺ وأرسله على رأس سرية كان فيها أبو سعيد الخدري وعبدالله بن جذامة السهمي، ورجع علقمة بن مجزز المدلجي ولم يلقَ كيداً، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة.

قيس بن المسحر اليعمري يقتل أم قرفة[3]: في شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة، سار زيد بن حارثة إلى أم قرفة لقتلها وكان في سريته قيس اليعمري، فمكن الله تعالى قيساً من قتل أم قرفة، كانت أم قرفة منيعة في

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٠٦. وابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٦٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٧١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٧٧-١٧٨.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٥٦٤. والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٣٦.

أولادها، وقتلها قيس بأن ربط بين رجليها حبلاً ثم ربطها إلى بعيرين، كما وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة وعبدالله بن مسعدة، وأم قرفة امرأة من فزارة.

بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي: بعث رسول الله ﷺ فيما بين الحديبية ووفاته رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم، دعاة إلى الله عز وجل، فبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وكتب معه كتاباً هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرّهم ودع التجري وإني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى»[(١)].

وكان عمرو بن أمية الضمري سفيراً لرسول الله ﷺ إلى النجاشي، أرسله الرسول ﷺ أكثر من مرة إلى النجاشي وقيل أن سفاراته بلغت الثلاث[(٢)].

سرية غاب بن عبدالله الليثي إلى الميفعة[(٣)]: في رمضان من السنة السابعة للهجرة بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الليثي على رأس سرية مؤلفة من

---

(١) ابن خلدون، التاريخ، ج٢، ص٧٨٩ وما بعدها.

(٢) ابن خلدون، التاريخ، ص٧٩٠.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٢٦-٧٢٧.

مائة وثلاثين رجلاً، إلى بني عوال وبني عبد بالميفعة، وكان دليل السرية يسار مولى رسول الله ﷺ ، فلما دنوا من القوم، ذهب غالب ويسار للاستطلاع، ثم عادا ووعظ غالب جنده ورغبهم بالجهاد وألّف بينهم وقال: إذا كبرتُ فكبروا، فكبر وكبروا جميعاً معه وهجموا على عدوهم فقتلوا من قاتلهم، واستاقوا النعم وعادوا إلى المدينة.

غزوة غالب بن عبدالله الليثي لبني الملوّح[1]: بعث رسول الله ﷺ في صفر من السنة الثامنة للهجرة غالب الليثي في سرية وأمره أن يشن غارة على بني الملوّح وهم بالكديد، فلما خرج غالب ووصل القديد لقى الحارث بن مالك الليثي والمكنى بابن البرصاء فأخذه أسيراً، ثم سار بالسرية حتى أتى الكديد عند غروب الشمس، وأمهل بني الملوّح حتى إذا اطمأنوا وناموا شنّ عليهم الغارة في وجه السحر فقتل من قتل نهم واستاق النَّعم، وخرج صريخ القوم فجاء منهم جمع كبير، وكان بينهم وبين المسلمين وادي قديد، فأرسل الله الوادي بالسيل من غير سحابة ولا مطر فلم يستطيع بنو الملوح أن يجتازوه ولم يقدروا على طلب المسلمين.

وكان شعار المسلمين تلك الليلة: أمت أمت، وكان غالب الليثي يرتجز وهو يحدو الغنائم:

أبـى أبـو القاسـم أن تعـزّ بـي
في خـضل نباتـه مغلـو لـب
صـفرٌ أعاليـه كلـون الـذهب

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٩٠-١٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٩. الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٥٠.

سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى فدك[1]: كان رسول الله ﷺ قد عقد للزبير بن العوام رضي الله عنه على سرية مؤلفة من مائتي رجل ولكن لما عاد غالب الليثي من غزوة الكديد أسند له الرسول ﷺ قيادة السرية هذه، بدلاً عن الزبير رضي الله عنه فلما دنا غالب من بني مرة أرسل قوة للاستطلاع مؤلفة من عشرة رجال وبعد عودة القوة سار غالب ليلاً حتى وصل منازل بني مرة، فقام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أوصيكم بتقوى الله، وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا أمراً، ثم إن غالباً ألّف بين رجال سريته وأوصاهم بأن يلزم كل رجل صاحبه، ثم كبّر وكبّروا ودارت بينهم معركة لمدة ساعة فهزم بنو مرة، ووزع غالب الليثي الغنائم على جنده وكانت حصة الرجل منهم عشرة أباعر أو ما يعادلها من الغنم.

سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات اطلاح[2]: في ربيع الأول من سنة ثمان للهجرة، أرسل رسول الله ﷺ سرية من خمسة عشرة رجلاً بقيادة كعب بن عمير الغفاري إلى ذات اطلاح من أرض الشام وكان كعب الغفاري يكمن في النهار ويسير في الليل، وحين وصلت السرية إلى ذات اطلاح وجدوا جمعاً كبيراً، فدعوهم للإسلام ولكن لم يستجيبوا ورشقوا المسلمين بالنبل، فقاتلهم المسلمون حتى قتلوا، وتحامل كعب الغفاري حتى أتى المدينة.

سرية علقمة بن مجزر المدلجي إلى ساحل الحجاز[3]: في ربيع الآخر من السنة التاسعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ ثلثمائة رجل بقيادة علقمة بن مجزر

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٢٣.

(٢) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٥٢-٧٥٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٢٤١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٣، ص٩٨٣.

المدلجي، إذ وردت أخبار لرسول الله ﷺ مفادها أن ناساً من الحبشة قد ظهروا في مراكب لهم على ساحل بناحية مكة، فسار علقمة المدلجي حتى انتهى إلى جزيرة في البحر وخاض البحر للقاء العدو ولكن العدو هرب فرجع علقمة إلى المدينة ولم يلقَ كيداً.

فتح مكة

مكة ليست حاضرة الحجاز فحسب، إنها تعني لقريش أكثر من ذلك فهي لهم تاريخ ووجود ودين، قاتلوا دونها ومنعوها، ردوا حميراً أيام فهر وهزموها، فهابتهم العرب، وأيام قصي صارت مكة عاصمة لقريش وفي مكة بيت الله العتيق الذي بناه إبراهيم جد قريش، محج العرب وتعظمه قريش أشد تعظيم، وعظّمه العرب جميعاً بعدما حلّ بأصحاب الفيل ما حل.

ومكة بالنسبة للإسلام مقدسة كون الكعبة فيها، محج المسلمين وقبلتهم، إذ في السنة الثانية للهجرة صارت الكعبة قبلة للمسلمين في صلواتهم الخمس، إليها يتوجهون إذا أقاموا للصلاة[1].

وكان رسول الله ﷺ يحن إلى مكة فهي موطنه وكذلك كان صحبه المهاجرون رضي الله عنهم الذي اضطروا للهجرة منها إلى يثرب، ورسول الله ﷺ يقول إنها أحب أرض الله إليه، ففي رواية، أن أصيل الغفاري دخل على بيت رسول الله ﷺ فوجد أمنا عائشة رضي الله عنها قبل أن يضرب الحجاب على النساء، فسألته عن مكة وأخبارها، فقال: عهدتها وقد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها، فقالت: أقم حتى يأتيك النبي ﷺ فلم يلبث أن دخل النبي ﷺ ، فقال:

---

(١) ابن القيم، زاد الميعاد، ج٤، ص٥٧.

يا أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: والله عهدتها وقد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها وأغدق أذخرها وأسلم ثمامها وأحشى سُلمُها، فقال النبي ﷺ حسبك يا أصيل لا تحزنا[1].

ومكة موطن قريش إذا فتحت دخل العرب جميعاً دين الله، لكل هذا كان رسول الله ﷺ ينتظر الإذن من الله سبحانه ليدخلها.

وكان بنو كنانة قد دافعوا عن مكة بوجه زحف الإسلام مع إخوانهم القرشيين، وكان لهم حضور كبير مع جند الله الفاتحين وسأبين كل هذا إن شاء الله.

البداية:

في أواخر السنة السادسة للهجرة المباركة، خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين من المدينة، يريد العمرة، وساق الهدي معه، ولكن قريشاً وحلفائها منعوا المسلمين من العمرة، وبعد سفارات ووساطات تراضى الطرفان على صلح عُرف بصلح الحديبية، ونتيجة لهذا الصلح دخلت خزاعة بعقد مع رسول الله ﷺ وعهده، ودخلت بكر بن عبد مناة بن كنانة بعقد قريش وعهدها.

وكان بنو بكر يتحينون الفرص للإيقاع بخزاعة لما كان من قتل خزاعة لبني الأسود بن رزن النفاثيين وهم من سادات بكر، وفي السنة الثامنة للهجرة اغتنمت بكر الهدنة إلى رتبها صلح الحديبية، وبيتوا خزاعة وقتلوا منهم نفراً وكانت قريش قد أعانتهم في قتالهم هذا ضد خزاعة، فاستصرخت خزاعة رسول الله ﷺ إذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ في المدينة، وقال:

---

(١) الأزرقي، اخبار مكة، ج١، ص٣٨٤.

يـا رب إنـي ناشـد محمـداً   حَلـف أبينـا وأبيـه الا تلـدا
قـد كنـتم ولـداً وكنـا والـداً   ثـم أسـلمنا فلـم ننـزع يـدا
فانـصر هـداك الله نـصراً اعتـدا   وادع عبـاد الله يـأتوا مـددا
فـيهم رسـول الله قـد تجـردا   إن سُـيم خـسفاً وجهـه تربـدا
في فيلـق كـالبحر يجـري مزبـدا   إن قريـشاً أخلفـوك الموعـدا
ونقـضوا ميثاقـك المؤكـدا   وجعلـوا لـي في كـداء رصـدا
وزعمـوا أ، لـست أدعـو أحـداً   وهـم أذل وأقـل عـدداً
هـم بيوتنـا بـالوتير هجـدا   وقتلونـا ركعـاً وسـجدا

فقال رسول الله ﷺ : نصرت يا عمرو بن سالم.

وأوفدت خزاعة بديل بن روقاء الخزاعي في نفر من خزاعة فقدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بمظاهرة قريش لبني بكر[1] وسألهم الرسول ﷺ قائلاً: بمن تهمتكم وطلبكم؟ قالوا: بنو بكر بن عبد مناة، قال ﷺ : كلها؟ قالوا: لا ولكن تهمتنا بنو نفاثة قصده ورأسهم نوفل بن معاوية النفاثي، فقال ﷺ : هذا بطن من بكر.

وبعث رسول الله ﷺ ضمرة يُخير قريشاً واحدة من ثلاث[2] بين أن يدوا خزاعة أو يبرئوا من حلف نفاثة أو ينبذ إليهم على سواء، فأتاهم ضمرة فخيّرهم بين الخلال الثلاث.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٦-٢٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٦٠.

وخبر آخر يفيد أن قريشاً ندمت على ما كان منها من نجدة لبكر، فاجتمع زعمائها وتداولوا أمرهم، فقال قائل منهم: محمد غازينا، فقال لهم: عبدالله بن سعد بن أبي سرح وهو يومئذ كافر مرتد عندهم: إن عندي رأياً، إن محمداً ليس يغزوكم حتى يعذر إليكم ويخيركم في خصال كلها أهون عليكم من غزوه، فقالوا: وما هي؟ قال: يرسل إليكم أن تدوا خزاعة أو تبرئوا من حلف من نقض العهد وهم بنو نفاثة، أو ينبذ إليكم العهد، فقال سهيل بن عمرو: ما خصلة أيسر علينا من أن نبرأ من حلف نفاثة، فقال شيبة بن عثمان العبدري: حطت أخوالك خزاعة وغضبت لهم، فقال سهيل: وأي قريش لم تلد خزاعة، قال شيبة: لا، ولكن ندي قتلى خزاعة فهو أهون علينا، فقال قريظة بن عبد بن عمرو: لا والله لا نديهم ولا نبرأ من حلف نفاثة أبر العرب بنا، وأعمرهم لبيت ربنا[١].

وخرج أبو سفيان بن حرب إلى المدينة طمعاً في توثيق العهد الذي كان في صلح الحديبية مع المسلمين وأملاً في مد مدته، فلما وصلها قابل رسول الله ﷺ وكلمه، فسكت النبي ﷺ ولم يرد على أبي سفيان شيئاً.

فحاول أبو سفيان أن يستشفع لدى النبي ﷺ بأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلم يشفعوا له، وكذلك فعل مع علي وفاطمة رضي الله عنهما فلم يفلح، فضاقت به الأرض بما رحبت فطلب من علي رضي الله عنه النصيحة، فقال له عليّ رضي الله عنه: والله ما أعلم لك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر نفسك بين الناس، ثم الحق بأرضك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وعاد إلى مكة[٢].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٦١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٧-٢٨.

من هذا يظهر أن بني بكر وعلى رأسهم نوفل بن معاوية الديلي، ودونما قصد منهم، قد هيأوا للمسلمين الفرصة التي كانوا ينتظرونها لفتح مكة، إذ لم يكن الرسول ﷺ قادراً على التحلل من التزامه بالمدة التي بينه وبين قريش إلا بسبب صحيح، لقد كان بنو بكر السبب المباشر في فتح مكة وقد صرّح بهذا أبو سفيان بن حرب، فلما حبسه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بأمر الرسول ﷺ في مضيق الوادي عند خطم الجبل ليريه كثرة المسلمين ومنعتهم، وكانت الكتائب تمر أمامه الواحدة تلو الأخرى، قال لما رأى لواء بني كنانة يحمله أبو واقد الليثي: من هؤلاء؟ قال العباس رضي الله عنه : بنو بكر، قال أبو سفيان: نعم أهل شؤم، هؤلاء الذين غزانا محمداً لأجلهم[1].

الفتح :

تهيأت الأسباب للمسير إلى مكة وفتحها، فأرسل رسول الله ﷺ يستنفر القبائل، فاستنفر بني ضمرة وبني ليث وبني سعد بن ليث بأن أرسل لهما رجلين من كنانة وهما الحصين كلثوم بن الحصين وإيماء بن رحضة، وكلاهما من بني بكر بن عبد مناة[2].

واجتمعت لرسول الله ﷺ القبائل فكان معه ﷺ عشرة آلاف من المسلمين لما خرج لفتح مكة، وتحرك جيش الإسلام، فأرسل النبي ﷺ غالب بن عبدالله الليثي ليسهل له الطريق وليكون له عيناً[3].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٧١.

(٢) باشحبل، فتح مكة، ص١٥١.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٩٧.

وكان لبني كنانة في جيش الفتح ثلاثة ألوية، الأول لبني غفار، يحمله أبو ذر الغفاري وقيل إيماء بن رحضة[1] أما عدد رجال بني غفار فقيل أنهم كانوا ثلثمائة رجل وقيل أربعمائة رجل[2]، أما اللواء الثاني فكان يحمله أبو الواقد الليثي وكان تحته مائتا رجل، واللواء الثالث كان يحمله الصعب بن جثامة الليثي وتحته مائتان وخمسون رجلاً وهم من بني ليث خاصة[3].

فيكون مجموع بني كنانة في جيش الفتح من غير قريش ثمانمائة وخمسون رجلاً.

وفي شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة المباركة، دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً، فهب صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، واجتمع إليهم ناس من أهل مكة ومن بني بكر والأحابيش وبني الحارث[4] لمقاتلة المسلمين وردّهم.

وممن حضر من بني بكر لقتال المسلمين حمّاس بن قيس الديلي، وكان قد تهيأ للحرب، فلما رأته امرأته كذلك سألته عن أمره، فقال: إنه مقاتل المسلمين وإنه سيخدمها أحدهم، وقال:

إن يقبلوا اليوم فما لي عله — هذا سلاح كامل وأله

وذو غرارين سريع السله

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٧٠. وباشحيل، فتح مكة، ص١٧٠.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٧٠. وابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤٤. وابن خلدون، م٢، ص٨٠٤.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٨٢٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٤٧. وابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٧٣.

وانضم حمّاس الديلي للمدافعين عن مكة بوجه الجيش الإسلامي، فانبرى لهم خالد بن الوليد وهزمهم، ودخل حمّاس بيته وقال لامرأته: اغلقي عليّ الباب، فقالت: أين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة   إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة

وأبو يزيد كالعجوز المؤتمه   واستقبلونا بالسيوف المسلمة

يقطعن كل ساعد وجمجمة   ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة

لهم نهيت خلفنا وهمهمه   لم تنطق باللوم أدنى كلمة[(١)]

وأمر رسول الله ﷺ برفع السلاح عن المشركين، إلا خزاعة عن بني بكر فقد أمهلهم ساعة فحبطت خزاعة بني بكر حتى صلاة العصر[(٢)].

وأمر الرسول ﷺ بقتل جماعة من المشركين ومن هؤلاء، مقيس ابن صبابة الليثي، وكان لمقيس الليثي أخ مسلم مهاجر إلى المدينة يدعى هشام قتل في غزوة بني المصطلق خطأ أصابه رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو، فقدم مقيس من مكة مسلماً، فيما يظهر، وقال: يا رسول الله، جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دية أخي هشام، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه، فأقام في المدينة ثم عدا على قاتل أخيه، وخرج إلى مكة مرتداً وقال[(٣)]:

شفى النفس إن مات بالقاع مسند   يضرج ثوبيه دماء الأخادع

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٣٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٧، ص٢٨٢.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١٨٥.

وكانت هموم النفس من قبل موته تحم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به وتري وأدركت ثؤرتي وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثأرت به فهراً وحملت عقله سراة بين النجار أرباب فارع

وقال مقيس أيضاً:

جللته ضربة بان لها وشل من نافع الجوف يعلوه وينصرمُ
فقلت والموت تغشاه أسرته لا تأمنن بني بكر إذا ظلموا

ولما أمر رسول الله ﷺ بقتل مقيس، تولاه نميلة بن عبدالله الليثي، فقتله وهو ابن عم له من عشيرته، فقالت أخت مقيس:

لعمري لقد أخزى نميلة قومه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عَيْنا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرس[1]

ولم يقتصر دور بني بكر على القتال مع قريش ضد الجيش الإسلامي الفاتح بل إن رجلاً منهم يدعى فضالة بن عمير الليثي حاول أن يقتل الرسول ﷺ أثاء طوافه بالبيت، فلما دنا فضالة من النبي ﷺ لينفذ ما أراد قال له النبي ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم، يا رسول الله، قال ﷺ: ماذا كنت تحدثك نفسك؟ قال: كنت أذكر الله، فضحك رسول الله ﷺ ووضع يده الكريمة على صدر فضالة، وقال: استغفر الله، فاطمأن فؤاد فضالة وعاد إلى أهله، واستوقفته في الطريق امرأة وكان يحدثها سابقاً، فأبى أن يقف لها، وقال:

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١٤، ص٣٩-٤٠.

قالت هلم إلى الحديث فقلت لها ... يأبى عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيناً ... والشرك يغشى وجهه الإظلام[1]

سرايا النبي ﷺ إلى قبائل كنانة[2]:

بعد فتح مكة بعث النبي ﷺ سرايا إلى قبائل كنانة المحيطة بمكة، وكان الغرض من إرسال السرايا هذه الدعوة إلى الإسلام، والسرايا هي:

١- سرية إلى بني ضمرة، ويرأسها نميلة بن عبدالله الليثي.
٢- سرية إلى بني الدؤل، ويرأسها عمرو بن أمية الضمري.
٣- سرية إلى بني مدلج، ويرأسها عباس بن ربيعة المخزومي.
٤- سرية إلى بني جذيمة، أهل الغميصاء، يرأسها خالد بن الوليد.

والملاحظ أن قادة هذه السرايا جميعهم من بني كنانة وان رأس السرية الثالثة ورأس الرابعة هما من قريش – ولم يكن بين هذه السرايا والقبائل التي قصدتها قتال، إلا ما كان من أمر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة.

عُمّال رسول الله ﷺ من الكنانيين :

كثيراً ما استخلف رسول الله ﷺ أحد رجال كنانة على المدينة المنورة حينما كان يخرج في غزواته ﷺ ، واستعملهم على الصدقات والغنائم، وكان ﷺ يبعثهم عُمّالاً على القبائل، وبعثهم سفراء له ﷺ إلى ملوك العرب والحبشة، ومن هؤلاء:

(١) ابن هشام، السيرة، ج١٤، ص٥٠.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٣٠٦.

١- سباع بن عرقطة الغفاري: استعمله النبي ﷺ على المدينة حين غزا ﷺ بني سليم بالكدر[١] وحين خرج ﷺ في ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة[٢] كما واستخلفه ﷺ حين خرج لغزوة تبوك في رجب سنة تسع للهجرة[٣]، وقيل أن النبي ﷺ استعمله على المدينة في حجة الوداع[٤].

٢- أبو ذر الغفاري: استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في السنة الرابعة للهجرة في غزوة ذات الرقاع[٥] كذلك في سنة ست للهجرة في غزوة بني المصطلق[٦].

٣- نميلة بن عبدالله الغفاري: كان النبي ﷺ استعمله على المدينة حين خروجه في ذي القعدة من سنة ست للهجرة[٧] وكذلك حين خرج ﷺ لغزو خيبر[٨].

٤- عويف بن الأضبط الديلي: كان عاملاً لرسول الله ﷺ على المدينة لما خرج ﷺ إلى عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع للهجرة[٩].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢.
(٢) ابن هشام، السيرة، ص١٢٦.
(٣) ابن هشام، السيرة، ج١٤، ص١٢٠.
(٤) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص١٥٨.
(٥) ابن هشام، السيرة، ج٣، ص١١٩.
(٦) ابن هشام، السيرة، ص١٨٢.
(٧) ابن هشام، السيرة، ص١٩٦.
(٨) ابن هشام، السيرة، ص٢٦١.
(٩) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٣. وابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص١٣٥.

٥- أبو رهم الغفاري: كان النبي ﷺ قد استعمله على المدينة لما خرج إلى غزوة حنين[١] وقبلها حين خرج لفتح مكة[٢] واستعمله الرسول ﷺ على المدينة لما غزا بني قريظة[٣].

٦- مسعود بن عمرو الغفاري: استعمله الرسول ﷺ على غنائم حنين[٤].

٧- قضاعي بن عمرو الليثي: كان عاملاً للنبي ﷺ على بني أسد[٥].

٨- عمرو بن أمية الضمري: أرسله الرسول ﷺ إلى النجاشي عدة مرات[٦] وبعثه إلى مسيلمة الكذاب[٧].

٩- عبدالله بن زيد الضمري: وكان أحد رسل انبي ﷺ إلى الحرث بن عبد كلال[٨].

١٠- خالد بن عوف بن سيار: وكان سائق بُدن رسول الله ﷺ[٩].

١١- رجل من بني ليث أرسله النبي ﷺ إلى بني تميم.

---

(١) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٥٨.
(٢) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ج٧، ص١٢٠.
(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٣٣.
(٤) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٧٦.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ص٢٣٦.
(٦) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٥٤.
(٧) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج١، ص٣١.
(٨) ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٣١٣.
(٩) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٥٨.

صحابة رسول الله ﷺ من بني كنانة :

رأينا كيف دخل بنو كنانة الإسلام وأنهم شهدوا مشاهد رسول الله ﷺ كلها ابتداءً من معركة بدر، وأن صحبتهم لرسول الله ﷺ منحت بعضاً منهم فهماً وإدراكاً للدين فكان بعضهم مفتين، ويعد الصحابي أبو ذر الغفاري والصحابي الحكم بن عمرو الضمري من الصحابة المقلين في الفتيا(١) ونتج عن هذه الصحبة تابعون عدوا في الفقهاء والمفتين منهم عبيد بن عمير الليثي وعبدالله بن عبيد ويقال لهما فقهاء مكة(٢) وتابعون غيرهم في بقية الأمصار منهم يحيى بن يعمر الليثي وعبدالملك بن يعلي الليثي(٣).

وقد أورد ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة أسماء صحابة رسول الله ﷺ وقد أفردت من كان منهم من بني كنانة في قائمة مستقلة، وهؤلاء الرجال هم:

١- أبو ذر الغفاري.
٢- أبي اللحم الغفاري، وهو عبدالله بن عبدالملك بن عبدالله بن غفار.
٣- أبيّ بن أمية بن حرثان بن الأسكر الكناني.
٤- الأدرع أبو جعفر الضمري.
٥- أبو رهم الغفاري.
٦- أسامة بن عمرو الليثي، قيل أنه هو شداد بن الهاد.
٧- أسد بن أسيد بن إياس بن زنيم الكناني.

---

(١) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، م٢، ج٥، ص٩٣-٩٤.
(٢) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، م٢، ج٥، ص٩٥.
(٣) ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام، م٢، ج٥، ص٩٥.

٨- الأسقع الليثي، والد واثلة.

٩- أسيد بن أبي إياس بن زنيم الكناني.

١٠-أصيل بن سفيان الغفاري.

١١-الأغر الغفاري، له رواية عن الرسول ﷺ .

١٢-الأقرع الغفاري، له رواية عن الرسول ﷺ .

١٣-أنيس بن جنادة الغفاري.

١٤-أكيمة الليثي بن عبادة.

١٥-أمية بن خويلد الضمري والد عمرو.

١٦-أهبان بن صيفي الغفاري.

١٧-أمية بن عوف الكناني، أبو ثمامة.

١٨-أنس بن زنيم الكناني، أخو سارية.

١٩-إياس بن بكير أو ابن أبي البكير السعدي الليثي.

٢٠-إيماء بن رحضة الغفاري.

٢١-أمية بن خويلد الضمري.

٢٢-بشر بن سحيم الغفاري، روى عن الرسول ﷺ .

٢٣-بشير الغفاري، قيل أنه كان له مقعد من الرسول ﷺ لا يكاد يخطئه.

٢٤-بكر بن أمية الضمري، أخو عمرو.

٢٥-بكر بن شداخ اليثي.

٢٦-تميم بن إياس بن البكير الليثي، شهد فتح مصر وقتل فيها.

٢٧-ثعلبة بن الحكم بن عرفطة الليثي، روى عن الرسول ﷺ نزل البصرة وتحول إلى الكوفة.

٢٨- جثامة بن مساحق بن ربيع الكناني.

٢٩- جعيل بن سراقة، قيل أنه من بني ضمرة، قال رسول الله ﷺ : أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاح الأرض كلهم مثل عينيه والأقرع ولكني تألفتهما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إيمانه.

٣٠- الجموح بن عثمان بن ثابت الغفاري.

٣١- جناب الكناني والد حائط.

٣٢- جنادة بن تميم بن مالك الكناني.

٣٣- جليحة بن عبدالله بن سعد الليثي، استشهد يوم الطائف، وله حديث عن رسول الله ﷺ .

٣٤- جنيدرة بن خيشنة، أبو قرصانة الكناني وقيل أن اسمه جندرة.

٣٥- جندع بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري، مات في طريق الهجرة من مكة إلى المدينة، فنزل به قرآن (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ﴾).

٣٦- جهجاه بن سعيد، وقيل ابن قيس الغفاري، أخرج له الطبراني وابن قيم.

٣٧- جعونة بن شعيب الليثي.

٣٨- الحارث بن مالك الليثي، أبو واقد.

٣٩- الحرث بن مالك، أبو البرصاء الليثي.

٤٠- حازم بن حرملة بن مسعود الغفاري.

٤١- حبيب بن ملة الكناني.

٤٢- الحكم بن عمرو الغفاري.

٤٣- حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأعور الغفاري، روى أحاديثاً عن النبي ﷺ ، وأخرج له مسلم وأصحاب السنن وروى عن أبي بكر وأبي ذر وعلي وروى عنه أبو الطفيل عامر بن واثلة.

٤٤- حرملة المدلجي، أبو عبدالله كان ينزل ينبع، روى عن رسول الله ﷺ وابنه عبدالله وحفيده خالد بن عبدالله.

٤٥- حيان بن أبجر الكناني، روى عبدالله بن جبلة بن حيان بن أبجر عن أبيه عن جده حيان.

٤٦- حي الليثي.

٤٧- حماس بن عمرو والد أبي عمرو بن حماس الليثي.

٤٨- حذيم بن الحارث بن الأرقم، من بني عامر بن عبد مناة.

٤٩- حملة بن أبي معاوية الكاني.

٥٠- حنظلة بن جويه الكناني.

٥١- خالد بن إياس.

٥٢- خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري، شهد الحديبية.

٥٣- خالد بن سيار بن عوف الكلبي الليثي.

٥٤- رداد الليثي، أخرج له داود.

٥٥- زياد بن سبرة اليعمري.

٥٦- زياد الغفاري، روى عن رسول الله ﷺ : من تقرب لي شبراً تقربت إليه ذراعاً.

٥٧- سارية بن زنيم الدؤلي، قال المرزباني: أصدق بيت قالته العرب بيت سارية:

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد

٥٨- السائب الغفاري.

٥٩- سباع بن عرفطة الغفاري.

٦٠- سراقة بن مالك المدلجي، يكنى بأبي سفيان.

٦١- السُّكيْن الضمري، روى عن النبي ﷺ .

٦٢- سلمة بن الخطل الكناني العرجي.

٦٣- سلمى بن نوفل بن معاوية الدؤلي.

٦٤- السميدع الكناني من بني أقرم (بني مدلج العامريين).

٦٥- سنان الضمري.

٦٦- سعر بن شعبة بن كنانة الدؤلي، روى عنه ابنه جابر.

٦٧- شبث بن حرام بن مهان بن وهب الليثي، شهد الحديبية.

٦٨- شداد بن شعوب - قال المرزباني: شعوب أمه واسم أبيه عبد شمس بن مالك الليثي.

٦٩- الصعب بن جثامة الليثي.

٧٠- صلة بن الحارث الغفاري.

٧١- صخر بن عبدالله بن حرملة المدلجي.

٧٢- ضميرة بن أبي ضميرة الليثي.

٧٣- طارق بن المرقع الكناني، روى عنه ابنه عبدالله.

٧٤- طارق بن المريفع الكناني.

٧٥- طحيلة الدؤلي.

٧٦- طلحة بن عبدالله ا لليثي.

٧٧- ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي.

٧٨- عابس بن عابس الغفاري.

٧٩- عاصم بن عمرو بن خالد الليثي.

٨٠- عاصم بن فضالة الليثي.

٨١- عاقل بن البكير الليثي، استشهد ببدر.

٨٢- عامر بن البكير الليثي.

٨٣- عامر بن ليلى بن ضمرة الغفاري.

٨٤- عامر بن واثلة الكناني الليثي.

٨٥- عباد بن خالد الغفاري، كان من أهل الصفة.

٨٦- عباد بن عمر الليثي، وقيل بل دؤلي.

٨٧- عبادة بن قرط وقيل بل قرص بن عروة الليثي.

٨٨- عبدالله بن أريقط الليثي.

٨٩- عبدالله بن الأسقع الليثي، أخو واثلة.

٩٠- عبدالله بن حرملة المدلجي.

٩١- عبدالله بن زيد الضمري.

٩٢- عبدالله بن عمرو الكناني، جد أبي الطفيل عامر.

٩٣- عبدالرحمن بن شداد وله رواية.

٩٤- عبدالله بن غالب الكلبي الليثي.

٩٥- عبدالله بن كرز الليثي.

٩٦- عبدالله بن مسعود الغفاري.

٩٧- عبدالله بن فضلة الكناني، وله رواية.

٩٨- عبدالله بن نهشل الليثي، والد المتوكل الشاعر.

٩٩- عبدالرحمن بن يعمر الدؤلي، يروي عن رسول الله ﷺ : (الحج عرفة).

١٠٠- عقبة بن مالك الليثي، له رواية.

١٠١- عبيد بن عمرو الليثي.

١٠٢- عطية بن عمرو الغفاري، أخو الحكم الغفاري.

١٠٣- علقمة بن وقاص الليثي.

١٠٤- علقمة بن الحويرث الغفاري، روى الحديث: (زنا العين النظر).

١٠٥- علقمة بن حوشب الغفاري.

١٠٦- علقمة بن فضلة الكناني.

١٠٧- علقمة بن مجزر المدلجي.

١٠٨- عبيد بن أم كلاب الليثي، له رواية عن عمر بن الخطاب ﷺ.

١٠٩- عمر بن عمر الليثي.

١١٠- عمرو بن أمية الضمري.

١١١- عمرو بن سلمى الضمري.

١١٢- عمارة بن عقبة الغفاري.

١١٣- عمرو بن كعب بن عمرو الغفاري.

١١٤- عمرو بن يثربي الضمري.

١١٥- عمرو الليثي.

١١٦- عمير بن سلمى الضمري.

١١٧- عمير بن حجر الليثي.

١١٨- عمير بن مرة الليثي.

١١٩- عمير بن قتادة الجندعي الكناني.

١٢٠- عوف بن سراقة الضمري، له حديث.

١٢١- عياض بن عبدالله الضمري، له حديث.

١٢٢- علقمة بن حكيم الفراسي.

١٢٣- عويف بن الأضبط الدؤلي.

١٢٤- معتمر الكناني، له حديث.

١٢٥- مكرم الغفاري.

١٢٦- مكيتل الليثي.

١٢٧- مهند الغفاري، له حديث في مسند بن مخلد.

١٢٨- معاوية الليثي، وله حديث.

١٢٩- معاوية الدؤلي، والد نوفل وله حديث.

١٣٠- مسافع الدؤلي، له حديث.

١٣١- مدرك الغفاري، له حديث.

١٣٢- محلم بن جثامة الليثي.

١٣٣- ليث بن جثامة، أخو الصعب شهد خيبر.

١٣٤- كلاب بن أمية.

١٣٥- كعب بن عمير الغفاري.

١٣٦- مالك بن ضمرة الضمري، كان أوصى بسلاحه للمجاهدين من بني ضمرة على أن لا يقاتل به أهل نبوة، فلما كان أمر الحسين بن علي ﵄ جاء رجل من البعث الذي سيّره عبيد الله بن زياد إلى موسى بن مالك الضمري، فقال: أعرني رمح أبيك، فناوله الرمح، فقالت امرأة من أهل موسى: أما تذكر وصية أبيك؟

١٣٧- محمد بن البراء العتواري الليثي، وقيل ابن البرر.

١٣٨- محمد بن عبدالرحمن الغفاري.

١٣٩- نافع بن مسعود الغفاري، وله حديث.

١٤٠- فضلة بن عمرو الغفاري، وله حديث.

١٤١- نعيم الغفاري.

١٤٢- نميلة بن عبدالله بن فقيم الكلبي الليثي.

١٤٣- نوفل بن معاوية الدؤلي.

١٤٤- هدار الكناني.

١٤٥- هشام بن صبابة الكلبي الليثي، وقيل أن صبابة أمه واسم أبيه خرت.

١٤٦- هوذة بن خالد الكناني.

١٤٧- واثلة بن الأسقع الكناني، روايته في مسند ابن ماجه.

١٤٨- واقد الليثي ويكنى أبا مرداح.

١٤٩- يعيش بن طخفة الغفاري، وله حديث.

١٥٠- قتادة الليثي.

١٥١- قتادة المدلجي.

١٥٢- قسامة بن أسامة الكناني.

١٥٣- قباث بن أشيم الليثي.

١٥٤- فهيد بن مطرف أو ابن أبي مطرف الكناني، روايته في مسند النسائي ومسند أحمد.

١٥٥- قضاعي بن عامر الدؤلي.

١٥٦- قيس بن المحسر[١].

دور بني كنانة مع الخلفاء الراشدين

تحرير الشام:

سار خالد بن الوليد إلى الشام سالكاً طريقاً ما كان الروم يحسبون أنه سيسلكه، إذ لم يكن يطيقه الراكب لعدم وجود الماء، واستغرق خمسة أيام حتى

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٥٦٤.

وصل مبتغاه، وما أن تكامل جيش خالد باليرموك حتى عبّأه فقسّمه كراديساً، وخرج في ستة وثلاثين إلى أربعين كردوساً وجعل على كل كردوس رجلاً من الشجعان، وأوكل قيادة أحدها إلى قباث بن أشيم الكناني[1].

ورواية أخرى تفيد أن قباث بن الأشيم الكناني كان على طلائع المسلمين[2] وكان إمامهم يطعن في الروم حتى تكسرت ثلاث رماح في يده وهو يقول:

سأحمل في الروم الكلاب النوابح وأضربهم ضرباً بحد الصفائح
وأرضي رسول الله خير مؤمل نبي الهدى للدين أشرف ناصح

ثم يحمل على الروم بالسيف فتتكسر السيوف واحداً تلو الآخر، فيقول: من يعيرني سيفاً أو رمحاً في سبيل الله[3].

وكان خالد بن الوليد قد صحب معه اثنين من بني كنانة من صحابة رسول الله ﷺ وهما واثلة بن الأسقع الليثي، وقد أبلى واثلة بلاءً حسناً فقتل أحد كبار بطارقة الروم[4] والثاني هو أبو واقد الليثي، وكان خالد بن الوليد يرجو نصر الله بصحابة رسول الله ﷺ .

وشهد اليرموك عمارة بن مخشي بن خويلد الضمري وكان من أمراء الجيوش[5] كما شهدها أحد أبطال بني مالك وهو الصحابي حملة بن جويه -

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤١٢.
(٢) ابن جرير، التاريخ، ج٣، ص٣٩٧.
(٣) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٠٨.
(٤) الأزدي، فتوح الشام، ص١٣٣.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٥١٠. وابن حجر، الإصابة، ج٤، ص٢٤٦.

وهو من عقب جذل الطعان الفراس - وكان في الميسرة وأنه قتل نصرانياً من العرب مبارزة[1].

وقعة أجنادين :

وسار عمرو بن العاص وعلى ميمنته ابنه عبدالله وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي الكناني[2] ومعه شرحبيل بن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي.

ولم يكن جنادة بن تميم المالكي وحده من بني مالك بن كنانة أحد قادة أجنادين بل شارك فيها علقمة بن حكم الفراسي، إذ إن عمرو بن العاص بعثه على جيش لقتال أهل إيليا (بيت المقدس) [3] وكان معه مسروق بن بلال العكي، وكان أبو أيوب المالكي يقاتل في الرملة فيشغلون الروم عن عمرو بن العاص ليمضي في أهدافه الرئيسية.

ولما سمى أبو بكر الصديق ﷺ لكل أمير من أمراء الشام كورة كان لعمرو ابن العاص وعلقمة بن مجزز الكناني فلسطين[4] ومنها سار علقمة الكناني إلى مصر.

وفي عام ١٣ هجرية خرج علقمة بن مجزز الكناني إلى إيليا بعد أن كتب له الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بذلك فسار وحاصر القيقار في غزة[5].

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ص١٣٣.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٥٤.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٥٤.
(٤) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٣، ص٣٩٤.
(٥) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٣، ص٤٤١.

وكان جثامة بن مساحق بن ربيع الكناني رسول الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى هرقل ملك الروم[1].

وساهم بنو كنانة في فتح قيسارية مع معاوية بن أبي سفيان ومن هؤلاء علقمة بن حكيم الفرّاسي، وعبدالله بن علقمة الفرّاسي[2].

تحرير العراق:

كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يتابع حركة الجند في الثغور فيعرفها وكأنه يراها رأي العين، فيقدم من يراه أهلاً للقتال، ويمد الجبهة ويرفدها بالعرب المسلمين، فلما قدم بنو كنانة وجيرانهم الأزد يريدون القتال وكانوا سبعمائة رجل، قال ﷺ: أي الوجوه أحب إليكم؟.

قالوا: الشام، الشام أسلافنا.

فقال عمر ﷺ: ذلك كفيتموه، العراق، العراق.

كان العرب من كنانة والأزد قد سمعوا بالغنائم التي اغتنمها المسلمون في اليرموك، وكيف أن الله أذهب هيبة الروم وكسر شوكتهم، فأرادوا الشام، ولكن عمراً ﷺ كان يعرف أنه مقبل على معركة فاصلة مع الفرس، حيث كان المثنى ابن حارثة الشيباني يغير على أعمال الفرس بجرأة العربي الذي ازداد بالإسلام ثباتاً، فيثلم في أطراف إمبراطوريتهم.

كان الصحابي غالب بن عبدالله الليثي قد حضر مع قومه بني كنانة للقاء الفاروق عمر ﷺ فلما سمع مقالة عمر ﷺ، قام في قومه وقال: يا عشيرتاه،

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمّال، ج١٣، ص٣٠٩، الحديث ٣٦٨٨٢.
(٢) الطبري، التاريخ، ج٣، ص٤٤١.

أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد، فأجابوه، وخرج في قومه وخرج معه عرفجة بن هرثمة على الأزد حتى قدموا على المثنى الشيباني[1].

ولما اجتمع المسلمون بالبويب ما يلي الكوفة، طاف المثنى بن حارث الشيباني بالجند وحثهم على الصبر ثم كبّر ثلاثاً وحمل في الرابعة وأوجع قلب المسلمين في قلب الفرس حتى أزالوهم، فوثبت مجنبات المسلمين على مجنبات الفرس وردّوهم على أدبارهم، وسمي ذلك اليوم يوم الأعشار حيث احصي مائة رجل من المسلمين كل منهم قتل عشرة من المشركين، وكان سهم غالب الليثي قتل تسعة من الفرس فكان من أصحاب التسعة[2].

ولما ابتدأ أمر القادسية وصارت قيادة الجيش المسلم لسعد بن أبي وقاص، سار سعد فنزل العذيب، وكان على مقدمة الجيش زهرة بن الجويه فأرسل زهرة سرية في ثلاثين رجلاً معروفين بالنجدة وأمر عيهم بكير الليثي وأمرهم بالغارة على الحيرة مساءً، فلما جاوزوا السيلحين سمعوا جلبة فمكثوا حتى حاذوهم فإذا أخت أزاد مر بن أزاذبة مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب العبيني، وهو من أشراف العجم، فحمل بكير الليثي أمير سرية المسلمين على شيرزاد بن أزاذبة فدقّ صلبه، وطارت الخيل على وجوهها فأخذ المسلمون الأثقال وابنه أزاذبة في ثلاثين امرءاً من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يدري قيمته من المال، فاستاقوا كل ذلك ورجعوا إلى سعد فصبحوه بالعذيب، عذيب الهجانات، فقسم سعد ذلك المال على المسلمين، وترك الحريم بالعذيب ومعها خيل تحوطها وأمر عليهم غالب بن عبدالله الليثي[3].

---

(١) ابن جرير الطبري، التاريخ، ج٣، ص٤٦٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٤٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٥٤.

إن الأعمال التي أداها القادة المنسوبون لبني كنانة امتازت بالجرأة والتحدي، فلما دخل المسلمون العراق انهزم الفرس وعبروا دجلة ورفعوا المعابر وكان النهر يجيش بماء غزير فتهيّب المسلمون العبور، إلا أن بكير الليثي أقحم فرسه أطلال النهر فخاضت الماء وعبرت به فتجرأ الناس على العبور ولحق المسلمون الفرس وأبادوهم[1].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ أمر سعد بن وقاص أن يبعث رجالاً إلى ملك الفرس يعرضون عليه الإسلام ويدلونه إليه، فاختار سعد من جملة الوفد حملة ابن جوية الكناني[2].

ومن الأعمال التي أداها بنو كنانة في القادسية، البريد، فقد كان الرسول بين الجيش المسلم والخليفة عمر ﷺ أنس من الحليس[3].

وقتل غالب بن عبدالله الليثي هرمز ملك الباب في البلاد الأعجمية[4].

وفي عام ١٥ للهجرة حين فرغ سعد بن أبي وقاص من أمر القادسية أقام ببابل، فتقدم بكير الليثي وكثير من شهاب السعدي أمام زهرة بن الجوية حتى عبرا الصراة ولحقا بأخريات العدو الفارسي وكان في الفرس فيومان والفرخان، فقتل بكير الليثي الفرخان وقتل شهاب السعدي فيومان[5].

(١) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص١٦٤.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٥٦.
(٣) ابن جرير، الطبري، ج٣، ص٥٨٤.
(٤) بامطرف، الجامع، ج٣، ص١٦٤.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٠٦.

أما على جبهة البصرة فإن العمليات العسكرية لم تكن كبيرة إذ أن عتبة بن غزوان دخل الإبلة في ثلثمائة رجل لا غير، ويظهر أنه كان مع عتبة رجال من بني كنانة، منهم سارية بن زنيم الكناني، الذي خرج عام ٢٣ هجرية على رأس جيش متوجهاً إلى فساودار بجرج، وساهم بنو كنانة في تمصير البصرة، إذ كان أبو الأسود الدؤلي قد هاجر إليها أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وابتنى له فيها مسجداً وذكر انه كان في البصرة حي لبني الدؤل خاصة، ثم سكن بنو كنانة وبنو تميم وقبائل الحجاز في منطقة يقال لها العالية.

وفي معركة نهاوند، أرسل النعمان بن مقرن المزني لما وصل إلى ماردان كلاً من بكير بن شداخ الليثي وطليحة الأسدي إلى أرض نهاوند وأمرهما أن يجسّا الأخبار عن الفرس فمضيا جميعاً، ورجع بكثير الليثي بخبرهم إلى المسلمين[١].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد اهتم بفتح بقية ممالك الفرس فأعد لذلك العدة وقسّم الجيوش فأمر أبا موسى الأشعري أن يسير من البصرة وبعث الوية مع سهيل بن عدي فقدم بها وكان لواء نهاوند لسارية بن زنيم الكناني.

وفي معركة نهاوند وقعت في أذن سارية الكناني صيحة عمر بن الخطاب ﷺ وهو بالمدينة يصيح يا سارية الجبل الجبل، فحمل سارية ومن معه من المسلمين على قوم من الفرس وراء الجبل، وكانوا قد عزموا أن يخرجوا على المسلمين كميناً فكشفهم سارية عن مواضعهم وحمل المسلمين من القلب والميمنة والميسرة حتى قلعوا الفرس عن أرض نهاوند[٢].

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٤.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٥٨.

وكما قاتل المسلمون الفرس في جنوب العراق ووسطه، فقد قاتلوهم في شماله لإكمال تحريره، وكان على مجنبتي الجيش المسلم الزاحف نحو الموصل قائدان من بني كنانة هما حذيفة بن أسيد الغفاري وبكير بن عبدالله الليثي وتم فتح الموصل عام ١٦ للهجرة[1].

موقف بني كنانة من الخليفة عثمان بن عفان ﷺ

كان عمر بن الخطاب ﷺ عيناً ترى كل ما يدور على أرض الإسلام، وأذناً تسمع كل ما يقال في أبعد الثغور ويداً تصل إلى أبعد مكان في دولة الإسلام، وكان ﷺ يرى الناس بشراً فيهم الخير والشر فكان ينمي الخير ويكبت الشر، فبنى دولة قلّ نظيرها أو عدم، ومضى عمر ﷺ شهيداً سعيداً، عجز من لحق أن يضيف على ما بنى الخليفة عمر ﷺ ، وكأن عمراً ﷺ قد سبق حتى أعيى وأعجز من يليه، فلما وُلي عثمان بن عفان ﷺ الخلافة رأى الناس أنقياءً مثله، ما كان ﷺ يرى فيهم شراً، فاطمأن معتقداً أنهم سيتولون مسؤولية حماية دولة الإسلام وإدامتها بوازع من إسلامهم، فكان عثمان ﷺ التقي النقي الطاهر – لم يكن يرى ثمة حاجة لسلطان خليفة، فكل فرد عرف ما له وما عليه والكل في عيشة راضية، ولكن هيهات هيهات، إنها نفس الإنسان.

اشرأبّ الشر في مدينة رسول الله ﷺ وطمع ضعاف النفوس بالخليفة الخير اللّين عثمان بن عفان ﷺ وتسارعت الأمور وبدأت الفتن.

انشقت جماعة الإسلام وصار المسلمون مللاً ونحلاً، وصار لكل جماعة إمام ورأي تنتصر له، فلحق بني كنانة ما لحق بالمسلمين.

---

(١) ابن خلدون، التاريخ، ق١، م٢، ص٩٦٨.

كان من بني كنانة من هو سامع مطيع لخليفة المسلمين عثمان ﷺ وأغلب القوم كانوا كذلك، وكان رضوان الله عليه راضياً عنهم، فلم يكن الصحابي عمرو بن أمية الضمري يفارق الخليفة عثمان أبدا، وأن الخليفة عثمان ﷺ أقر علقمة بن حكيم الفراسي عاملاً على فلسطين وبقي كذلك حتى استشهاد عثمان ﷺ[1].

والبعض الآخر ناصحاً شفوقاً، ومن هؤلاء الصحابي أبو ذر الغفاري إذ إنه كثيراً ما اختلف مع الخليفة عثمان ﷺ ، ولم يكن خلافه إلا في فهمه للقرآن والسنّة، فكان يجهر برأيه حتى إذا كان مخالفاً للرأي الرسمي، ولم يتجاوز أبو ذر حدود الحوار إذ إنه لم يجرأ على الخليفة عثمان ﷺ أبداً.

ولم يكن الحال كذلك دائماً، فإن بعض بني كنانة انغمسوا في الفتنة، وتجرأوا على خليفتهم ومن هؤلاء جهجاه الغفاري، فقد عمد جهجاه إلى عصا بيد عثمان ﷺ وكان النبي ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخطبون عليها، فكسرها على ركبته، فرمى الله جهاجه بأكله في ركبته[2].

وآخرون منهم قاتلوا أنصار الخليفة عثمان ﷺ حول داره حينما كان محصوراً، فلما بزر مروان بن الحكم وكان ممن ينصر عثمان ﷺ ويذود عنه -- خرج يقول:

قـد علمـت ذات القـرون الميـل	والكـف والأنامـل الطفـول
إنـــي أروح أول الرعيـــل	بغـارة مثـل القطـا الـشليل

---

(١) ابن الأثر، الكامل، ج٣، ص١٨٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٦٨.

برز له رجل من بني ليث يدعى البياع، فضربه مروان وضرب البياع مرواناً على رقبته فأثبته وقطع إحدى علباويه فصيره أوقصاً"[1].

ورجل آخر من بني ليث أدخله الخارجون على عثمان ﷺ الدار المحصورة فقال له عثمان بعد أن نسبه فانتسب له وعرفه: لست بصاحبي، لأن النبي ﷺ دعا لك أن تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع، فرجع الليثي عنه وفارق القوم"[2].

وكان استشهاد عثمان بن عفان ﷺ لـ ١٨ خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ للهجرة[3].

معركة الجمل :

استشهد الخليفة عثمان ن عفان ﷺ - فأقبلت الفتن، واستدار المسلمون ليقتتلوا فيما بينهم منغمسين في فتن سوداء، بدلاً من الفتح الذي كانت تحضره الملائكة والدعوة للدين، ورحم الله ابن سيرين ذ قال: لم يفقد الخيل البلق من المغازي حتى قُتل عثمان ﷺ ، وأول الفتن كانت معركة الجمل.

لما عادت أمنا عائشة رضي الله عنها من عمرتها تريد المدينة، لقيها في طريقها أحد بني ليث يدعى عبيد بن أم كلاب، ودار بينهما الحوار الآتي:

قالت أم المؤمنين رضي الله عنها: مهيم؟

قال عبيد: قتلوا عثماناً ﷺ ، فمكثوا ثمانياً.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ص١٧٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ص١٧٧. والحديث ٣٦٢٨٨، كنز العمال ج ١٣، ص٨٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٧٧.

قالت: ثم صنعوا ماذا؟

قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، واجتمعوا على علي بن أبي طالب ﷺ .

قالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني قُتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه.

قال: ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خيراً من الأول.

فقال عبيد:

فمنك البداء ومن الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
فلم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرأ	يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفى مثل من غدر

كذلك كان رأي عبيد الليثي في الأحداث السياسية، ولسنا بصدد تقويم رأي الليثي، ولسنا بتحديد المتسبب في الفتنة (قتل عثمان ﷺ) ولكن يمكننا القول أن عبيداً الليثي حذر من عواقب ما تدعو إليه أم المؤمنين رضي الله عنها.

عادت أم المؤمنين وتوجهت إلى البصرة ولما وصلتها ومعها الصحابيان الزبير بن العوام وطلحة التيمي رضي الله عنهما، أرسل لها عثمان بن حنيف والي البصرة لعليّ ﷺ بعمران بن حصين وأبي الأسود الدؤلي، وقال لهما: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها، فلما أتياها سلّما وقالا: إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك هذا، فهل أنت مخبرتنا؟

قالت: والله ما من مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسوله ﷺ ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تره ولا عذر، فاستحالوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ففرقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين ومضرين غير نافعين ولا منفعين، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس ورائنا، وما يتعين لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو صلاح بين الناس ﴾ ننهض في الإصلاح من أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره.

ثم خرج أبو الأسود وعمران من عندها، فأتيا طلحة، فقالا: ما أقدمك؟

قال: الطلب بدم عثمان، قالا: ألم تبايع علياً؟ قال: بلى - والخلج على عنقي وما استقبل علياً إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان.

وكذلك كان سؤالهما للزبير ﷺ وكذلك كان جواب الزبير، فرجعا إلى أم المؤمنين رضي الله عنها، فودعاها، فودعت عمران وقالت: يا أبا الأسود إياك أن

يقودك الهوى إلى النار، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، فسرحتهما، ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف فبدأ أبو الأسود فقال:

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر
وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لهم مستلئماً وشمر

وإذا كان أبو الأسود الدؤلي مع عليّ ﷺ فإن آخرين من بني كنانة كان هواهم مع المعسكر الآخر، فهذا علقمة بن وقاص الليثي الكناني يدخل على طلحة يوم الجمل فيقول: يا أبا محمد، أرى أحب المجالس إليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك!! قال طلحة ﷺ : يا علقمة بينما نحن يد واحدة على من سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً، إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي منه إلا أن يسفك دمي في طلب دمه، فقال علقمة: فرد محمد بن طلحة، فإن لك ضيعة وعيالاً فإن يكن شيء يخلفك، قال طلحة: ما أحب أن أرى أحداً يخف في هذا الأمر فأمنعه.

فأتى محمد بن طلحة فقال: لو أقمت فإن حدث به حدث كنت تخلفه في ضيعته وعياله، قال محمد: ما أحب أن أسأل الرجل عن أمره[1].

المعركة:

كان بنو كنانة في جند علي ﷺ كما كانوا في معسكر أصحاب الجمل لما نشب القتال، خرج لعلي ﷺ اثنا عشر ألف رجل من الكوفة وهم أسباع وكان على سبع قريش وكنانة وتميم وأسد معقل بن يسار الرياحي[2].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٩٣.
(٢) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٥٠.

وفي رواية أخرى أن علياً ﷺ عقد لسائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز راية وولى عليهم عبدالله بن عباس وكان علي ﷺ قد جعل الرايات سبعاً[١] وفي القلب كان علي ﷺ ومعه من خزاعة ومن كنانة عدد حسن[٢].

وفي الجانب الآخر عبأ الزبير وطلحة جندهما وكان بنو كنانة يقاتلون تحت راية عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد القرشي[٣].

وأشار ابن قتيبة لدور بني كنانة مع عائشة رضي الله عنها في معركة الجمل فقال: إن طلحة ﷺ قال: اللهم إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه، فخذ منا حتى ترضى، فما قضى كلامه حتى ضربه مروان بن احكم ضربة أتى منها على نفسه فخر، وثبتت عائشة رضي الله عنها وحماها مروان في عصابة من كنانة وقيس وأسد[٤].

وكان بنو ضبة يطوفون حول جمل عائشة رضي الله عنها فلما رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة بن كنانة وكثروا حولها، فقالت: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو عدي خالطنا إخوتنا، فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضرباً شديداً ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف، وكان عمرو بن اليثربي (من بني ضمرة) أخذاً بزمان الجمل، فلما قتل تولى الزمام أحد بني عدي[٥].

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٦.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٥، ص١٧٨.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٨.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٦٩٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٢٦-١٢٧.

ومن قتل من بني كنانة مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يوم الجمل، أبو جعد الضمري[1].

فريق ثالث من بني كنانة اعتزل أمر الجمل، ومنهم عديسة بن أهبان الغفاري فلما ندبه الإمام علي ﷺ ليأخذ نصيبه في الأمر، قال: عاهدت خليلي ابن عمك أن إذا كانت الفتنة اتخذت سيفاً من خشب[2].

دورهم في معركة صفين :

عبأ عليّ ﷺ عسكره في صفين فكان هو في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة وأكثر من معه من أهل المدينة من الأنصار، ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم وزحف إلى أهل الشام[3].

وجعل على خيل الكمين عمار بن يسار وعمرو بن الحمق الخزاعي وعلى رجالتها أبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني[4].

وكان من بني كنانة ومن صحابة الرسول ﷺ مع علي ﷺ يوم صفين جماعة آخرون غير أبي الطفيل منهم عمير بن حارثة الليثي[5] وحبان بن أبجر الكناني وكان الإمام علي ﷺ لقبه أبا القنقشر[6] وأبو واقف الليثي، وعمير بن مرة

(1) ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص١١٤.
(2) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص١٢٨.
(3) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٩٧.
(4) ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٣٢.
(5) الأحبي، الغدير، ج٩، ص٣٦٩.
(6) الأحبي، الغدير، ج٩، ص٣٦٩.

الليثي والذي يوصف بأنه كان شديداً على معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام حتى أن معاوية حلف لئن ظفر به ليذيبن الرصاص في أذنيه[1].

ودارت رحى الحرب، فأبلت قبائل ربيعة التي في عسكر علي ﷺ بلاءً حسناً وتاهت ربيعة على العرب فخراً وقال حامل رايتها يومئذ وهو الحصين بن المنذر، حامل راية ربيعة يفخر بقومه:

رأت مضر صارت ربيعة دونها	شعار أمير المؤمنين وذا الفضلُ
فأبدت إلينا ما تجن صدورهم	علينا من البغضاء هذا له أصل
فقلت لهم لما رأيت رجالهم	عيونهم خزر كأن بها ثقل
إليكم إليكم لا أباً لأبيكم	فنحن لنا شكل وأنتم لكم شكل
ونحن أناس خصنا الله بالتي	وأنا لها أهل وأنتم لها أهل
فأبلوا بلانا أو أقروا بفضلنا	ولن تلحقونا الدهر ما خفت الإبل

فغضبت قبائل مضر من قول الحصين هذا وكاد أن يكون بينهم وبين ربيعة ما يكره، قام أبو الطفيل الكناني في وجوه بن كنانة فسكنهم، وكذلك فعل عمير ابن عطارد مع قومه بني تميم واقتدى بهما قبيصة بن جابر وفعل كما فعلا مع بني أسد، وكذلك فعل عامر بن الطفيل مع قومه هوازن.

ثم إن أبا الطفيل الكناني دخل على عليٍّ ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، إننا والله ما نحسد قوماً خصهم اله بالخير إن أخذوه وشكروه، وإن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا فأعفهم من القتال أياماً، واجعل لكل امرئ منا

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣٥.

يوماً يقاتل فيه، فإنا إذا اجتمعنا في الحرب اشتبه عليك بلاؤنا في القتال، فأذن عليّ ﷺ بذلك.

وخرج أبو الطفيل الكناني في اليوم الأول بعد إذن عليّ ﷺ في قومه بني كنانة فقاتلوا وطاعنوا وأحسنوا الطعان والضراب، وجعل أبو الطفيل يرتجز ويقول:

قد صابرت في حربها كنانة ... والله يجزيها بها جنانه

من أفرغ الصبر عليه زانه ... أو غلب الشر عليه شانه

أو كفر الله فقد أهانه ... غداً يعض من عصى بنانه

وقاتل بنو كنانة حتى أنكوا في أهل الشام في يومهم ذاك إلى الليل، واقبل أبو الطفيل الكناني إلى عليّ ﷺ وقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أخبرتنا أن أفضل القتل الشهادة وأحضى الأمر الصبر، وقد والله صبرنا حتى أصبنا بجماعة من قومنا، فقتيلنا شهيد وحقنا ثائر، فاطلب بمن بقي بثأر من مضى، وإنا وإن كان قد ذهب صفونا وبقي كدرنا فإن لنا دين لا يميل به الهوى[1].

فأثنى عليه علي ﷺ وجزاه وقومه خيراً، وبعده خرج عمير بن عطارد، وقال لقومه بن تميم: يا بني تميم إني في أثار أبي الطفيل الكناني فاتبعوا انتم آثار بني كنانة وكذلك فعل قبيصة بن جابر الأسدي وابن الطفيل العامري لقومها حين خرجا للقتال[2].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٥، ص٢٤٥.

(٢) ابن اعثم، الفتوح، ج٣، ص١٦٧.

أعاد أبو الطفيل لمضر هيبتها وعزّها، فقال يفتخر ويظهر فضل مضر عامه:

تحامـــت كنانـــة في حربهـــا وحامـــت تميـم وحامـــت أســـد
وحامـت هـوازن مـن بعـدها فمـا خـام منهـا ومـنهم أحـد
لقينـا الفـوارس يـوم الخميس والعيـد والـسبت ثـم الأحـد
لقينـــا قبائـــل أنـــسابهم إلى حـضرموت وأهـل الجنـد
وإمـــدادهم خلـــف آذانهـــم ولـيس لنـا مـن سـوانا مـدد
فلمـــا تنـــادوا بآبـــائهم دعونـــا معـــداً ونعـــم المعـــد
فظلنـــا نفلـــق هامـــاتهم ولم نـــك فيهـــا ببـيض البلـــد
ونعـم الفـوارس يـوم الـوغى فقـل في عديـد وقـل في عـدد
وقـل في طعـان كفـرع الـدلاء وضـرب عظـيم كنـار الوقـد
وكنـا عـصفنا بهـم عـصفة وفي الحـرب بـشر وفيهـا نكـد
طحنـا الفـوارس يـوم العجـاج وسـقنا الأراذل سـوق النقـد
وقلنـا علـيٌّ لنـا والـد ونحـن لـه طاعـة كالولـد

واصل أبو الطفيل بن واثلة الكناني وقومه القتال في صفين ضد أهل الشام، ولما قتل هاشم المرقال تقدم أبو الطفيل وهو يقول:

يـا هاشـم الخـير جزيـت الجنـة قاتلـت في الله عـدو الـسنة
وتـارك الحـق وأهـل الظنـة أعظـم مـا نلـت بـه مـن جنـة
صـيرني الـدهر كـأني شـنة يـا ليـت أهلـي قـد علـوني رنـة

مـــن ابنـــة وزوجـــة وكنـــة

وحمل وقاتل قتالاً شديداً وجرح جراحة منكرة[١].

وكان أبو الواقف الليثي يقول يوم صفين:

سائل بنا يوم لقينا الأزدا ... والخيل تعدو سفراً ووردا

لما قطعنا كفها والزندا ... فاستبدلوا بغياً وباعوا الرشدا

وضيعوا فيما أرادوا رشداً ... سحقاً لهم في رأيهم وبُعدا

وممن قتل من رجال كنانة البارزين يوم صفين مع علي ﷺ قيس وبكر ابنا الصقر بن الحارث بن يعمر[٢].

وكان في جيش أهل الشام عدد كبير مع بني كنانة، منهم الصحابي الحكم ابن عمر الغفاري[٣]، وكان شريك بن عبدالله الكناني على كنانة فلسطين خاصة[٤] وعلى عموم كنانة جيش الشام تميم بن نصر بن مسافع الضمري ومعه اللواء[٥] وجهور بن جندب بن ضرب بن أمية من بني مالك بن كنانة وكان صاحب لواء معاوية يوم صفين[٦].

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص١٩٩.
(٢) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٢٠.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٣.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج١، ص٨٥.
(٥) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٣٥.
(٦) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٣٥.

دورهم في فتنة الخوارج وذيول صفين

فتنة الخوارج :

لم يرد ذكر لأي كناني مع الخوارج، إلا ما كان من رجل اسمه فرّاس بن عمرو من بني ليث قيل أنه همّ أن يخرج مع الخوارج فحبسه أبوه ومنعه[١].

ولما اجتمع خوارج البصرة فصاروا خمسمائة رجل جعلوا عليهم مسعر بن مذكي التميمي، فلما علم بهم عبدالله بن العباس ﷺ والي البصرة لعليّ ﷺ اتبعهم بأبي الأسود الدؤلي الكناني فلحقهم بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل، وأدلج مسعر بن مذكي وسار بأصحابه حتى لحق بعبدالله بن وهب[٢].

ذيول صفين :

بعد أن انتهت معركة صفين إلى التحكيم، ولما أعلن الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري ما صارا إليه، بدأ علي ﷺ يحشد لمعركة جديدة، فأرسل إلى ابن عباس والي البصرة يطلب أشخاص أهل البصرة إلى معسكر النخيلة، فقام ابن عباس خطيباً في أهل البصرة، وقال: قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بأشخاصكم، فأمرتكم بالمسير مع الأحنف بن قيس فلم يشخص منكم إلا ألف وخمسمائة وأنتم في الديوان ستون ألف، الا فانفروا وقد أمرت عليكم أبا الأسود الدؤلي يحشدكم.

---

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٢٦.
(٢) ابن الأثير، الكامل ج٣، ص٣٣٨.

فحشد أبو الأسود الدؤلي الناس بالبصرة فاجتمع إليه ألف وسبعمائة فأقبل هو والأحنف بن قيس حتى وافيا علياً ﷺ بالنخيلة[1].

وبدا معاوية بن أبي سفيان يغير على ما تحت يد علي ﷺ من الأراضي ومن السرايا التي أرسلها معاوية بقيادة رجل من كنانة هو أنه في عام ٣٩هـ أرسل معاوية سرية يرأسها عبدالرحمن بن قباث بن أشيم الكناني إلى بلاد الجزيرة، وكان في الجزيرة شبيب بن عامر في نصيبين، فكتب شبيب إلى كميل بن زياد وهو في هيت يخبره الخبر، فسار كميل لعبدالرحمن الكناني في ستمائة رجل فأدركه وقاتله وهزمه وغلب عبدالرحمن الكناني على عسكره.

وبعث معاوية بن أبي سفيان بسرية على رأسها يزيد بن شجرة إلى مكة وكان عامل مكة قثم بن العباس، فأرسل جيشاً فيه الريان بن ضمرة الحني وأبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، فلما وصل الجيش مكة كان يزيد قد خرج منها فاتبعوهم وظفروا بنفر منهم وأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا على عليّ ﷺ[2].

وفي سنة ٤٠ للهجرة كتب أبو الأسود الدؤلي إلى علي ﷺ: أما بعد فإن الله عز وجل جعلك والياً مؤتمناً وراعياً مسؤولاً وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للرعية، توفر لهم فيئهم ولا تأكل أموالهم ولا ترتش في أحكامهم وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعني كتمانك رحمك الله فانظر هنا واكتب إلي برأيك فيما أحببت والسلام.

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٢٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٧٨-٣٧٩.

فكتب إليه علي ﷺ : أما بعد فمثلك نصح الإمام والأمة وأولى على الحق وقد كتبت لصاحبك فيما كتبت إلي ولم أعلمه بكتابك فلا تدع إعلامي عما يكون بحضرتك من النظر فيه صلاح للأمة فإنك بذلك جدير وهو حق وواجب والسلام[1].

ولما خرج عبدالله بن العباس ﷺ إلى مكة م البصرة تاركاً العمل لعلي ﷺ تبعه أبو الأسود الدؤلي في جمع من بني كنانة ليرده فاعتصم عبدالله بأخواله بني هلال فحفظوه، وكادت تكون بينهم حرب، فقال بنو هلال: ننشدكم الله ألا تسفكوا بيننا دماءً تقي معها العداوة إلى آخر الدهر، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه فلا تدخلوا أنفسكم بينهما، فرجعت كنانة عنه.

❊ ❊ ❊

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٧٦.

الفصل الخامس

دور بني كنانة في فتوح المشرق

اشترك الكنانيون في فتوح المشرق وكان لهم عظيم شأن فيها، ولمعت أسماء رجال منهم كقادة فاتحين، ومن هؤلاء القادرة: بكير بن عبدالله الليثي، سارية بن زنيم الدؤلي، حذيفة بن أسيد الغفاري، الحكم بن عمرو الغفاري، الصعب بن جثامة الليثي، والسائب الغفاري وغيرهم.

في عام ٢٣ للهجرة كان بكير بن عبدالله الليثي يحدو بجند الله نحو أذربيجان حاملاً رسالة الإسلام، فكان أول من لقى (أسفنديار بن فِرّ خزاد)، وكانت أول وقعة في أذربيجان، فهزم الله الفرس، وأخذ بكير الليثي أسفنديار بن فِرّ خزاد أسيراً، فقال أسفنديار لبكير الليثي: أمسكني عندك فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم لم يقوموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولهم فامسكه بكير الليثي عنده وصارت البلاد للمسلمين إلا ما كان من حصن.

ولما جاء سماك بن خرشية الأنصاري مدداً لبكير الليثي، تقدم بكير نحو (الباب) لفتحها واستخلف سماك على الأرض التي فتحها الله على المسلمين.

وهزم الله سبحانه وتعالى الفرس مرةً ثانية على يد عتبة بن فرقد كان على الفرس (بهرام بن فِرّ خزاد)، فيتم الصلح مع أسفنديار أخيه وهو في أسر بكير الليثي، ودخل أهل أذربيجان السلم، وكتب لهم بكير الليثي كتاباً بالصلح[1].

---

(١) ابن الأثير، الكامل،ج٣، ص٢٧. وابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٣٢.

وبعد أن فرغ المسلمون من أذربيجان توجه سراقة بن عمرو بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لفتح الباب، وكان على مجنبتي الجيش بكير بن عبدالله الليثي وحذيفة بن أسيد الغفاري، وسبق بكير الليثي إلى (الباب) ففتحها، وكان عليها ملك يدعى شهريار، فدفع الجزية صاغراً للمسلمين[١].

أما في موقان فقد كان سراقة بن عمرو قد فرق الجند إلى أربع فرق، كان على اثنتين منها قائدان كنانيان هما بكير الليثي وحذيفة الغفاري، وسار بكير الليثي إلى (موقان) وسار حذيفة الغفاري إلى (اللان) ففتح الله على بكير الليثي ودفع أهل موقان الجزية عن كل حالم دينار[٢].

وفي نفس العام أي عام ٢٣ للهجرة، خرج من البصرة القائد سارية بن زنيم الدؤلي على رأس جيش يريد (فساودار أبجرد)، وما أن انتهى إلى معسكر الأعداء حتى حاصرهم، ولكنهم استعدوا وتجمعوا، واجتمعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كبير وأتاهم الفرس من كل جانب، فرأى عمر بن الخطاب ﷺ فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم، وكان سارية الكناني والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها أحيط بهم، وأن استندوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فقام عمر ﷺ من غده ونادى الصلاة جامعة، وقال: أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين، وأخبر بما رأى وصاح عمر ﷺ وهو يخطب: يا سارية الجبل الجبل، ثم أقبل على المصلين، وقال: إن لله جنوداً ولعل بعضها أن تبلغهم، فسمع سارية بن زنيم الصوت ولجأ على الجبل بجنده وقاتل الفرس وهزمهم وأصاب المسلمين مغانهم[٣].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٢.

وفي نفس العام كان فتح سجستان، وكان عبدالله بن عمير الليثي قد لحق بعاصم بن عمرو، وقاتلوا أهل سجستان معاً في أداني أراضيهم فهزموهم وحاصروهم في زرنج ثم صالحوهم[1].

وواصل عبدالله بن عمير الليثي فتوحاته في سجستان بعد أن كان الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قد استعمله عام ٢٩هـ وحتى وصل كابل[2].

وشارك الصحابي الصعب بن جثامة الليثي في فتح اصطخر[3].

ورواية تفيد أن السائب الغفاري هو الذي فتح أصفهان عنوةً وصلحاً[4].

دور بني كنانة الإداري في خراسان :

آلت الخلافة الإسلامية إلى بني أمية ومعها استمر عطاء بني كنانة لدولة الإسلام، فكانت لهم أيام الأمويين ولايات على خراسان شهدت فتوحات عظيمة أسهمت في نشر الإسلام بين الفرس والترك والصغد، ومن ولاياتهم هذه، ولاية الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري لمعاوية بن أبي سفيان وولاية نصر بن سيار الجندعي الليثي لهشام بن عبدالملك بن مروان.

ولاية الحكم بن عمرو الغفاري لخراسان :

أول من ولي خراسان من بني كنانة للأمويين، الحكم بن عمرو الغفاري وذلك عام ٤٥ للهجرة على صاحبها أزكى الصلاة والسلام، ويقول ابن أعثم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٠٠.

(٣) ابن حجر الإصابة، ج٢، ص١٨٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٢.

الكوفي أن الحكم الغفاري كان من الصالحين، أما خبر ولايته لخراسان فهو على رواية ابن أعثم:

كان زياد بن أبيه والي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان قد أرسل غلاماً له يدعَ الحكم بن بشر الثقفي ليوليه خراسان، فغلط الغلام، إذ دعا الحكم الغفاري بدلاً عنه، فلما دخل الحكم على زياد، تبسم زياد إذ رآه وقال: يا حكم أردت أمراً وأراد الله أمراً، خذ هذا العهد واضمم الناس إليك وسر إلى خراسان فقد وليتك حربها وخراجها.

فخرج الحكم وقد صار إليه خلق كثير من عرب أهل البصرة ممن يريد الجهاد في سبيل الله، وسار بهم نحو بلاد خراسان، فأخذ على طريق فارس، وسلك من فارس على الطريق الأعظم إلى خراسان، فلم يزل من مدينة إلى مدينة يتقدم ويفتح حتى صار إلى مدينة مرو فنزلها.

فكتب الحكم الغفاري إلى زياد ببشرى الفتح وما تحت يده من الغنائم فأخبر زياد معاوية بن أبي سفيان بذلك، فأمر معاوية بأن يحمل الذهب والفضة إلى بيت المال في الشام، ويقسم ما بقي من الغنائم على المسلمين المجاهدين، فكتب زياد بذلك إلى الحكم، ولما ورد كتاب زياد على الحكم

قام خطيباً في الناس فحمد الله ثم قال: أيها الناس إن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد يأمره أن يأمرني أن أحتفظ بالصفراء والبيضاء (أي الذهب والفضة)، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أن السموات والأرض كانتا حلقة على رجل اتقى الله لفرج الله عنه، وقول رسول الله ﷺ أولى أن يؤخذ به من قول معاوية وزياد، فاجتمعوا رحمكم الله إلى فيئكم الذي أفاء الله عليكم[1].

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٩٩.

ثم إن الحكم أخرج الخمس من الغنائم كلها فوجه به إلى زياد وقسم الباقي في المسلمين.

وفي عام ٤٧ للهجرة غزا الحكم في جبال الغور، وكان أهلها قد ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها وأصاب منها غنائم كبيرة وسبايا، كان الحكم قد قطع النهر في ولايته وأول من شرب من المسلمين منه مولى للحكم اغترف بترسه ثم ناول الحكم الترس فشرب وتوضأ وصلى ركعتين[١] وكان المهلب بن أبي صفرة يغزو مع الحكم في بعض جبال الترك[٢].

وحين عودة الحكم الغفاري من غزوة جبل الأشل، وكان كتاب زياد بن أبيه الذي وافاه والذي يدعوه فيه لإرسال الذهب والفضة، قد ترك في نفسه أثراً موجعاً، فإن الحكم دعا الله فقال: اللهم إني سئمت بني أمية وساموني، فأرحهم عني وأرحني منهم، فلم تمضي إلا جمعة واحدة بعد دعائه هذا حتى وافته المنية رحمه الله وكان ذلك عام ٥٠ للهجرة وكان الحكم الغفاري قبل موته قد استخلف أحد أبناء عمومته على خراسان وهو أنس بن أبي أناس الدؤلي[٣].

ولاية غالب الليثي على خراسان :

لما ورد خبر موت الحكم بن عمرو الغفاري على زياد دعا صحابياً آخر من بني كنانة وهو غالب بن عبدالله الليثي فولاه على خراسان، ومضى غالب حتى نزل مرو واتخذها قاعدة له ومنها مضى غازياً إلى طخرستان وما ورائها حتى

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٥٧.

(٣) ابن الأثير، لكامل، ج٣، ص٤٧٣.

فتح فتوحاً كثيرة وغنم غنائم جمة، أخرج خمسها ووجهه إلى زياد وقسم الباقي في جنده[1].

ولكن الطبري وابن الأثير يخالفان ابن أعثم فيقولان أن الذي ولى خراسان بعد الحكم بن عمرو الغفاري هو الصحابي غالب بن فضالة الليثي وليس غالب بن عبدالله الليثي، والذي كان على مقدمة جيش فتح مكة[2].

وسواء كان من ولي خراسان بعد الحكم الغفاري غالب بن عبدالله أو غالب بن فضالة فإن كلا الرجلين من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

ولاية نصر بن سيار الليثي الكناني على خراسان :

لنصر تاريخ طويل من العمل والجهاد في خراسان، إذ كان أبوه سيار بن رافع في جند سعيد بن عثمان بن عفان، كان نصر حازماً شجاعاً أبيّاً شاعراً، أدى من الأعمال ما هياه أن يتولى أرفع المناصب في دولة بني أمية.

في عام ١٠٦هـ حين كان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة والياً على خراسان وأراد الغزو، تخلف عنه الأزد وربيعة، فاختار نصر بن سيار الليثي ورده وأمره أن يلحق المتخلفين بالجيش الإسلامي الغازي، رجع نصر الليثي ونزل البروقان وجمع قومه من مضر بني تميم وكان فيهم مسلمة العتبي، وبني أسد ومنهم حسان بن خالد الأسدي، واجتمعت الأزد وربيعة بنفس المكان وكان عليهم جميعاً عمرو بن مسلم الباهلي، ودارت بينهم معركة ابتدأها الأزد وربيعة بأن حملوا على عسكر نصر، فكر عليهم نصر وقتل ثمانية عشر رجلاً من باهلة

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص١٩٩.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٦، ص١٣٠. وابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٥٧.

من أصحاب عمرو بن مسلم، وانهزم عمرو وطلب الأمان من نصر، وقيل ألقي القبض عليه في طاحونة فأتى به نصراً وفي عنقه حبل، فضربه نصر ومن معه من المتخلفين مائة مائة وحلق رؤوسهم وكساهم وألبسهم المسوح وسيّرهم إلى مسلم بن سعيد[١].

هكذا كانت البداية، حزم ورأي، ولكنها بداية صعبة تركت في نفس نصر أثراً بالغاً، فبقى نصر يرى في عرب اليمن وربيعة رأياً مختلفاً عن رأيه في مضر، وظل هذا الشعور يلازمه حتى ولي خراسان فعرف بتعصبه لمضر دون باقي العرب.

علاقة نصر الليثي مع أسد بن عبدالله القسري والي خراسان[٢]:

كان نصر يحث الخطى على طريق الرقي صعوداً إلى الدرجات العالية في الدولة، ولكن حسّاده كانوا يضعون في طريقه ما يعيقه محاولين الحط من قدره وحسن بلائه.

في سنة ١٠٨هـ، كان أسد القسري عاملاً على خراسان لأخيه خالد[٣] والي العراق آنذاك، وكان بين المسلمين وبين الخاقان قتال في غزوة يقال لها غزوة الختل والغور، وبرز رجل من المشركين، فقال سالم بن أحوز وهو من

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٢٧.

(٢) ابن الأثير الكامل، ج٥، ص١٣٩.

(٣) هو خالد بن عبدالله بن أسد بن كرز بن عامر بن عبدالله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير ابن شق الكاهن بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن أقصى بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار كان رئيس اليمنية في وقته، عزل الوليد بن يزيد بن عبدالله ودفعه إلى يوسف بن عمر الثقفي فحمله إلى الكوفة وعذبه حتى قتله.

أصحاب نصر الليثي: يا نصر، إني حامل على هذا العلج فلعلي أقتله فيرضى الأمير أسد، فحمل عليه، فطعنه فقتله ورجع سالم، فقال نصر: قف حتى أحمل على المشركين، فحمل عليهم حتى خالطهم فصرع رجلين منهم، وعاد جريحاً، فجاء رسول أسد ليقول: يقول لكما الأمير قد رأيت موقفكما وقلة غنائكما عن المسلمين.

ولن يمنع هذا نصراً من الاستمرار في القتال والذود عن المسلمين، ثم هزم المشركون وحوى المسلمون عسكر الأعداء وسبوا سبياً وغنموا غنائم، ولكن أسد القسري يستمر في بغضه وحسده لنصر الليثي وجماعته فيحضرهم ويضرب نصراً وسورة بن الحر وعامر بن مالك الحماني وجماعة آخرين بالسياط ويحلق رؤوسهم ويسيرهم إلى والي العراق أخيه خالد، فحبسهم خالد لديه، فقال نصر:

بعثت بالعتاب في غير ذنب	في كتاب تلوم أم تميم
إن أكن موثقاً أسيراً لديهم	في هموم وكربة وسهوم
رهن قسر فما وجدت بلاءً	فأسار الكريم عند اللئيم
أبلغ المدُعين قسراً وقسر	أهل عود القناة ذات الوصوم
هل فطمتم عن الخيانة والغدر	أم أنتم كالحاكر المستديم

وقال الفرزدق مادحاً لنصر ومتوعداً خالداً:

أخالد لولا الله لم تعطِ طاعة	ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا
إذاً للقيتم عند شد وثاقه	بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

وسوء فعال أسد القسري حملت الخليفة هشام بن عبدالملك على عزله واستعمل الحكم بن عوانه الكلبي مكانه، ثم عزل الحكم وولي أشرس بن عبدالله السلمي، والذي كان يوصف بأنه فاضل خيّر حتى سمته الناس بالكامل.

وكان أشرس قد ولى الحسن الكندي الحرب ثم عزله واستعمل المجشّر السلمي مكانه، وعيّن أشرس السلمي، نصراً الليثي عاملاً على بلخ[1].

وقعة الشعب ودور نصر الليثي فيها :

في عام ١١١ للهجرة عزل هشام بن عبدالملك أشرس السلمي وولى الجنيد ابن عبدالرحمن المري على خراسان، وأمر الخليفة هشام بن عبدالملك بإطلاق سراح نصر الليثي وجماعته والذين كانوا قد سيّرهم أسد القسري إلى أخيه خالد فحبسهم، كما وأمر الخليفة هشام بإلحاقهم بالجنيد ليكونوا معه[2] ودعا الجنيد رجلاً يقال له سورة بن الحر الدارمي وعقد له عقداً وضم إليه أربعة آلاف رجل ووجهه إلى بخارستان، وسار سورة بن الحر إلى سمرقند، فلما بلغ ذلك خاقان ملك الترك سار إلى سورة بن الحر في خمسين ألف مقاتل من الترك والصغد حتى نزل على سمرقند.

وكان الجنيد وقتها قد خرج غازياً يريد طخارستان فوجه عمارة بن مريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألف وإبراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر[3] فلما جاشت الترك وأتوا سمرقند كتب سورة بن الحر إلى الجنيد: أن

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٤٩ وما بعدها.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص١٠٠ وما بعدها.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٧، ص٩٧. وابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٦٢.

خاقان جاش بالترك فخرجت إليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث الغوث.

ثم إن الجنيد أراد أن يسير بالمسلمين إلى سمرقند، فقال له نصر بن سيار: لا تعجل فإن سورة بن الحر الدارمي وأصحابه في جوف سمرقند، وسمرقند مدينة حصينة منيعة، فقال الجنيد: والله إن معي من بني عمي خمسمائة رجل كل رجل منهم بألف من الترك، ولو لم يكن معي غيرهم للقيت بهم ملك الترك.

وعبر الجنيد والمسلمون النهر ونزلوا بكس ولما بلغ خاقان مسيرهم أرسل إلى طريق كس ونسف من طريق البرية فغور الآبار، فسلك الجنيد طريق العقبة وارتقى في الجبل وسار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند، أربعة فراسخ ودخل الشعب، فصبحه خاقان بجيش عظيم، وزحف إليه أهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجع المسلمون إلى المعسكر والترك تبعهم وجاؤوهم من كل وجه، ثم التقوا وقصد العدو الميمنة، فأمد الجنيد الميمنة بنصر بن سيار فشد نصر ومن معه على العدو فكشفوهم وجعل نصر يقاتل قتالاً لم يسبق إليه أحد من نظرائه حتى قتل من الترك مقتلة عظيمة وغنم الناس غنيمة عظيمة.

وتكلم قوم عن الجنيد فقالوا: أصلح الله الأمير! إنه ليس يجب أن يغفل عن مثل نصر بن سيار ولا يقصر في برِّه لشرفه وشرف آبائه وسابقتهم في الإسلام وما قد رأى الأمير أصلحه الله من فعاله هذا اليوم، فغضب الجنيد وقال: من نصر بن سيار؟ وما كان نصر بن سيار؟ فوالله إن أقل رجل من بني عمي قد عمل في هذا العدو ما لم يفعله نصر بن سيار، ولا يقدر عليه ولو عمر الدهر[1] فبلغ قوله هذا نصراً فقال:

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص١٠٠ وما بعدها.

أنـي نـشأت وحـسادي ذوو عـدد ... يـاذا المعـارج لا تـنقص لهـم عـدداً
إن تحسدوني على حُسْن البلاء لكم ... فـإن مثـل بلائـي ولـد الحـسدا
يـأبى الإلـه الـذي أعلـى بقدرتـه ... كعبي عليكم وأعطى فـوقكم عـددا
أرمـي العـداة بـأفراس مكلمَّـة ... حتـى اتخـذن علـى حـسادهن يـدا
وضربي الـترك عـنكم يـوم فـرقكم ... بالسيف في الشعب حتى جاوزا السندا
من ذا الذي منكم في الشعب إذ وردوا ... لم يتخـذ حومـة الأثقـال معتمـدا
هـلا شـكرتم دفـاعي عـن جنيـدكم ... وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا

وقال نصر الليثي يهجو الجنيد لما استشهد سورة الدارمي:

أبغـضت مـن عينـك تبريحهـا ... وصـورة في جـسد فاسـد
كنـت تظـن الحـرب إذ رمتهـا ... كـشربك القرقـرف البـارد
تلعـب بـك الـترك وأبناؤهـا ... لعـب الـصقور بقطـا وارد

وقال ابن عرس العبدي يمدح نصراً يوم الشعب[1]:

يـا نـصرُ أنـت فتـى نـزار كلـها ... فلـك المـآثر والفعـال الأرفـعُ
فرجـت عـن كـل القبائـل كربـةً ... بالشعب حين تخاضعوا وتضعضعوا
يـوم الجنيـد إذ القنـا متـشاجر ... والنحـر دام والخوافـق تلمـع
مـا زلـت تـرميهم بـنفس حـرة ... حتـى تفـرّج جمعهـم وتـصدعوا

(١) الطبري، التاريخ، ج٧، ص٨٦.

فالناس كل بعدها عتقاؤكم ولك المكارم والمعالي أجمع

ولما دخل الجنيد سمرقند أعطى كل ذي حق حقه وفضل من أراد من أصحابه وبني عمه، وقصر بنصر بن سيار الليثي وبني عمه فلم يفعل بهم ما يجب أن يفعل بأمثالهم من العطية والجوائز، فقال نصر[1]:

لئن كنت في دنيا وملك أصبته بلا حسب زال ولا طعان
فقد يبتلى ذو الملك بالبخل والغنى ويصرف عن وري الزناد هجان
لعمري لقد أصبحت في اليوم راغباً وقد حلّ منك اللؤم كل مكان

نصر بن سيار والياً على خراسان :

استشار الخليفة هشام بن عبدالملك عبدالكريم بن سليط الحنفي والذي كان له بالرجال معرفة فيمن يولي على خراسان بعد وفاة عامل الخليفة عليها، فذكر الحنفي رجالاً فلم يرضاهم الخليفة، حتى ذكر الحنفي نصر بن سيار، وقال عبدالكريم الحنفي أن عشيرة نصر في خراسان قليلة، فقال هاشم: أنا عشيرته، وكتب عهده وبعث به مع عبدالكريم[2].

فاستبشر الناس خيراً بولاية نصر حتى أن الشاعر سوار بن الأشعر قال[3]:

أضحت خراسان بعد الخوف أمنة من ظلم كل غشوم الحكم جبار

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص١٠٠ وما بعدها.
(٢) الطبري، التاريخ، ج٧، ص١٥٥. وابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢٧. والديتوري، الأخبار الطوال، ص٣٥١. وابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص١٠٧.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢٧.

لما أتى يوسفاً أخبارُ ما لقيت　　اختار نصراً لها نصر بن سيار

وتآلفه الناس وخفف عنهم الخراج حتى أحبوه ومالوا إليه[1] وعمرت خراسان عمارة لم تعمرها من قبل وأحسن الولاية والجباية.

دور نصر الليثي العسكري في خراسان :

أشاد الباحثون والمؤرخون بدور نصر العسكري في فترة ولايته على خراسان ومدحوه وأثنوا عليه – ومن هؤلاء فلهاوزن إذ قال: «إن نصر بن سيار في الفترة الأولى من ولايته قام بمحاربة الترك لتأمين الحدود الشرقية والطرق التجارية، فخرج من بلخ وغزا ما وراء النهر بانتصارات حاسمة تكملة لخطة أسد القسري في السيطرة على ما وراء النهر التي كادت تفشل في أخريات أيامه، وقد احتلت أعمال نصر بن سيار الحربية من ١٢١ وحتى ١٣١هـ من تاريخ النضال الإسلامي، مكانة لا تقل أهمية عن مكانة الحروب التي خاضعها قتيبة ابن مسلم الباهلي وأعماله في الفتوح في الميدان الشرقي، وفي عام ١٢٩هـ استطاع نصر الليثي أن يعزل الخطر الخارجي عن المشاكل الداخلية وأن يقر السيادة العربية في حوض نهر سيحون وعقد معاهدات مع أمراء أشروسنة والشاش وفرغانه وأسر خان الأتراك الشرقيين وقتله»[2].

حروب نصر وغزواته[3] :

في عام ١٢١ للهجرة غزا نصر ما وراء النهر مرتين، الأولى من نحو الباب الجديد، فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع إلى مرو، وأقام منصور بن عمر

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص١٠٧.

(٢) فلهاوزن، الدولة العربية، ص٤٥١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٣٦-٢٣٧ و ٢٥٠.

ابن أبي الخرقاء على كشف المظالم، ووضع الجزية عمن أسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين، فلم تمضي جمعة حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم، وثمانون ألف من المشركين كانت قد ألغيت عنهم، فحول ما كان على المسلمين إليهم ووضعها عن المسلمين، ثم صنف الخراج ووضعه في مواضعه.

والغزوة الثانية سار فيها إلى ثورغسر وسمرقند ثم رجع.

والغزوة الثالثة كانت على الشاش، وهي طاشقند عاصمة أوزبكستان اليوم ولكن ملك الترك كورصول حال بين نصر الليثي وعبور نهر الشاش وكان مع كورصول خمسة عشر ألف مقاتل ومعه رجل من العرب يدعى الحارث بن سريج[1] وعبر كورصول النهر في أربعين رجلاً فبيت عسكر المسلمين في ليلة مظلمة، فنادى نصر ألا يخرجن أحد واثبتوا في مواضعكم.

وخرج عاصم بن عمير ومرت به خيل الترك فحمل على رجل في آخرهم فأسره فأتى به نصراً فإذا به ملك الترك كورصول.

قال نصر بن سيار: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله، قال كورصول: وما ترجو من قتل شيخ؟ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من إبل الترك وألف برذون تقوي بها جندك وتطلق سبيلي، فاستشار نصر جماعة من أصحابه - فأشاروا بإطلاقه، واستمر نصر بالسؤال من كورصول فقال: كم غزوت؟ فقال كورصول: اثنتين وسبعين غزوة، فسأله نصر: أشهدت يوم العطش؟ فقال

---

(١) الحارث بن سريج - رجل من تميم كان قد غضب لما عزل عن ولاية له في خراسان فقاتله نصر وهزمه عاصم الهلالي صاحب مرو فهرب والتحق بالترك.

كورصول: نعم، فقال نصر: لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعدما ذكرت من مشاهدك ثم قال نصر لعاصم: قم فخذ سلبه ثم قتله وصلبه بعد ذلك على شاطئ النهر.

فلما علم الترك بذلك قطعوا آذانهم وقصوا شعورهم وأذناب خيولهم حزناً على الكورصول، ثم إن نصراً أمر بإحراق جثته لئلا يحمل الترك عظامه، فكان ذلك أشد عليهم من قتله.

وبعدها سار نصر بن سيار إلى فرغانة فسبى فيها ألف رأس ثم توجه إلى الشاش يريد الحارث بن سريج، وجعل يحيى بن الحضين على مقدمة جيشه.

فلقاهم الحارث ولكن المسلمين قتلوا فارس الترك المسمى بالأخرم فهزم المشركون واستمر الزحف حتى الشاش فلقى ملكهم نصراً بالصلح والهدية والرهن، واشترط نصر إخراج الحارث بن سريج من البلد فأخرج منها إلى قاراب وولى نصر على الشاش مولى لعمرو بن العاص يدعى تبرك بن صالح.

وبعدها توجه المسلمون إلى فرغانة وحاصروا ولي عهد حاكمها في أحد الحصون وقتلوا الدهقان وأسروا جماعة من الترك فيهم ابن الدهقان، فقلته نصر ابن سيار، ثم أرسل نصر بكتاب الصلح إلى فرغانة، فأرسل صاحب فرغانة أمه مع الكتاب إلى نصر رهناً وكانت صاحبة أمر ولدها.

وفي عام ١٢٣هـ صالح نصر الليثي الصغد على شروط اشترطوها منها: أن لا يعاقب من كان مسلماً فارتد عن الإسلام، وعاب الناس ذلك على نصر واعتبروه ذلاً ومهانة، ولكن نصراً كان يرى غير رأيهم، إذ إنه يرى أن الترك بعد مقتل خاقانهم تفرقوا وصار يغير بعضهم على بعض، وهو يرى ذلك مشغلة لهم

ودفعاً لأذاهم إذ إنهم أصحاب شوكة، وأرسل نصر رسولاً إلى هشام بن عبدالملك يخبره بما فعل فأقره الخليفة على ذلك.

وفي هذه السنة كانت غزوة ثانية لفرغانة أيضاً، إذ غزاها نصر وأرسل بوفد إلى الخليفة هشام يخبره بذلك.

الفتن والمشاكل التي واجهت نصر الليثي

إذا كان نصر الليثي قد هزم الترك وقتل ملكهم واستمال كثير منهم فدخلوا الإسلام ووسع رقعة دولة الإسلام، وأمن الأخطار الخارجية، فإن الجبهة الداخلية كانت تمور بالدسائس والفتن، ثم إن دولة بني أمية أخذت بالتدهور، وأن أوان قيام دولة جديدة الحكم فيها لبني العباس بن عبدالمطلب ﷺ وكانت خراسان مهداً للدعوة لقيام هذه الدولة.

يوسف بن عمر يحاول الإيقاع بنصر[1] :

كان يوسف بن عمر طامعاً في حكم خراسان ولم يؤل جهداً بالعمل على تشويه صورة نصر اللامعة لدى الخليفة هشام بن عبدالمطلب، ومن هذا القبيل ما فعله يوسف في سنة ١٢٣ للهجرة.

كان رسول نصر بن سيار، معن بن أحمر، قد اجتاز بيوسف في طريقه لعاصمة دولة الإسلام حاملاً رسالة من والي خراسان نصر الليثي إلى الخليفة هشام تتعلق بغزو نصر لفرغانة، فلما لقيه يوسف طلب منه أن يعيب نصراً عند الخليفة، فاعترض معن بن أحمر، وقال: كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٥٢-٢٥٣.

عندي وعند قومي؟ أأعيب تجربته؟ أم طاعته أم يمن نقيبته أم سياسته؟ فقال يوسف: عبه بالكبر. فلما دخل معن على الخليفة هشام، ذكر جند خراسان وطاعتهم ونجدتهم ثم قال: ألا إنهم ليس لهم قائد، فقال هشام: ويحك فما فعل الكناني؟ يعني نصر، قال معن: له بأس ورأى ألا أنه لا يعرف الرجل ولا يسمع صوته حتى يدني منه، وما يكاد يفهم من الضعف لأجل كبره، وصادف أن شبيل بن عبدالرحمن المازني حاضر في مجلس الخليفة، فقال: كذب والله، إنه ليس بالشيخ الذي يخشى سفهه، بل هو المجرب، وقد ولي عامه ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته، فعلم هشام أن معناً مدفوعاً للوقيعة بنصر الليثي بأمر يوسف، فلم يلتفت لقوله.

ولما توفي الخليفة هشام عام ١٢٥هـ خلفه الوليد فأمر نصراً على خراسان كلها وأفرده بها، إلا أن يوسف بن عمر قدم عليه فاشترى منه ولاية خراسان بأجمعها، فباعه الوليد خراسان.

كتب يوسف بن عمر إلى نصر يأمره بالقدوم مع ما قدر عليه من هدايا وأموال وعياله أجمعين وألح يوسف على نصر بالقدوم وأرسل إليه رسولاً يأمره ويستحثه وإلا فإنه سينادي في الناس أن نصراً قد خلع، ولكن نصراً تهيأ للأمر ووزع عمّاله على خراسان وأمرهم أنه إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستجلبوا الترك ليعبروا إلى ما وراء النهر، فيرجع نصر إليهم وتوجه نصر إلى العراق، فلما كان في الطريق لقيه مولى لهم وأخبره أن الوليد قتل، فاحضر نصر الرسل الذين سيرهم الوليد ويوسف إليه وقال: إن الوليد قتل ووقعت الفتنة في الشام، وقدم منصور بن جمهور العراق وهرب يوسف بن عمر ونحن بالبلاد التي علمتم حالها وكثرة عددها، وكنتم قد رأيتم مسيري وبعثي بالهدايا، فقال رجال من أصحاب

نصر: أيها الأمير إنه بعض مكايد قريش وإنهم (أي الخليفة) أراد تهجين طاعتك، فسر ولا تمتحنا.

فقال له نصر: أنت رجل لك علم بالحرب، وحسن طاعة لبني أمية، فأما مثل هذه الأمور فرأيك فيها أمة هثماء ورجع بالناس[1].

خروج يحيى بن زيد:

ومن المشاكل التي واجهت نصر الليثي وهو بخراسان خروج يحيى بن زيد، خرج يحيى بن زيد بن علي بعد قتل أبيه يحيى بشهر من الكوفة في جماعة من شيعته فصار إلى المدائن فالري ثم قومس فسرحس حتى صار إلى بلخ فمرو، فورد كتاب يوسف بن عمر الثقفي على نصر الليثي بصفة يحيى وهو يطلب القبض عليه، فطلبه نصر فلم يدركه إذ إن يحيى هرب إلى الجوزجان وهمّ أن يدخلها، ولكنه رجع منها إلى بلخ وأميرها يومئذ عقيل بن معقل الليثي (ابن عم لنصر) فألقى عقيل الليثي عليه القبض وكبله وغلّ يديه إلى عنقه وشدت قيوده بالسلاسل بعضها إلى بعض وحمل إلى مرو حيث نصر بن سيار.

ولما وصل زيد مغلولاً إلى نصر حبسه نصر في مرو وكتب إلى يوسف الثقفي يخبره بأمره، وكتب يوسف للخليفة هشام بذلك ولكن هشاماً كان قد توفي وصار الأمر إلى الوليد بن يزيد بن عبدالملك، فأمر الوليد بفك يحيى من قيوده وحديده وأمر نصراً بإكرامه غاية الإكرام وأن يخلي سبيله ليلحق بأي بلد يشاء.

فلما ورد الكتاب على نصر أمر بيحيى فأخرج من سجنه وخلع عليه وأكرمه ووصله بعشرة آلاف درهم، وقال: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تنحدر إلى

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٦٩.

العراق حتى يأتيك أمره، فقال يحيى: افعل ذلك ولا أعصي لك ولا لأمير المؤمنين أمراً.

وخرج يحيى بن زيد من مرو ومعه مائة رجل، فقال عمرو بن زرارة لأصحابه: أن يحيى بن زيد قد هرب من سجن مرو وأفلت من نصر، فخرجوا في أثره وكانوا عشرة آلاف، فدار بينهم القتال، فقتل عمرو بن زرارة وفرّ أصحابه فدخلوا نيسابور مغلوبين، وعاد يحيى إلى خراسان.

واغتم نصر لمقتل عمرو بن زرارة وقال:

ألمّوا بالقبور فودعوها	واقرأ قبورهم عني السلاما
ولو سمع السلام لرد عمرو	ولكن لا يطيقون الكلاما
هم صدعوا الفؤاد وأوجعتني	مصائبهم غداة لقوا الحماما

وخرج نصر خلف يحيى بعشرة آلاف رجل، فقاتلهم يحيى أشد قتال حتى قتل، وساروا برأسه إلى نصر بن سيار واستخرج يحيى من قبره وأخوه أبو الفضل ثم إن نصراً صلبهما في الجوزجان على قارعة الطريق[1].

أما ابن الأثير فيقول بشان مقتل يحيى بن زيد، أن نصراً سرح سالم بن احوز في طلب يحيى فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالاً شديداً فرمى يحيى بسهم فأصاب جبهته رماه رجل من عنزة يقال له عيسى وقتل أصحاب يحيى عن آخرهم[2].

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٢٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٧٢.

وكان مقتل يحيى بن زيد سنة ١٢٥هـ.

والي العراق الجديد يعزل نصراً :

في سنة ١٢٦هـ ولي يزيد بن الوليد الخلافة، فولى منصور بن جمهور العراق، فاستعمل منصور هذا أخاه منظوراً على الري وخراسان، فلما قدم منظور إلى خراسان امتنع نصر الليثي في خراسان ولم يمكن من ذلك ووجه عُمّاله وأمرهم بحسن السيرة في الناس.

وامتناع نصر في خراسان يعد من حسن التدبير وحسن السياسة، إذ إنه وفي تلك السنة اضطرب أمر بني أمية وهاجت الفتن، إذ وثب سليمان بن هشام ابن عبدالملك والذي كان الوليد قد حبسه في عان، وأخذ الأموال التي فيها وقدم إلى دمشق.

ثم ما كان من أهل حمص وقتالهم أهل دمشق، وكذلك خلاف أهل فلسطين وأهل الأردن، فكأنما رأى نصر أن الواجب يتطلب التريث حتى تعبر الأمة هذه الفتنة، فكان الأمر كما رأى، فلما استقر الأمر ولى يزيد عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز على العراق، فأرسل عبدالله أمر توليته لنصر على خراسان.

تمرد الحارث بن سريج التميمي :

أمن يزيد بن الوليد الحارث التميمي، فرجع الحارث إلى مرو سنة ١٢٣هـ وكان أمان يزيد للحارث بتدبير من نصر الليثي إذ أنه خاف أن يجتمع عليه الحارث والترك، وكان رجل آخر قد أظهر الخلاف لنصر وهو الكرماني، فإذا اجتمعوا كلهم عليه زال سلطانه.

لقي نصر الحارث ورد عليه ما أخذه منه وانزله وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً وأطلق أهله وأولاه وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار

فلم يقبل الحارث ذلك، وأرسل إلى نصر: إني لست من الدنيا واللذات في شيء، وإنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنّة واستعمال أهل الخير فإن فعلت ساعدتك على عدوك.

وأرسل الحارث إلى الكرماني: إن نصراً أعطاني العمل بالكتاب وما سألته، فإن فعل عضدته وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل أعنتك إن ضمنت لي العدل والقيام بالسنّة، واجتمع إليه نفر من بني تميم وغيرهم فصار في ثلاثة آلاف.

ولما توفي يزيد وصار الأمر لمروان بن محمد أبى الحارث أن يبايع مرواناً، وطب من نصر أن يعتزل ويكون الأمر شورى فامتنع نصر فأعد الحارث بياناً راح يقرأ على الناس يبين فيه سيرته وما ينوي فعله، ثم إن الحارث بدأ بملي شروطاً على نصر إذ طلب منه عزل سالم بن أحوز عن الشرطة وتغيير العُمّال.

وبعد كل هذا تراضى نصر والحارث على أن يسميا أشخاصاً أربعة فيكتب ما يرضون من السنن وما يختارون من عمال يولونهم سمرقند وطخارستان.

وراح نصر يسترضي الحارث ويحذره عاقبة السوء ويستوصيه بمضر خيراً إلا أن الحارث أبى على نصر، ثم إنهما حكما جهم بن صفوان ومقاتل بن حيان فحكم الحكمان بأن يعتزل نصر وأن يكون الأمر شورى فلم يقبل نصر بذلك.

ودخل الحارث التميمي مرو من ثقب في سورها وقد اجتمع إليه خلق كثير ونشب قتال، قتل فيه جهم بن مسعود الناجي ونهب منزل سالم بن أحوز.

وما أن أصبح الصبح حتى ركب سالم بن أحوز وأمر منديًا فنادى: من جاء براس فله ثلاثمائة، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث وأتى سالم عسكر الحارث فقتل كاتبه وهرب الحارث.

كان تمرد الحارث التميمي متزامناً مع تمرد الكرماني، وبعد وقعات بين مضر بقيادة نصر من جهة وربيعة واليمن بقيادة الكرماني من جهة أخرى، هزم نصر فعسكر خارج مرو، وغلب عليها الكرماني، ويبدو أن الحارث ندم على ما كان منه قبل قومه مضر، فأخذ يلوم الكرماني وينكر عليه ما فعله من خراب لمرو ونهب للأموال، ثم طلب من الكرماني أن يكون الأمر شورى فامتنع الكرماني، فانتقل الحارث إلى خارج مرو.

ثم إن الحارث ثلم سور مرو ودخلها فتبعه الكرماني فاقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه الحارث وأخوه، وصفت مرو لليمانية وهدمت دور المضرية، فقال نصر يذم الحارث:

يا مدخل الذل على قومه ... بُعداً وسحقاً لك من هالك

شؤمك أردى مضراً كلها ... وخرّ من قومك بالحارك

ما كانت الأزد وأشياعها ... تطمع في عمرو ولا مالك

ولا بني سعد إذا ألجموا ... كل طمرٍّ لونه حالك

تمرد الكرماني وخلافه لنصر[1]:

في عام ١٢٦ للهجرة وقع الاختلاف بين قبائل مضر من جهة وبين ربيعة واليمن من جهة أخرى، واجتمعت ربيعة وقبائل اليمن على رجل من الأزد، يقال له جُديع بن علي الأزدي، ويقال له الكرماني لولادته في كرمان.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٥. وابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٥٣.

خطب نصر في أهل خراسان وحذرهم الخلاف وقال: كأني بكم وقد نبع من تحت أرجلكم شر لا يطاق، وكأني بكم مطرحين في الأسواق كالجزر وأنتم يا أهل خراسان مسلحة في نحور العدو فإياكم أن يختلف فيكم سيفان، ثم قال:

استمسكوا أصحابنا نحدو بكم   فقد عرفنا شركم وخيركم

وتمثل بقول النابغة الذبياني:

فإن يغلب شقاؤكم عليكم   فإني في صلاحكم سعيت

وكانت قبائل مضر تزين لنصر قتل الكرماني أو حبسه، ونصر يأبى ذلك لما عرف عنه من حُسْن سياسته وتدبيره، فعرض عليه المصاهرة بان يزوج أولاده من بناته، فأبى الكرماني.

ثم إن نصراً استدعى الكرماني وراح يذكره بجميل صنيعه نحوه، فقال: ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر الثقافي بقتلك فحقنت دمك؟ ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم؟ ألم أراس ابنك علياً على كره قومك؟ كل هذا والكرماني يجيب بنعم، فقال نصر: فلم بدلت ذلك إجماعاً على الفتنة؟ ثم أمر به فحبسه، فتكلمت الأزد في حبسه، فقال نصر: لن يناله مني سوء وإذا خشيتم عليه فاجعلوا رجلاً منكم يكون معه، ففعلوا ذلك واحتال قوم الكرماني في إخراجه من السجن حتى أخرجوه.

تهيأ نصر لحرب الكرماني وخطب الناس، فقال: من الكرماني ثم ذكر الأزد فقال: إن يستوسقوا فهم أذل قوم وأن يأبوا فهم كما قال الشاعر:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت   فدل عليها صوتها حية البحر

وحاول نصر استمالة الربعية ليفت في عضد الكرماني، فأرسل إلى يحيى بن نعيم الربعي وأصحابه يسترضيهم فلم يوفق، وكان نصر يتعصب لقومه من مضر ويقدمهم فلا يستعمل إلا رجلاً من كنانة أو تميم أو أسد، لما عرف من تباطؤ اليمانية والربيعية عن الجهاد أيام مسلم بن سعيد بن أسلم عام ١٠٦هـ وكما رأينا سابقاً، فلما فشلت محاولاته في استرضاء ربيعة قال يذمهم:

إنا وهذا الحي من يمن لنا ... عند الفخار أعزة أكفاءُ
قوم لهم فينا دماء جمةٌ ... ولنا لديهم أحنة ودماءُ
وربيعة الأذناب فيما بيننا ... لا هم لنا سلم ولا أعداء
إن ينصرونا لا نعز بنصرهم ... أو يخذلونا فالسماء سماء

وابتدأ الكرماني القتال ضد مضر ممثلة بنصر، فكانت الدائرة على الأزد وربيعة فانهزموا، إلا أن الكرماني أخذ اللواء بيده وقاتل، فانهزمت مضر، وخرج نصر وأصحابه من مرو، ودام بينهم القتال ثلاثة أيام، فانهزمت الأزد وربيعة إلا أن رجلاً من عسكر الكرماني أخذ ينادي: يا معشر ربيعة واليمن قد قتل ابن الأقطع يعني نصر بن سيار ففت هذا في عضد مضر فانهزمت وغلب الكرماني على مرو.

دور نصر في مواجهة داعية بني العباس أبي مسلم الخراساني :

بعد أن غلب الكرماني على مرو تواعد الطرفان وخرجوا إلى موضع يقال له الجياد فخندقوا على أنفسهم وجعلوا يقتتلون الليل والنهار، وكان داعية بن العباس أبو مسلم الخراساني ناشطاً في دعوته وكان يراقب القتال بعيون مفتوحة وآذان منشورة.

وقد اجتمع إليه أناس، فلما رأى أن كلا الطرفين أثخن بصاحبه، كتب إلى الكرماني: إني معك[1] فقبل الكرماني ذلك واشتد الأمر على نصر، فكتب إلى الخليفة مروان بن محمد يقول:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً محبرة من محكمات الرسائل

بأن عداة الله أضحوا بأرضنا بسومننا إطفاء حق بباطل

ونحن حماة الدين نسموا إليهم بأسيافنا والمسندات الأوائل

وحاول نصر أن يفرق بين الكرماني وأبي مسلم فكتب إلى الكرماني: «ويحك أبا علي! لا تغتر بأبي مسلم وأصحابه، فإنه ليس يريد هذا الأمر لك ولا لنفسه، إنما يريده لبني هاشم، فإني خائف عليك منه ولكن هلمّ إليّ حتى ندخل جميعاً مدينة مرو فنكتب بيننا كتاباً بالصلح ويحلف كل منا لصاحبه أن تكون كلمتنا واحدة على أبي مسلم».

فأقبل الكرماني على أبي مسلم وقال: «إن نصراً قد كتب لنا بكذا وكذا فما ترى أأخرج إليه ونسأله أن يخرج إلى علي أن يكتب كتاباً بيني وبينه بين العسكرين، ثم أغتاله برجل من أصحابي».

فقال أبو مسلم: ما أرى لك رأياً غير هذا.

فخرج الكرماني حتى وقف قريباً من نصر بن سيار ومعه قريب من مائة رجل وأوصى رجلاً من أصحابه بما يريد من قتل نصر، ثم بعث إليه رسوله أن اخرج إليّ حتى نكتب بيننا الكتاب الذي ذكرت وسط العسكريين فخرج نصر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٥.

في قريب من مائة فارس وأوصى رجلاً من أصحابه وهو ابن الحارث ابن سريج التميمي بقتل الكرماني، ودنا الفريقان من بعضهما والكرماني يومئذ بلا درع، فلما رآه نصر وهو بتلك الحالة التفت إلى ابن الحارث وكلّمه بالفارسية، فحمل هذا على الكرماني وطعنه فقتله وكبّر أصحاب نصر.

ثم إن نصراً الليثي أمر براس الكرماني فحمل على رمح إلى مروان بن محمد الخليفة الأموي مع قصيدة يبين فيها نصر ما كان من أمر ربيعة وأوضاع خراسان وما وقع فيها من عصبية قبلية وفي القصيدة من الفخر ما فيها، قال نصر:

لعمري لئن كانت نزار تتابعت ... عليّ بغدر حين خابت حدودها
لقد غمزوا مني قناة صليبةً ... أبيٌّ على من رامها الكسرَعودُها
وأصلحت من ساداتها كل فاسد ... وأسرعت في خير الذي لا يسودها
وكنت لها كهفاً منيعاً وجنةً ... ليأوي إليها كهلها ووليدها
فمالوا على السؤات ثم تمردوا ... وهل يفعل السؤات إلا مريدها
فلا الترك أوفى من نزار بعدها ... ولا يأمنن الغدر يوماً عميدها
أحاشوا نزار الشام أن نزارها ... أبوه أباي وهنوء عميدها
أمروان أني قد منيت بمعشر ... خوارج سوء ما يلين شديدها
أجاهدهم في الله حقاً لأنني ... أومل داراً لا يبيد خولدها
وكم كم أجاشوا من جنود وأوقدوا ... أشانيب نيران سريع خمودها
فأوردت كرامانيها الموت عنوة ... كذاك منايا الناس يدنو بعيدها

وكان نصر الليثي وفي عام ١٢٩ هجرية وبعد ثمانية عشر شهراً من ظهور أبي مسلم الخراساني قد وجه مولى له يقال له يزيد بن حرب لحرب أبي مسلم

فوجه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي فالتقوا بقرية يقال لها الين ودار بينهم قتال وأرسل أبو مسلم مدداً للخزاعي فقوي بهم، واستمر القتال طيلة النهار، فقال يزيد مولى نصر: إن تركنا هؤلاء الليلة أتتهم إمدادهم احملوا على القوم، فحملوا عليهم واشتد القتال فأسر يزيد وانهزم أصحابه، ولكن أبا مسلم لم يقتل يزيداً وإنما أطلق سراحه أملاً أن يكون له عوناً، فلما رجع يزيد إلى نصر قال نصر: لا مرحباً والله ما استبقاك القوم إلا ليتخذوك حجة علينا.

وبعد أن فرغ نصر الليثي من أمر الكرماني، زحف إلى أصحاب أبي مسلم فحمل ابن الكرماني على تميم بن نصر فصرعه وأسرع القتل في أصحاب نصر[١].

ولما رأى نصر قوة أبي مسلم كتب إلى الخليفة مروان بن محمد:

أرى بين الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أميةُ أو نيام

فإن كانوا لحينهم نيام ... فقل قوموا فقد حان القيام

فكتب له مروان: إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأحسم التؤلول قبلك[٢]، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده، وكتب إلى يزيد بن هبيرة والي العراق: أما بعد فإن البيعة واحدة، وقد علمت ما أنا فيه من

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٧٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٦. والمسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٢٨.

حرب الكرماني وقد خرج عليّ أيضاً من أبناء السراجين من لا يعرف له دين، وقد اجتمع إليه نفر من أهل خراسان من شيعة ولد العباس، فأنشدك الله أن لا تضيع خراسان فقد مضى الأمر من أيدي بني أمية، واريدك أن تمدني بالف عمامة شامية والسلام[1] وكتب أسفل الكتاب:

أبلغ يزيداً وخير القول أصدقه ... وقد تيقنت أن لا خير في الكذب
هذي خراسان أرض قد رأيت بها ... بيضاً لو أفرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب
الا تدارك بخيل الله مُعلمة ... ألهبن نيران حرب أيما لهب

فلم يلتفت يزيد إلى كتاب نصر وجعل يقول: وما أبالي بخراسان إذا سلمت لي العراق. ولما رأى نصر أن ليس له من سواه مدد، فلا الخليفة مروان ابن محمد ولا والي العراق يزيد بن هبيرة ينصرانه، راح يحشد عرب خراسان يخاطب فيهم نخوتهم العربية ويستثير حميتهم القومية، مبصراً إياهم بالخطر الآتي فقال قصيدة كانت نشيداً قومياً للعرب من عدنان وقحطان وقال:

أبلغ ربيعة في مرو وفي يمن ... إن أغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبت ... حرباً يحرق من حاقاتها الحطب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم ... كأن أهل الحجى عن فعلكم غيب
وتتركون عدواً قد أحاط بكم ... ممن تأشب لا دين ولا حسب
ليسوا إلى عرب منا فنعرفهم ... ولا صريح موال إن هم نسبوا

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٧٠. والمسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٢٩.

قوماً يقولون قولاً ما سمعت به — عن النبي ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائلاً عن أصل دينهم — فإن دينهم أن يقتل العرب
ويقسم الخمس من أموالكم أسر — من العلوج ولا يبقى لكم نسب
وينكح فيكم قسراً بناتكم — لو كان قومي أحراراً لقد غضبوا

واخذ أبو مسلم الخراساني هراة وطرد عاملها عيسى بن عقيل الليثي منها فقوت شوكته وكان لا يفتر في منع العرب من الصلح.

واجتمع العرب من مضر وربيعة واليمن على قتال أبي مسلم الخراساني فعظم الأمر عليه، فتحول إلى (الين) وخندق بها، ثم أمر جماعة من جنوده أن يخندقوا في (جرينج) ففعلوا وقطعوا طريق إمدادات نصر وجنده[1].

واستطاع أبو مسلم أن يفسد الصلح الذي كان بين ابن الكرماني ونصر الليثي في عام ١٣٠هـ، إذ عير ابن الكرماني بالصلح مع قاتل أبيه وكان ابن الكرماني قد خرج لقتاله، فرجع ونقض الصلح مع نصر فانتقض صلح العرب، واجتمعت كلمة أبي مسلم الخراساني وابن الكرماني على قتال نصر فأوعز أبو مسلم إلى ابن الكرماني أن يدخل مرو وينشب القتال ضد نصر، وقال له: إني سأقدم عليك بعد ذلك.

فتقدم ابن الكرماني ودخل مرو وانشب القتال ثم إن أبا مسلم بعث جماعة من خيالته فدخلوا مرو، فأرسل هؤلاء إلى أبي مسلم أن أقدم، فدخل مرو والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكف عن القتال فصفت مرو لأبي مسلم وأخذ بيعة الناس.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٧٠.

اضطر نصر الليثي أن يغادر مرو بعد أن أخبره لاهز بن قريط التميمي أن أبا مسلم يريد قتله، فسار من سرخس إلى طوس ثم نيسابور وكان معه ثلاثة آلاف رجل، وتوفي عن عمر ناهز الخامسة والثمانين سنة وذلك في عام ١٣١هـ[١].

فبكته مضر كلها بل العرب جميعاً ورثاه الشعراء، وقال رجل من تميم يرثيه:

إلا من لنفس غاب عنها عزاؤها ودمع لعين ما يكف بكاؤها[٢]

* * *

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٩٦.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٧٣.

الفصل السادس

الخاتمة

قيل في كنانة وبنيه الكثير مما يدل على شرفهم وعلوا كعبهم في العرب، فقال أهل الأخبار، إن كنانة الشيخ قد أتى وهو نائم في حرم الكعبة، فقيل له: اختر يا أبا النضر بين الصهيل والهدر أو عمارة الجدر وعز الدهر، فقال: كُلاً يا رب. فجعل ذلك كله في ابنه قريش[1].

وامتدحهم الصادق الأمين ﷺ فقال: أن الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم[2].

وقال ﷺ : كنانة عز العرب وتميم أركانها وأسد حيطانها وقيس فرسانها[3].

وخص النبي ﷺ بعض قبائل كنانة بالدعاء، فقال: غفار غفر الله لها.

وامتدح بني مدلج خاصة فقال ﷺ : إنهم يقرون الضيف ويصلون الرحم.

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٧.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٢، الحديث ٣٣٩٧١.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ص٨٨، الحديث ٣٤١١٥.

ولهم قال ﷺ : إذا نحروا ثجوا وإذا لبوا عجوا.

وقال ﷺ : كنانة غرة العرب.

ولما قدم صعصعة بن ناجية على رسول الله ﷺ مسلماً، سأله المصطفى ﷺ عن علمه بمضر، فقال: كنانة وجهها الذي فيه سمعها وبصرها.

وسأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن مضر، فقالت: فاخر بكنانة وكاثر بتميم وحارب بقيس، وكذلك كان جواب النسابة دغفل حين سأله زياد ابن أبيه عن مضر، إذ قال: فاخر بكنانة وكاثر بتميم وحارب بقيس.

ولكنانة يقول الشاعر:

قد علم الناس يوم الفخار بأن كنانة أنف العرب

ومن المعلوم أن الأنف أكرم وأعلى ما في الوجه.

لشرف نسبهم فقد خصهم فقهاء الشريعة بأحكام فقال الشافعية أصحاب الإمام الشافعي ﷺ : إن الإمامة وهي الزعامة العظمى في قريش لقول رسول الله ﷺ الأئمة في قريش، فإن لم يوجد قرشي اعتبر كون الإمام كنانياً من ولد كنانة بن خزيمة[1].

والظاهر أن مسألة الإمامة وكون بني كنانة، القرشيين أولاً ثم إخوتهم من بني بطون كنانة - أولى بها من غير المسلمين مسألة قديمة، لهذا قال الجاحظ الكناني: «أنا رجل من بني كنانة، وللخلافة قرابة، ولي فيها شفعة» .

---

(١) القلقشندي، نهاية الأدب، ص٧.

ومن الأحكام التي خصوا بها، اعتبار كفاءة الرجل للمرأة في النكاح، فقال الشافعية في زواج الكنانية وجهان أصحهما أنه لا يكافئها غيرها من ليس بكناني ولا قرشي[1].

وفي بني كنانة ما في العرب من حميد الخصال ومحاسن الأخلاق، ولهم تاريخ حافل بشجاعتهم وكرمهم ونجدة جارهم حتى ضرب العرب بهم الأمثال، وفوق كل ذلك فإنهم أهل حمية على عروبتهم وإسلامهم.

قيل عنهم أنهم أنجد العرب، وصارت شجاعتهم الحد الذي ما بعده شجاعة ولا فوقه بطولة، فيقول العرب إذا أرادوا المبالغة في الشجاعة: أشجع من ربيعة، وربيعة هذا هو ربيعة بن مكدم الفرّاسي الكناني، وقومه بنو فرّاس ابن غنم بن مالك بن كنانة، وهم الذين عناهم الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بقوله لأهل الكوفة: «وددت والله أن لي بجمعكم هذا وأنتم مائة ألف ثلثمائة من بني فرّاس بن غنم» .

وأخبار شجاعة بني فرّاس وبطلهم ربيعة بن مكدم متواترة في كتب التاريخ والسير، ومنها أن ربيعة الفرّاسي هزم كتيبة لغامد وحده، فقالت امرأة من غامد وقد هزم قومها على يد رجل واحد:

إلا هــل أتاهــا علــى نأيهــا	بمــا فــضحت قومهــا غامــدُ
تمنيــتم مــائتي فــارس	فــردكم فــارس واحــد
فليــت لنــا بارتبــاط الخيــول	ضــأنا لهــا حالــب قاعــد[2]

(١) القلقشندي، نهاية الأدب، ص٧.

(٢) انظر تفصيل الخبر في علاقة كنانة مع قيس.

ولربيعة بن مكدم مع فرسان جشم بقيادة دريد بن الصمة وقعة كانت مثالاً للبسالة والشمم، إذ استطاع ربيعة أن يحمي حرمه ولوحده من فرسان هوازن وبطلها دريد حتى امتدحه دريد بن الصمة شعراً[1].

ولنستمع إلى ما يرويه بطل من أبطال العرب القحطانيين عمرو بن معد كرب عن ربيعة بن مكدم الفرّاسي، قدم عمرو بن معد كرب على الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ فسأله عمر ﷺ عن أشجع من رأى، فقال عمرو بن معد كرب: «... ثم مضيت فأصبحت بين دكادك هرش إلى غزال، فنظرت أبيات فعدلت إليها، فإذا فيها جوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا، فبكين حين رأينني، فقلت: ما يبكيكن؟ فقلن: لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت لنا هي أجمل منا، فأشرفت من فدفد فإذا بمن لم أر شيئاً قط أحسن من وجهه، وإذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها، فلما نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً، فسمعته يقول لهن:

مهلاً نسياتي إذن لا ترتعن ... أن يمنع اليوم نساءً تمنعن

أرخين أذيال المروط وارتعن

فلما دنوت منه، قال: أتطردني أم أطردك؟ قلت: أطردك. فركض وركضت في إثره حتى إذا مكنت السنان في لفته (أي أسفل كتفه) اتكأت عليه، فإذا هو والله مع لبب فرسه، ثم استوى في سرجه، فقلت: أقلني، قال: اطرد، فتبعته حتى إذا ظننت السنان فيما ضفيه اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسنان ماضٍ زالج، واستوى على فرسه، فقلت: أقلني، قال: اطرد، فطردته حتى إذا مكنت السنان في متنه اتكأت عليه وأنا أضن أني قد فرغت

(١) انظر تفصيل الخبر في علاقة كنانة مع قيس.

منه، فمال من ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض، ومضى السنان زالجاً، ثم استوى وقال: أبعد ثلاث؟ أتريد ماذا؟ اطردني ثكلتك أمك، فوليت وأنا مرعوب منه، فلما غشيني وجدت حس السنان الفت فإذا هو يطردني بالمرح بلا سنان. فكف عني واستزلني، فنزلت ونزل، فجز ناصيتي وقال: انطلق، فإني أنفس بك عن القتل، فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت، وسألت عن الفتى فقيل ربيعة بن مكدم الفرّاسي من بني كنانة» .

ويورد الأصفهاني في كتابه الأغاني خبر عمرو بن معد كرب كالآتي: «سأل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عمراً فقال: هل كععت من فارس قط ممن لقيت؟ فقال عمرو: اعلم يا أمير المؤمنين... فإذا أنا برجل جَلد نجد، أهلب أعلب، يخصف نعله إلى جنبه فرسه وسلاحه، فلما رآني رمى نعله ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه ومضى فلم يحفل بي، فطفقت أشجره بالرمح خفقاً وأقول له: يا هذا استأسر، فمضى ما يحفل بي حتى أشرف على الوادي فلما رأى الخيل تحوي أبله استعبر باكياً وأنشأ يقول:

قـــد علمـــت إذ منحـــتني فاهـــا أنـي سـأحوي اليـوم مـن حواهـا

بـــل ليـــت شـــعري اليـــوم مـــن دهاهـــا

فأجبته:

عمرو على طـول الـوجى دهاهـا بالخيـــل يحميهـــا علـــى وجاهـــا

حتـــــى إذا حـــــل بهـــــا احتواهـــــا

فحمل عليّ وهو يقول:

أهـون بنـضر العـيش في دار نـدم   أفيض دمعاً كلما فـاض أنـسجم
أنـا ابـن عبـدالله محمـود الـشيم   مـؤتمن الغيـب وفيّ بالـذمم
أكـرم مـن يمـشي بـساق وقـدم   كالليـث إن هـم بتقـصام قـصم

فحملت عليه وأنا أقول:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم   أنـا ابـن ذي الإكليـل قتـال البهم
مـن يلقـني يـود كمـا أودت إرم   اتركـه لحمـاً علـى ظهـر وضـم

وحمل عليّ وهو يقول:

هـذا حمـى قـد غـاب عنـه ذائـده   المـوت ورد والأنـام وارده

وحمل عليّ وضربني، فزغت وأخطاني، ووقع سيفه في قربوس السرج فقطعه وما تحته، ثم ثنى بضربة أخرى، فزغت وأخطاني فوقع السيف على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس وصرت راجلاً فقلت: يا هذا إني صرت راجلاً، فاختر مني أحدث ثلاث، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجر، وإن شئت اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه، وإن شئت سالمتني وسالمتك، قال: الصلح إذن إن كان لقومك فيه حاجة[1].

وروي أن عمرو بن معد كرب أغار بعد ذلك بزمان على بني كنانة في صناديد قومه، فأخذ غنائمهم، وأخذ امرأة ربيعة بن مكدم والذي كان غير بعيد، فركب في الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان، حتى لحقه، فلما

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٨٢ وما بعدها.

نظر إليه قال: يا عمرو، خلّ عن الظعينة وما معك، فلم يلتفت إليه، ثم أعاد عليه فلم يلتفت إليه، فقال عمرو: إما أن تقف لي وإما أن أقف لك، فوقف عمرو، وقال: قد أنصف القارة من راماها، قف لي يا ابن أخي، فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول:

أنا أبو ثور ووقاف الزلق لست بمأفون ولا في خرق
وأسد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال عضّهم ناب الفرق
وجدتني بالسيف هتاك الحلق

حتى إذا ظن عمرو أن خالطه السنان إذا هو كبب لفرسه، ومر السنان على ظهر الفرس، ثم وقف عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول:

أنا الغلام ابن الكناني لا بذخ كم من هزبر قد رآني فانشدخ

فقرع بالمرح رأس عمرو، ثم قال: خذها إليك يا عمرو ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك.

فقال عمرو: لا ينصرف إلا أحدنا، فقف لي، فحمل عليه حتى ظن أنه خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس، ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه، وقال: خذها إليك يا عمرو ثانية إنما العفو مرتان، فصاحت امرأته: السنان لله درك، فأخرج سناناً من سنخ إزاره كأنه شعلة نار فركبه على رمحه، فلما نظر إليه عمرو، وذكر طعنته بلا سنان، قال عمرو له: يا ربيعة خذ الغنيمة، قال: دعها وابخ، فقالت بنو زبيد: أنترك غنيمتنا لهذا الغلام؟ قال عمرو: يا بني زبيد، والله لقد رأيت الموت الأحمر في سنانه، وسمعت صريره

في تركيبه، فقالت بنو زبيد: لا يتحدث العرب إن قوماً من زبيد فيهم عمرو تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام، فقال عمرو: ولا طاقة لكم به وما رأيت مثل قط، فانصرفوا، وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد إلى قومه[1].

ومات البطل ربيعة بن مكدم واقفاً، إذ رماه نبشه بن حبيب السلمي فجرحه، فكر ربيعة على بني سُليم وهو ينزف، وقال لظعائنه سأقف لهم حتى تصلن مأمنكن، فإنهم لم يقدموا عليكن ما دمت واقفاً، فنجون إلى مأمنهن، فقال العرب: لا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره، وقالوا: «إنه حامي الظعينة حياً وميتاً»[2].

وامتدح الشعراء ربيعة بن مكدم، فقال عمرو بن سلامان الفهري:

لا يبعـــدن ربيعـــة بـــن مكـــدم   وسقى الغـوادي قـبره بـذنوب[3]

وقال ابن خفاجة يمدح ابن طاهر في صولاته:

إن جـــاد جـــاد حـــاتم طـــي   أوصال صال ربيعـة بـن مكْـدم[4]

وقال العرب، إنه كان يعقر على قبر ربيعة قبل الإسلام، ولم يعقر على قبر أحد غير قبر ربيعة، وقال الشاعر حين مرّ بقبر ربيعة:

لـولا الـسفار وبعـد خـرق مهمـة   لتركتهـا تحبـو علـى العرقـوب

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٣٨.

(٢) ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٦٦.

(٣) مصعب الزبير، نسب قريش، ٤٤٤.

(٤) ابن خفاجة، الديوان، ص٢٤٦.

ولما سمع بنو كنانة هذا الشعر، قالوا: والله لو عقرها أي ناقته لسقنا له ألف ناقة من سود الحدق[1].

ومن صور شجاعتهم فتكهم بعدوهم، فضرب المثل برجل منهم يقال له البراض، فقيل: أفتك من البراض، وكان البراض البكري الكناني قد قتل عروة الرحال سيد هوازن، واستاق لطيمة الملك النعمان ودخل بها خيبر، فأتبعه رجلان من قيس أحدهما غطفاني والآخر غنوي يريدان قتله بسيدهما عروة، فلما وصلا خيبر كان البراض أول من لقيهما، فقال لهما: من الرجلان؟ قالا: من غطفان وغنى، قال البراض: ما شأن غطفان وغني بهذه البلاد؟ قال: ومن أنت؟ قال: من أهل خيبر، قالا: ألا علم لك بالراض؟ قال: دخل علينا طريداً خليعاً فلم يؤوه أحد بخيبر ولا أدخله بيتاً، قالا: فأين يكون؟ قال: هل لكما به طاقة إن دللتكما عليه؟ قال: نعم، قال: فأنزلا، فنزلا وعقلا راحلتيهما، قال: فأيكما أجرأ عليه وأخطر مقدماً واحد سيفاً، قال الغطفاني: أنا، قال البراض: فانطلق أدلك عليه ويحفظ صاحبك راحلتيكما ففعل، فانطلق البراض يمضي بين يدي الغطفاني حتى انتهى به إلى خربة في جانب خيبر خارجة عن البيوت، فقال البراض: هو في هذه الخربة وإليها يأوي، فانتظرني حتى أنظر أثم هو أم لا، فوقف له ودخل البراض، ثم خرج إليه، وقال: هو نائم بالبيت الأقصى خلف هذا الجدار عن يمينك إذا دخلت، فهل عندك سيف فيه صرامة؟ قال: نعم، قال هات سيفك انظر إليه أصارم هو؟

فأعطاه السيف، فهزه البراض ثم ضربه به حتى قتله، ووضع السيف خلف الباب وأقبل على الغنوي فقال: ما وراءك؟ قال البراض: لم أرَ أجبن من

---

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٧٢. وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٧٤.

صاحبك تركته قائماً في الباب الذي فيه الرجل، والرجل نائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه، قال الغنوي: يا لهفاه! لو كان أحد ينظر راحلتينا؟ قال البراض: هما عليّ إن ذهبت، فانطلق الغنوي والبراض خلفه حتى إذا جاوز الغنوي باب الخربة، أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحهما وراحلتيهما وانطلق.

وقد عرف رسول الله ﷺ فتكهم وقوة شكيمتهم فاختار منهم عمرو بن أمية الضمري وبعثه إلى مكة لقتل أبي سفيان بن أمية، وبعث معه رجلاً من الأنصار يدعى جبار بن صخر، وإذا كان عمرو الضمري لم يستطع أن يقتل أبا سفيان فإنه أظهر شجاعة وفتكاً روعا مشركي مكة، قال عمرو الضمري: فلما وصلنا مكة طفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلي رجل من أهلها فعرفني، فقال: عمرو بن أمية الضمري والله إن قدمها إلا لشر، فقلت لصاحبي: النجاء، فخرجنا نشتد حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا، فدخلنا كهفاً في الجبل فبتنا فيه، وقد أخذنا حجارة فرضخنا هادوننا فلما أصبحنا عدا رجل من قريش يقود فرساً له، ويخلي عليها، فقلت: إن رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا.

قال عمرو الضمري: وكان معي خنجر كنت قد أعددته لأبي سفيان، فأخرج للرجل القرشي فأضربه على ثديه ضربة وصاح صيحة أسمع أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق، فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية الضمري وعليه الموت، فمات مكانه، ولمن يدلل على مكاننا. فاحتملوه.

فقلت لصاحبي لما أمسينا: النجا، فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة حبيب بن عدي (رجل من المسلمين كانت قريش

قتلته) فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه في المدينة لقلت هو عمرو الضمري، ثم إن عمرو الضمري لما حاذى الخشبة التي عليها حبيب شد عليها فأخذها فاحتملها، وخرج هو وصاحبه، وخرجت قريش وراءهما، حتى أتيا حرفاً بمهبط مسيل بأجح، فرمى عمرو بالخشبة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه.

ويقول عمرو، ثم قلت لصاحبي النجاء النجاء حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإني ساشغل عنك القوم، وكان الأنصاري لا رجلة له.

فقال عمرو: ومضيت حتى أخرج على ضجنان، ثم آويت إلى جبل فأدخل كهفاً، فبينما أنا فيه إذ دخل على شيخ من بني الديل (من أبناء عمومة عمرو) أعور، فقال: من الرجل؟ قلت من بين بكر، قال: فمن أنت؟ قال: من بني بكر، فقلت مرحباً، فاضطجع ثم رفع عقيرته، فقال:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولا دانٍ لدين المسلمينا

فقلت في نفسي، ستعلم، فأمهلته حتى إذ نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النجاء حتى جئت العرج، ثم سلكت ركوبه حتى إذا هبت النقيع، إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة ينظران ويتجسسان، فقلت استأسرا، فأبيا، فارمي أحدهما بسهم فقلته، واستأسر الآخر أوثقته رباطاً، وقدمت به إلى المدينة[1].

(١) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٠٧.

وامتاز بنو كنانة بجرأة جعلتهم أهلاً للمسؤولية، ومن هذا ما ذكر من أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وجد يهودياً قتيلاً، فجزع ﷺ جزعاً شديداً وصعد المنبر وقال: أفيما ولاني الله واستخلفني يفتك بالرجال؟ ذاكر الله رجلاً كان عنده علم بمقتل اليهودي إلا أعلمني، فقام إليه بكر الليثي، فقال: أنا به عليم.

فقال عمر ﷺ : الله أكبر بؤت بدمه فهات المخرج، فقال: بلى، خرج فلان غازياً ووكلني بأهله فجئت إلى بابه فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول:

واشعث غرة الإسلام مني　　　خلوت بعرسه ليل التمام

فقتلته، فصدّق عمر ﷺ وأبطل دم اليهودي، وكان رسول الله ﷺ قد دعا لبكر الليثي فقال: الهم صدَّ قوله ولقه الظفر[1].

ومن صور جرأتهم وشجاعتهم ما فعله بكير الليثي في معركة القادسية، إذ انتدب بكير الليثي ودفع فرسه أطلال في النهر، قائلاً لها: ثبي أطلال فاقتحم النهر وعبر فسبح المسلمون، ثم أمروا أصحاب السفن فعبروا الأثقال فقالت الفرس: والله ما تقاتلون إلا جناً فانهزموا[2].

وبنو كنانة أهل جوار وذمة، ولهم في هذا الميدان سجل ناصع قبل الإسلام وبعده، وقد أسهموا في إرساء وتدعيم قيم عربية عالية فحفظ لهم الكثير مقروناً بثناء وحميد.

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٣، ص٣٠٤، الحديث ٣٦٨٧٢.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٩. والطبري، التاريخ، ج٢، ص١٤٧. وابن حجر، الإصابة، ج١، ص١٦٤. وابن الكلبي، أنساب الخيل، ص١١١.

وإذا كان العرب جميعاً أهل جوار، والذي كان يجير الرجال منهم، فإن المرأة الكنانية كانت تجير، ومن هذا ما فعلته ريطة بنت جذل الطعان الفرّاسية عندما أسر قومها دريد بن الصمة، فلما عرفت أنه دريد قامت فألقت عليه ثوبها، وقالت: يا آل فرّاس، إنا جارة له منكم ثم إنها سألتهم أن يطلقوه فأطلقوه، فكسته ريطة وجهزته[1].

وما كان الكناني يتورع عن أن يحارب دفاعاً عمن استجار به، وكذلك فعل بنو ضمرة دفاعاً عن نساء من جهينة، إذ حاول رجال من قريش والدؤل والليث أسرهن وهن جارات لبني ضمرة، فكانت حرب بين قبائل كنانة ووقعة كبيرة سميت يوم شهوره[2].

ولما أراد بسر بن أرطاة (وهو فهري جبار كان يغير لمعاوية بن أبي سفيان على الأرض التي كانت تحت يد علي ﷺ) أن يأخذ ولدي عبيد الله بن العباس ﷺ واللذين كان عبيد الله قد أودعهما لدى رجل من بني كنانة، أبى الكناني أن يسلمهما، وخرج مصلتا سيفه، فقال له بسر: ثكلتك أمك، والله ما كنا أردنا قتلك، فلم عرضت نفسك للقتل؟ قال: اقتل دون جاري اعذر لي عند الله والناس، ثم شد على أصحاب بسر بن أرطاة بالسيف حاسراً وهو يرتجز:

الليث من يمنع هامات الدار ولا يزال مصلتاً دون الجار[3]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٧٥-٧٦.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص١٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٨٤.

وإذا كان العرب يكرمون الضيف إذا حل بهم، فإن بني كنانة يستجلبون الأضياف إليهم، فقد كان عبدالله بن جابر وهو من بني عتوارة يوقد ناراً ليلاً ليهتدي إليها العابرون فيضيفهم، حتى لقبه العرب بـ (الهاد)[1].

وما كان بنو الدؤل ينتظرون أن يحل عليهم ضيف فيذبحون له ويعمونه بل إن الشمس ما كانت تطلع إلا وقدورهم تغلي انتظاراً لمقدم ضيوفهم حتى سموا بنو يعمر بن عدي بن الدؤل بـ (رعاة الشمس)[2].

وكان يعمر بن صخر بن يعمر بن نفاثة الدؤلي من أجود العرب[3].

وأصدق القول قول رسول الله ﷺ فقد فقال ﷺ لما حبب له بعض الناس غزو بني مدلج: يمنعني من ذلك قراهم الضيف[4].

ومن أجاويد كنانة وبني مالك خاصة، حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يسمى القلمس لجوده كرمه والقلمس من أسماء البحر[5].

ولما وصف عمرو بن معد كرب بني مالك بن كنانة للخليفة عمر ﷺ، قال: أتينا على قوم سراة، فقال عمر ﷺ: وما علمك بأنهم سراة؟ قال: رأيت مزاود خيلهم كبيرة وقدوراً مثفاة وقباباً أدم، فعرفت أن القوم سراة.

ومن صور شجاعة بني كنانة وجرأتهم، ما عرفوا به من صدق، ولبني غفار خاصة سجل التاريخ صور مفعمة بالصدق الجريء، وقد أثنى الرسول الكريم

---

(١) ابن الكلبي، الجمهرة، ص١٤٥. وابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٦١.

(٢) الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٨٨.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٣٣.

(٤) الجاحظ، البخلاء، ص١٤٥.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٣٨، الهامش ٣.

ﷺ على أبي ذر الغفاري، فقال ﷺ : ما أظلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر الغفاري، والعرب تقول: أصدق من أبي ذر الغفاري، إذا أرادوا الشهادة لأحد بالصدق.

حتى كان الصدق لا يفارق بني غفار سواء كانوا من عامة المسلمين أو ولاة فهذا الحكم بن عمرو الغفاري وقد ولي خراسان لزياد بن أبيه، لا يرضى إلا أن يكون صادقاً مع نفسه ومع من ولاّه، فحين جاء كتاب زياد بن أبيه يأمره فيه أن يرسل الذهب والفضة مما غنم المسلمون إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان، امتنع أن ينفذ ذلك الأمر، ولم يخرج على إمامه ولم يشهر سيفاً في وجهه، بل خمس كل الأموال التي كانت من الغنام وأرسل الخمس للخليفة ووزع على المجاهدين حقهم وفق الشرع.

وهذا رجل من بني ليث يدعى عمران بن سودة لا يتردد في قول ما يراه صحيحاً أمام الفاروق ﷺ والذي كان المسلمون يهابونه أشد الهيبة ولا يجابهونه أو يصارحونه خشية منهم لجلالته فيهم، قال أبو جرير الطبري في تاريخه: روى عبدالرحمن بن أبي زيد عن عمران بن سودة الليثي، قال: صليت الصبح مع عمر ﷺ فقرأ (سبحان) وسورة معها، ثم انصرف، فقمت معه، قال: أحاجة؟ فقلت: حاجة، قال: فالحق، فلحقت، فلما دخل أذن، فإذا هو على رمال سرير، ليس فوقه شيء، فقلت نصيحة!! قال: مرحباً بالناصح غدواً وعشياً، قلت: عابت أمتك، أو قلت رعيتك، عليك أربع، قال: فوضع عود الدرة ثم ذقن عليها، وقال: هات! قال: ذكروا إنك حرمت المتعة في أشهر الحج وهي حلال وذكروا أنك حرمت متعة النساء، وأنك أعتقت الأمة إذا وضعت ذات بطنها بغير عتاقة سيدها وشكوا منك عنف السياق[1].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٣، ص١٢١.

وكان بنو كنانة أهل حمية وغيرة على عربيتهم وإسلامهم ولهم في هذا الباب سفر جليل حتى أنهم سبقوا الجميع، ولا أريد دفاعهم بالسيف عن الإسلام، ولا فتوحاتهم وما فعلوه من نشر للدعوة بين الأعاجم من فرس وترك وصفد وكرد، ولكن فعل أبي الأسود الدؤلي واستنباطه لقوانين ضبط اللغة العربية، فضل ما بعده فضل، ولو لم يكن في بني كنانة إلا أبو الأسود لكفى وكان لهم الفضل فيه والفخر على مدى الزمان، وفضل آخر ساقه الله لبني كنانة فشكره لهم العرب وذكروه بالعرفان وهو ما فعله نصر بن عاصم الليثي من تنقيط للحرف العربي فسهّل قراءة الحروف وبسطها بأن أزال اللبس عنها.

حفظ التاريخ روايات تؤشر أن بني كنانة كانوا يحفظون صاحبهم في غيبته ويحافظون على ولائهم له وإن والت دولته بل كانوا يجابهون خصمه وهو في عز سلطانه بمحاسن من كانوا له شيعة وأصحاب، والروايات كثيرة نذكر منها ما قاله الحرث بن حوط الليثي للإمام عليّ ﷺ بعد معركة الجمل، إذ كان علي ﷺ يخطب على المنبر، قال الحرث: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على ظلال؟[1].

وكذلك كان أصحاب علي ﷺ من بني كنانة يقولون في مجلس معاوية بن أبي سفيان، بعد أن استتب الأمر وصارت الخلافة إليه، كانوا يقولون في عليّ ﷺ كل خير، فما كانوا يداهنون معاوية ولا يخفون ولائهم لعلي ﷺ والتزامهم بنهجه، ومن هؤلاء أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، فقد سأله معاوية بن أبي سفيان عن حبه لعلي ﷺ فقال: حُب أم موسى.

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص٤٩١.

ولما سأله معاوية فيما إذا كان من قتلة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أم لا، أجاب: لا ولكني ممن حضره ولم ينصره، فظن معاوية أنه قد أوقع به، فقال: وما منعك من نصره وقد كان نصره واجباً؟ قال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه؟ مقال معاوية: أوَ ما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطفيل وقال:

لا لفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زاداً[1]

وطلب معاوية ابن أبي سفيان وهو خليفة المسلمين من ضرار بن ضمرة الكناني أن يصل علياً ﷺ فقال ضرار قولاً يعرف من سمعه أن علياً سبق ولا يمكن أن يلحق[2].

وإذا كان هذا شأن الرجال، ولهذا خلقوا، فإن المرأة الكنانية كانت تشارك الرجل شجاعته وجرأته فقد روي أن امرأة منم تدعى دارمية استقدمها معاوية ابن أبي سفيان لما قدم حاجاً إلى مكة من سكنها في جبل الحجون ويسألها:

كيف حالك يا بنية حام؟ معيباً سواد لونها، فتقول: لست لحام ادعى أنا امرأة من بني كنانة، فيقول: صدقت، أتدرين لما بعثت إليك؟ فتقول: لا يعمل الغيب إلا الله، فيقول: بعثت إليك لأسالك علام احببت علياً وابغضتني وواليته وعاديتني؟ فتقول: أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمته بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق، وواليت علياً على ما عقد رسول الله ﷺ من الولاية، وحبه المساكين، وإعظامه

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٠.
(٢) النويري، نهاية الأدب، ج٣، ص١٧٦.

لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في الفضاء وحكمك بالهوى، فقال معاوية: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك، فقالت: يا هذا بهند (أم معاوية) كان يضرب المثل في ذلك لا بيّ، فقال معاوية: يا هذه اربعي، فإنا لم نقل إلا خيراً، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق وليدها، وإذا عظم ثدياها روّت رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها، ثم قال: يا هذه هل رأيت علياً؟ فقالت: أي والله، فقال: كيف رأيتيه؟، قالت: رأيته والله لم يفتنه المُلك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك، قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله، فكان يجلو القلب من العمى كما يجلو الزيت الطست، قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها، قال: تصنعي بها ماذا؟ قالت: أغذه بألبانها الصغار، وأستحي الكبار، وأكتسب المكارم، وأصلح بها بين العشائر، قال: فإن أعطيتك ذلك، فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب؟ قالت: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك، يا سبحانه الله، أو دونه؟

فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعـد بـالحلم مـني علـيكم	فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلـم
خذيها هنيئاً واذكري فعـل ماجـد	جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: أما والله لو كان عليّ حياً ما أعطاك منها شيئاً.

قال: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين[1].

---

(١) الأندلسي، العقد الفريد، ج٢، ص١١٣-١١٤.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري.

أ- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية.

ب- الكامل في التاريخ، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٥.

ج- الألباب في تهذيب النساب، ط مكتبة القدسي، ١٣٥٦هـ.

٣- ابن أبي الحديد: عز الدين عبدالحميد المدائني.

أ- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفل إبراهيم. ط دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

٤- ابن أعثم: أبو محمد أحمد الكوفي.

أ- كتاب الفتوح، ط دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى مبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

٥- ابن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي.

أ- تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، المعروف برحلة ابن جبير. ط دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

٦- ابن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر.

أ- نقد الشعر، ط٣، مكتبة الخانج، القاهرة، ١٩٨٧.

٧- ابن حبيب: أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي.

أ- كتاب المحبر، ط مطبعة دار الورق العثمانية ١٩٤٢م.

ب- كتاب المنمق، ط حيدر أباد الهند، ١٩٦٤.

٨- ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

أ- كتاب الإصابة في تميز الصحابة وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

ب- تهذيب التهذيب، ط دار المعارف النظامية، حيدر أباد، ١٣٢٥م.

٩- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي.

أ- الأحكام في أصول الأحكام. ط دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

ب- جمهرة أنساب العرب، تحقيق الدكتور عبدالسلام محمد هارون، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٢.

١٠- ابن خفاجة.

أ- ديوان ابن خفاجة، ط دار صادر بيروت، ١٩٠.

١١- ابن خلدون: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون.

أ- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧.

١٢- ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن.

أ- كتاب الاشتقاق، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، ط مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٨.

١٣- ابن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي.

أ- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محي الدين عبدالحميد، ط دار الجيل، بيروت ١٩٧٢.

١٤- ابن سعد: عبدالله بن محمد بن سعد.

أ- الطبقات الكبرى، ط المطبعة الحكومية، برلين ١٩٣٠.

١٥- ابن عبد ربه: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي.

أ- العقد الفريد، ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٢.

١٦- ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي.

أ- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب، ط المطبعة الحيدرية، النجف.

١٧- ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة.

أ- عيون الأخبار.

ب- كتاب الإمامة والسياسة، تحقيق د. طه الزيني، ط دار الأندلس، النجف.

ج- كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط دار الكتب القاهرة، ١٩٦٩.

١٨- ابن قيم: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر بن أيوب بن سعد الزرعي.

أ- زاد المعاد في هدي خير العبد. ط دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩- ابن الكارزوني: ظهر الدين علي بن محمد البغدادي الكازوروني.

أ- مختصر التاريخ، تحقيق د. مصطفى جواد، ط المؤسسة العامة للصحافة والنشر، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠.

٢٠- ابن كثير: أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي.

أ- البداية والنهاية، ط٤، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٢. ط دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١.

٢١- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي.
أ- جمهرة النسب، تحقيق د. ناجي حسن طه، عالم الكتب مكتبة النهضة، بغداد ١٩٨٦.
٢٢- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن علي.
أ- لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ١٩٥٥.
٢٣- ابن النديم: محمد بن إسحاق بن يعقوب.
أ- الفهرست، ط دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٩٧٨.
٢٤- ابن هشام: أبو محمد بن عبدالملك بن هشام.
أ- السيرة النبوية، تقديم طه عبدالرؤوف، ط دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
٢٥- الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد.
أ- أخبار مكة، ط مطبعة المدرسة المحروسة، عققنة ١٢٧٥هـ.
٢٦- الأصبهاني: أبو بكر محمد بن داود.
أ- الزهرة، تحقيق، د. إبراهيم السامرائي، و د. إبراهيم السامرائي ود. نوري حمودي القيسي، ط٢، مكتبة المنار، الأردن ١٩٨٥.
٢٧- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد.
أ- كتاب الأغاني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
ب- مقاتل الطالبين، ط مطبعة الديوان، بغداد.
٢٨- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر.
أ- كتاب فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦.
ب- أنساب الأشراف، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٤ تحقيق محمد باقر المحمودي.
٢٩- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني.
أ- كتاب البخلاء، ط دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩١.
ب- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبدالسلام هارون، ط منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد ١٩٨٢.
ج- البيان والتبيين ط الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٩٦٨.
د- الحيوان، ط مكتبة محمد حسين النوري ومكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٦٨.
هـ- الرسائل، تحقيق السندوبي، ط القاهرة ١٩٢٤.
٣٠- الجمحي: محمد بن سلام.
أ- طبقات فحول الشعراء. شرح محمود محمد شاكر، ط دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.

٣١- الدينووري: أبو حنيفة أحمد بن داود.
أ- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، ط مكتبة المثنى، بغداد.
٣٢- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.
أ- سري أعلام النبلاء، ط دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٢.
ب- المعبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط الكويت، ١٩٦٠.
٣٣- الزبيري: مصعب بن عبدالله.
أ- نسب قريش، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣.
٣٤- السيرافي: أبو سعيد.
أ- أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، ط الباجي الجلبي، مصر ١٩٥٥.
٣٥- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير.
أ- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦١.
٣٦- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي.
أ- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
ب- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم البياري، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة.
ج- نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.
٣٧- القفطي.
أ- أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
٣٨- الكناني: نصر بن سيار.
أ- الديوان، تحقيق عبدالله الخطيب، ط مطبعة شفيق، بغداد، ط١، ١٩٧٢.
٣٩- الليثي: المتوكل الليثي.
أ- الديوان، تحقيق د. يحيى الجبوري، ط مكتبة الأندلس.
٤٠- المبرد: أبو العباس محمد بن زيد.
أ- كتاب الكامل في للغة، ط القارة، ١٣٢٣هـ.

٤١- المحب الطبري: أبو جعفر أحمد.
أ- الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٧١.

٤٢- المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي.
أ- كنز العمال، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.

٤٣- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي.
أ- التنبيه والإشراف، ط دار الهلال ١٩٨١.
ب- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبداللطيف، ط المكتبة الإسلامية، بيروت.

٤٤- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري.
أ- مجمع الأمثال، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٤٥- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب.
أ- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٤٦- الواقدي: محمد بن عمر واقد.
أ- كتاب المغازي، ط أكسفورد، ١٩٦٦.

٤٧- ياقوت: شهاب الدين أبو عبدالله.
أ- كتاب معجم البلدان، ط دار صادر، بيروت ١٩٥٧.
ب- معجم الأدباء، ط دار الفكر، ١٩٨٠.

٤٨- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وضاح.
أ- كتاب التاريخ، ط دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

المحتويات

الفصل الأول
نسبهم وقبائلهم

الفصل الثاني

علاقة قريش بقبائل بني كنانة

الفصل الثالث

علاقات بني كنانة مع القبائل العربية

الفصل الرابع

دور بني كنانة في الإسلام

الفصل الخامس
دور بني كنانة في فتوح المشرق

الفصل السادس
الخاتمة